المشرق

السنة السابعة والاربعون . كانون الثاني – شباط ١٩٥٣

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطي (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

ولمّا اطّلع ملك صقلية على خيانة اليونان سخط جدًا وسار الى مدينة تيبايس واحتلّها وقوّضها وأهلك بالسيف سكّانها . وأجرى مثل ذلك في ادريانوبوليس وفي فيلوفوفليس واقبل الى قسطنطينية وعاث في ضواحيها .

ومات في تلك الغضون لاون الارمنيّ صاحب قيليقية في قسطنطينية وانهزم ابنه توماس راجلًا دون سبد ولبد الى قيليقية (٣١٤) وزار مطران السريان السيّد اثناسيوس وطلب صلواتهِ ليردّ الله تعالى اليه ميراث آبائهِ . فصلّى عليه واهداه حصانًا بمثابة بركة . وما عتم ان لحقه اثنا عشر ارمنيًا وسار اوّل بدء الى حصن عامودا ولمّا شاهده الحرّاس عرفوه انه ابن مولاهم فسلّموه دون تردّد فدخل الحصن وفتك بمن كان فيه من اليونان واحتلّ في مدّة وجيزة اماكن شتّى

فهابه الروم الذين في سائر الحصون. واتفق معه الفرنج وناوشوا الاتراك وفتكوا بثلاثة آلاف منهم . وذاع صيت انتصاره وبات الاتراك يحسبون له الف حساب . وبعد ذلك احتلّ عين زربة وغيرها .

وفي تلك السنة استولى نورالدين بن زنكي على افامية وعلى بعض حصون الفرنج . فاقام له صاحب انطاكية كميناً فتك بكثير من عسكره وافلت هو الى حلب مع قليلين .

وفي السنة ١٤٦٠ لليونان (١١٤٩م) وهي السنة ٥٤٣ للعرب زحف نورالدين الى حارم وغزا ضاحيتها وقوّض ابنيتها التي كانت خارج القلعة . وسار البرنس صاحب انطاكية ليكشفه عنها لكنّ الاتراك تغلّبوا عليه وفتكوا به. وكانوا فيما سبق يهابونه جدًّا اذ لم يكن اقوى منه ما بين الفرنج . وحصلت فتنة بين الانطاكيين حتى رام اغلبهم ان يسلّموا نور الدين مدينتهم. غير ان بعضهم راسلوا ملك اورشليم فسارع اليهم وبثّ روح النخوة في قلوب الفرسان واقام بطريركهم مدبّرًا لهم ريثما يترعرع بوهيمند ابن البرنس القتيل . وقُتل في هذه المرّة صاحب الكيسوم وتولّاها جوسلين مع قوية بيت حسنة .

وفي السنة عينها اقبل قلج ارسلان بن مسعود سلطان قونية وحاصر مرعش وانتزعها من يد الفرنج وسهّل للفرسان والاسقف والقسّان ان يذهبوا (٣١٥) الى انطاكية بسبب قسم سبق فأقسمه لهم . غير ان الاتراك لحقوهم وفتكوا بهم . وفي فتح مرعش هذا نُهبت امتعة كنيستنا بسبب نزاع حدث بين القسّان والاسقف في جملتها قنينة ميرون وكؤوس واطباق ومباخر فضيّة وحلل كهنوتية وسجف وغيرها .

وانتزع قرا ارسلان صاحب حصن زياد من الفرنج مدينة بابولا وارسل كتاباً الى جرجر وكان اهاليها جميعاً مختفين في جبال برصوما فاقاموا كميناً في ثلاثة اماكن انقضّوا صباحاً ونهبوا المواشي والبقر وفتكوا بثلاثة من رهبان الدير . وارسلوا الى الرهبان ان سلّموا اهالي جرجر نردّ لكم الغنائم حرمةً لقدّيسكم ونقدّم له النذور . لاننا لم نأتِ لنتعدّى على ديره . وليس من نيّتنا ان نستعبد الاهالي لكننا نذهب بهم الى قراهم لكي يفلحوها . غير ان الرهبان اختلفت كلمتهم ففريق رأوا ان يسلّموا والفريق الآخر أبوا حتى أفضى

بهم الخلاف الى ضرب بعضهم بعضاً بالسيف . عنـد ذلك نهض راهب شيخ واستصحب شخصين من كلا الفريقين وسار خمستهم وواجهوا الاتراك وقالوا لهم : ان كنتم صادقين في طلبكم الاهالي للحراثة لا للعبودية فليأتِ فريق منكم معنا لنذهب ونراجع اميركم المحروس ونأتمر بامره. غير ان مكر الاتراك اتضح جلياً ومن ثم اجمع الرهبـان ومن معهم على الرفض . فأحرق الاتراك المعاصر وسياجات الكروم وانقلبوا عائدين . وسار الرهبان الى حصن زياد وقابلوا الامير فاشفق عليهم وردّ لهم الغنيـمة كلّها .

وفي تلك السنة برز جوسلين من تلّ باشر في مائتي فـارس وساروا الى انطاكية يظنون انهم يناوشون الغاً . فباغتهم التركمان ليلاً وهزموهم وتتبعوهم (٣١٦) وقبضوا على جوسلين ومضوا به الى نور الدين فاشتراه بالف دينار منهم ثم اوثقهُ وحبسه . وظـلّ جوسلين محبوساً تسع سنوات وكانوا يلاطفونه تارة بالوعد وطوراً بالوعيد ليجاهر بالاسلام . لكنّه لبث راسخاً في ايمانهِ مقرّاً. ان الربّ انّما أدّبه لتعدّيه على دير برصوما كما سنذكر ذلك في تاريخنا البيعي . ولمّا دنا أجله استدعى اسقف المدينة فعرّفه وناوله الاسرار المقدّسة وقضى هناك في جبّ الحبس . ولمّا كان مأسوراً حمل الاتراك على كثير من اماكن الفرنج واحتلّوها كجرجر وكختي وحصن منصور وتاكنكار التي بجانب الدير . وعلى اثر وفاته اقام الفرنج ابنه الفتى خلفاً له في تلّ باشر وكان اسمه كذلك جوسلين.

وفي السنة ١٤٦١ لليونان (١١٥٠م) وجّه اهالي الكيسوم مطرانهم ايونيس الى مسعود سلطان قونية وطلبوا الامان للفرنج الذين عندهم كي يأذن لهم ان يذهبوا الى عينتاب . فلبى طلبهم واستولى على مدينتهم وعلى قرى بيت حسنة ورعبان وقرزمـان ومرعش . ولمّا كان يحاصر تلّ باشر اقبل اليه نور الدين فزفّ اليه السلطان ابنته . فترك تلّ باشر ولم يتيسّر له احتلالها.وما مرّ القليل حتى شخص ملك اورشليم ونقل معه امرأة جوسلين وابناءه وجميع الفرنج . واقام في تلّ باشر بعض عمّال يونان فاحتلّوا عينتاب وعزز ثم ضايقهم نور الدين قتلاً وجوعاً فسلّموه اياها صلحاً .

واحتلّ تيمورطاش صاحب ماردين مدينة البيرة وسمساط وكوريس وكفرسوت. وكان يومئذٍ في رومي قلعة ميخائيل الارمني (٣١٧) فكتب الى امرأة جوسلين

وابنها ليأمرا غريغوريوس جاثليق الارمن وهو في دير البحرة ان يذهب ويقيم عنده ويساعده. لكن الجاثليق خان ميخائيل واحتلّ كلّ ما له وطرده واستبدّ بروعي قلعة .

وفي السنة ٥٤٤ للعرب (١١٤٩م) انتزع سيف الدين بن زنكي صاحب الموصل مدينة دارا من تيمورطاش صاحب ماردين ثم زحف الى ماردين وحاصرها فزفّ اليه تيمورطاش ابنته وهادنه . وما كاد يصل الى الموصل حتى ادنف ومات وخلفه قطب الدين مودود اخوه فاقترن بابنة تيمورطاش . وعند ذاك ارسل احد زعماء الموصل الى نور الدين ليتوجه من حلب الى تلك المدينة . فركب مع سبعين فارساً ووصل الى سنجار واحتلها وبعث الى قرا ارسلان صاحب الحصن ووعده بقلعة هيتم اذا اقبل الى مساعدته . امّا قطب الدين اخوه فحشد الجنود ومشى الى تل عفر ليبارز نور الدين فتوسّط الزعماء وقرّروا حمص لنور الدين وانتزعوها من سيف الدين . وردّ نور الدين سنجار الى قطب الدين وانقلب الى حلب .

وفي ٢٣ آب تلك السنة حدث فيضان في حصن زياد جرف صبياً مع امّه وبغلين وحماراً وهلكوا جميعاً . وفي السنة ١٤٦٢ لليونان (١١٥١م) حملت على صاحب ايزنجي امرأته وخنقته بوتر القوس واستحضرت اخاه من ديباريجي واقترنت به وملكته مكان زوجها الاول .

وسار اميرٌ تركيّ الى دير سيريكا اليونانيّ في بنطس وانتزع منه الصليب الذهبيّ الذي كان ينطوي على قطعة معتبرة من خشب الصليب تجري العجائب الكثيرة بواسطته . ولم يردّها الى الرهبان الّا بعدما استنزف منهم كمّية من المال وافرة . ولقد خجل اليونان الذين يجدّفون على مار برصوما ويقولون : لو كان قادراً على صنع العجائب لما ترك جوسلين (٣١٨) يسلب ذخيرته !

وفي تلك السنة زحف نور الدين الى ضواحي دمشق وارسل الى اهاليها يقول : اني ما أتيتُ لاحاربكم بل لاكشف العار عنكم اذ انكم ما برحتم تؤدّون الجزية للفرنج وقد أمسى بنوكم وبناتكم أسرى عندهم لا يساعدهم احد . فارسل اليه الدمشقيون يقولون : اننا متمتعون في بحابح الامان مع الفرنج ولسنا في حاجة الى مساعدتك . فاتركنا وارجع الى حلب والّا فاننا مرسلون

الى الفرنج ليأتوا ويتّفقوا معنا على مناهضتك . فاستشاط نور الدين سخطاً وحاول ان يحاصر المدينة لكنّ الله سبحانه اهبط من السماء وابلاً من الامطار متواصلاً ثبّطه عن انجاز عزمه . ثم سار اليه زعماء دمشق وهادنوه بان يخطبوا له بعد الخليفة والسلطان فتركهم وانقلب الى حلب .

وفي السنة ١٤٦٣ لليونان (١١٥٢ م) برز الفرنج ثانيةً من رومية ساخطين على اليونان المكّارين واقبلوا الى ضواحي قسطنطينية واحرقوها جميعها ثم وافوا الى فلسطين واحرقوا قرى جمّة في عسقلان وفتكوا بجمهور غفير من الاتراك والعرب . وساروا كذلك الى مصر واخربوا واحرقوا قرى كثيرة في غربيّها وعادوا الى وطنهم .

وفي السنة عينها مات دولة صاحب ملطية وخلفه ذو القرنين ابنهُ . فسمع مسعود سلطان قونية وهجم على يعقوب ارسلان اخي دولة وأخضعه ثم نازل ملطية وأفسد ارباضها فخرجت اليه امّ الفتى وهي ابنة اخيه وتوسّلت اليه بشأنه فقال لها السلطان : اذا أتى اليّ خاضعاً قبلتُه وتركتُ له المدينة. فخرج اليه الفتى حاملاً سيفاً وكفناً . فرحّب به وأيّده وتركه وانصرف . هكذا استحوذت امّه على المدينة واساءت الى النصارى والعرب بالضرائب وحشدت نساء ساحرات عرّافات (٣١٩) تتأن لها بانها ستملك وتتبع مَن تشاء . فنوت ان تفتك بابنها الصغير. غير ان الزعماء اطّلعوا على نيّتها فطردوها مع الساحرات وصحّت فيها آية النبيّ :« امكثي على رُقاكِ وانواعِ سِحرِكِ الذي عُنيتِ به منذ صبائكِ ... قد أُعييتِ من كثرة مشوراتك » (اشعيا ٤٧ : ١٢ و١٣).

وفي هذه السنة هبطت امطار غزيرة جرفت حجاراً ضخمة وتلالاً وصدعت جانباً من الجبل وتدهورت الصخور في الوادي الذي بين ابدهار وترشنا . ووقف مجرى الفرات نحو ثلاث ساعات وبلغت المياه الى قرية فروسيدين المبنيّة على قمّة الجبل. ثم انشقّت السدود بلحف جبل قلودية وفاضت المياه واحدثت خراباً فظيعاً في سوريّة . وفي السنة عينها فتك الوباء باثني عشر الفاً من اهالي دمياط حتى اقفرت من السكان بيوت كثيرة .

وزحف نور الدين تكراراً الى دمشق واحتشد الفرنج ليساعدوا الدماشقة فانقلب راجعاً الى حلب . وفي تلك السنة وهي السنة ٥٤٦ للعرب (١١٥١م)

خرج صلاح الدين من عند نجم الدين ايوب ابيه وهو في بعلبك وسار الى حلب يريد عمّه اسد الدين شيركوه وهذا ذهب به الى نور الدين فرحّب به ورضخ له بعض المال لمعاشه .

وفي السنة ١٤٦٤ لليونان وهي السنة ٥٤٧ للعرب (١١٥٣م) حصل نزاع بين ملك اورشليم وامّه فتحصّنت في برج داود فتوسّط الاقطاب وقرروا لها اورشليم ولابنها سائر المدن ورعاية الجيش . فسار الى عسقلان وهي للعرب المصريّين واقام برجاً خشبياً ومنجنيقات واحدث هناك ترعةً طفر اليها اربعمائة من الاخوة الفرير (الهيكليّين) فوثب اليهم العرب وهم عشرون الفاً مدجّجون وفتكوا بهم (٣٢٠) فتأثّر الملك اشدّ التأثّر وكاد يترك المدينة فنشّطه احد المحاربين . ثم تولّى الفرنج حراسة الترعة ولم يَدَعوا العرب يرمّونها . وعند الصباح حمل الملك الصليب تجاه المدينة ونادى قائلاً : من لم يتبع الصليب لا يُعَدّ مسيحيًا. فوثبوا باجمعهم ودخلوا المدينة واجهزوا على زهاء خمسة عشر الفاً من العرب وانهزم بقيتهم في السفن الى مصر . والحقيقة التاريخية هي ان الفرنج احتلوا عسقلان عام ٥٤٨ للعرب اعني في السنة ١٤٦٥ لليونان (١١٥٤م) لكن البطريرك ميخائيل ذكر ذلك في السنة ١١٥٣ م وبسبب هذه النصرة التي أحرزها ملك اورشليم أُنيطت به كذلك امارة انطاكية وزُفّت اليه ارملة صاحبها .

وسار توروس الارمنيّ صاحب قيليقية الى قبدوقية وغزا الاتراك وعاد الى بلده .

وزفّ مسعود سلطان قونية ابنته الى يعقوب ارسلان واتّفقا معاً على الزحف الى قيليقية . غير ان الارمن سبقوا فاقاموا حراساً في كلّ الانحاء مما اضطرّ الاتراك ان ينقلبوا راجعين من الثغور مأيوسين . بناء عليه تشدّد توروس وانتزع من اليونان ما بقي لهم في تلك الاطراف . فثار ثائر منوئيل الملك ووجّه الى قيليقية اندرونيقس القائد وكان من الأسرة المالكة . وتجهز الارمن والفرنج ونازلوا اليونان على باب طرسوس وتغلّبوا عليهم وقتلوا منهم نحو ثلاثة الاف وانهزم بقيتهم في البحر .

وفي هذه السنة ولدت عنزةٌ جدياً ذا ثلاث عيون وفمّين . وحدث وباء قتّال في قيليقية وفي قونية .

وفي تشرين تلك السنة سار الرجال والنساء في الفرات قادمين من حصن زياد الى جوباس ليحضروا موسم مار اغريباس فغرقوا جميعاً في النهر واختنقوا وغلب على الكثيرين الريب في الدين . فكتب أيمّة الكنيسة احتجاجاً ذا ثلاث نقاط الاولى: يجب ان لا ننتقد احكام الباريء تعالى (٣٢١)غير المدركة. والثانية : ان اولئك الرجال والنساء لم يذهبوا ليتبرّكوا في تذكار الشهداء يومئذ بل ليتنزهوا ويتهتّكوا . والثالثة : يجب ان لا نحصي في عدد الهالكين مَن يحكم الربّ بان موتهم خيرٌ من حياتهم.وانما يهلك الوثنيون لا المؤمنون.

وفي السنة ١٤٦٥ لليونان (١١٥٤ م) زحف مسعود سلطان قونية في جيش تركيّ جرّار الى قيليقية . ولمّا وصلوا الى تلّ حمدون وضايقوا اهاليه ضربهم الله تعالى بان سلّط عليهم البقّ والذبّان كما جرى للمصريّين في عهد موسى الكليم . وفسد المناخ مدّة ثلاثة ايام ودبّ الوباء فيهم وفي خيلهم فتركوا اثقالهم وانهزموا وانحدر توروس والارمن من الجبال وظلّوا يفتكون بالبقيّة الباقية حتى أعيَوا وساروا بعد ذلك الى جبدانية او هي دوالو وغزوا الاتراك ورجعوا .

وفي هذه السنة احتلّ الفرنج عسقلان طبقاً للحساب المدقّق وظلّت في حوزتهم خمساً وثلاثين سنة ثم اخذها صلاح الدين .

وفي السنة عينها وهي السنة ٥٤٨ للعرب (١١٥٣ م) مات حسام الدين تيمورطاش صاحب ماردين وخلفه ابنه نجم الدين ألبي . وشدّد في اوّل الأمر على المسيحيّين ثم أمر اولاده حين وفاته ان يحسنوا معاملتهم ولا يلحقوا بهم أذى . قيل ان مار آباي ظهر له ليلًا واوصاه بذلك . وتولّى جمال الدين ثاني ابنائه مدينة حاني وصمصام ثالث ابنائه مدينة دارا .

وفي السنة ١٤٦٦ لليونان (١١٥٥ م) مات مسعود سلطان قونية وخلفه ابنه قلج ارسلان . وتعذّر عليه مبارزة آل دنشمند ويعقوب ارسلان حتى سار نور الدين واحتلّ فرزمان وعينتاب دون حرب .

وفي السنة ٥٤٩ للعرب (١١٥٤ م) انتزع نور الدين دمشق من صاحبها مجير الدين حرباً . ذلك انه اثار باديء بدء خلافاً بينه وبين زعمائه وجعل يكتب اليه سرًّا أن احترس من مكر فلان وفلان وفلان لانهم يكاتبونني

ويريدون ان يسلّموني المدينة . وانا لا أرى ان اترك مناوشة الفرنج واحارب العرب . وبمثل ذلك غرّ مجير الدين المسكين وفتك بقوّاده واحدًا واحدًا ولم يبقَ من يعارضه فزحف الى دمشق واحتلّها بسهولةٍ . وولّى مجير الدين صاحبها بعض قرى حمص ووجّهه اليها. وقد عامل نور الدين الدمشقيّين بالحسنى فسُرُّوا به معتقدين انه يتغلّب على الفرنج .

وفي هذه السنة قُتل الظافر بن الحافظ خليفة مصر وخلفه عيسى ابنه الصغير وهو في الثالثة من سنّيه وسُمّي الفائز . وتولّى وزارته العبّاس في غياب فارس الدين الامير الكبير. فسخط هذا على العبّاس وتهدّده لانه جعل يتصرّف دون مشورته . فتخوّف العبّاس واخذ امواله وخرج في ثلاثة آلاف من الارمن وبعث يستنجد بنور الدين. غير ان المصريّين تتبّعوه فشدّ عليهم الارمن وفتكوا باغلبهم . ثم تطوّح العبّاس ورجاله في الصحراء باغواء هاديهم وادركهم الجوع والعطش وجرى لهم ما جرى ليوليانس الجاحد . ولمّا ذهب بهم نحو عسقلان برز اليهم الفرنج ولمّا لمح الارمن الصلبان في رؤوس الارماح القوا عنهم السلاح وامتزجوا بهم . وقُتل يومئذٍ من العرب زهاء خمسة آلاف . وقبض الفرنج على العبّاس وباعوه من المصريّين فاعتقلوه وفتكوا به .

وفي تلك السنة سار الخليفة المقتفي الى تكريت وحاصرها حصارًا شديدًا وقوّض ابنيتها وصوّب القتال نحو قلعتها. فارسل محمّد شاه ابن السلطان مسعود الى امراء الموصل يقول : ان آبائي (٣٢٣) قد ولّوكم هذه البلاد لتنجدوهم . والآن فلم يبقَ لنا في ارض سنعار كلّها سوى قلعة تكريت والخليفة يحاول انتزاعها منّا . فنرغب ان تحضروا دون تربّث وتدفعوه عنها. عند ذلك احتشد المواصلة وزحفوا الى تكريت فسمع الخليفة وملكه الذعر فترك اثقاله وعُدَدَه وهرول عائدًا الى بغداد .

وبعد ايام حشد اميرٌ تركيّ زهاء اثني عشر الفًا وأرسلهم الى تكريت فانقذوا ارسلان شاه بن طغرل السلجوقيّ من السجن لانه يتحدّر من سلالة الدولة السلجوقيّة . وخرج الخليفة كذلك في جيوشه الى لقائهم. وظلّوا ثمانية عشر يومًا في طريق خراسان تجاه بعضهم ثم تبارزوا فانكسر أصحاب الخليفة وحاول الفرار فتوسّل اليه رجلان من حشمه ان يتربّص هنيهةً ومضيا به مع

حصانه الى ما قدّام على كره منه . فتشجع البغداديون وكرّوا على الاتراك وهزموهم واحتووا على اثقالهم جميعها وكانت فيما قيل اربعمائة الف خروف سوى البقر والجمال .

وفي هذه السنة كانت مياه دجلة تسيل كالدماء الحمراء . ونبع دمٌ من الارض في بلد واسط وغيره .

وفي السنة ١٤٦٧ لليونان (١١٥٦م) تحرّش العرنس صاحب انطاكية بتوروس صاحب قيليقية يطالبه بالحصون التي انتزعها الارمن من اليونان واليونان من الفرنج ليولّي عليها الاخوة الفرير لانهم يقاتلون في سبيل جميع المسيحيّين . فتمنّع الارمن واصطدموا مع الفرنج عند باب سقنطرون فانكسر الارمن وانهزم توروس ثم تصالح الفريقان وتولّى الاخوة الفرير تلك الحصون .

وفي تلك السنة سار صاحب مرعش (٣٢٤) الى احدى قرى الارمن . فحشد اسطفان اخو توروس جيوشه ومضوا ليلًا واختفوا في البيوت . ولمّا فُتح باب القلعة صباحاً نهضوا ودخلوه واحتلّوا السور الخارجيّ وجعلوا يحفرون داخلًا . وبلغهم اذ ذاك ان الامير قادم في جيش تركي فملكهم الرعب وخافوا ان يُحصَروا ما بين السورَين ويتناوب الداخلون والخارجون في مبارزتهم . بناء عليه نهبوا المدينة واضرموا النيران في البيوت وفي سائر ما تعذّر عليهم نقلهُ . واستاقوا الاهالي جميعاً وانهزموا . وقد استاق الارمن الجثاء . من الجملة المطران ديونيسيوس ابن الصليبيّ فتمكّن من النجاة راجلًا الى دير كاليسيور . ونظم ثلاث قصائد في خراب مرعش هذا لانه كان راعيها يومئذٍ . ولمّا وصل الاتراك عاملوا المسيحيّين بالحُسنى وردّوا الى الارمن العائدين الى بلدهم جميع بيوتهم وكرومهم واراضيهم . غير انهم سلخوا قسيساً ارمنياً وهو حيّ وبتروا لسانه ويديه ورجليه واحرقوه بعد ثلاثة ايام بالنيران . وما ان بلغ الارمن ذلك حتى عاملوا هم كذلك بعض الاتراك مثل تلك المعاملة الجافية .

وفي تلك السنة سُلخ حيّاً قسيس آخر ارمنيّ في ملطية . ذلك لانه أغرى فتاةً خُطبت حديثاً ومضى بها الى الكنيسة وحاول افتضاضها . فاخذت المسكينة تصرخ مستغيثةً . لكن النجس وضع يده على فمها حتى اكمل شهوته . وبعد هذا شاهدها على آخر رمق فأجهز عليها وبتر اذنيها وبعض اصابعها وقد تورّمت

وتعذّر عليه نزع الخواتم عنها فاخفاها جميعاً في تنديل . ثم لفّ جثمانها في خافر وجعله ضمن المذبح . وبعد ساعة جعل حمّواها وابواها يفتّشون عنها فقال لهم بعض الصبيان الذين كانوا يلعبون في الزقاق : قد رأيناهـا دخلت الكنيسة (٣٢٥). فسألوا ذلك القسّيس فقال : نعم دخلت الكنيسة ولمّا شاهدتني غلب عليها الحياء فسارعت في الانصراف ولم تتوقّف . فصدّقوا كلامه تصديقهم كلام كاهن وجعلوا يطوفون المدينة ويبحثون في بيوت الانسباء عنها . ثم شاهدوا ذلك القسّيس النجس متحذّياً بنعال خارجاً من باب المدينة فقبضوا عليه ومضوا به الى الحاكم فصفعه بعض صفعات حتى أقرّ وأراهم جثمان الفتاة واذنيها واصابعها . واحتشد جماهير العرب والمسيحيّين رجالاً ونساء وشيّعوهـا ببكاء مرٍّ ومراثٍ مؤثرة ودفنوها . أمّا القسّ النجس فقد سلخوه وقطعوه إرباً إرباً واحرقوه وهو حيّ حتى هلك .

وفي السنة ١٤٦٨ لليونان (١١٥٧ م) سار البرنس صاحب انطاكيـة الى قبرس وهي لليونان وسبى اهاليها جميعاً في غنمهم وبقرهم وخيلهم وامتعتهم ولمّا بلغوا الى ساحل البحر أدّى القبرصيّون ذهباً وافراً انقاذاً لنفوسهم لا غير فأغمض عنهم الفرنج واكتفوا بأموالهم ومواشيهم . واستاقوا الاساقفة ورؤساء الاديار والزعماء الى انطاكية بمثابة رهائن ريثما استوفوا ما طلبوا .

وفي السنة ١٤٦٩ لليونان (١١٥٨ م) حاول اسطفان الارمنيّ ان يفتك باخيه توروس . فشعر اخوه وقبض عليه واعتقله عشرة شهور ثم سرّحه تلبيةً لطلب الفرنج وانضمّ الى جيشهم .

وفي السنة ٥٥٢ للعرب (١١٥٧ م) حدثت في سورية زلازل عنيفة . ففي حماة هبطت قلعتها وبيوتها جميعها على الشيوخ والفتيان والنساء واهلكت ربوات من اهاليها . وسقطت كذلك قلعة شيزر برمّتها ولم ينجُ من اهلهـا سوى امرأة واحدة وحاجبٍ واحد . اما الحمصيّون فسارعوا الى ظاهر المدينة ونجوا وتلفت دورهم وقلعتهم . وانهزم الحلبيّون من المدينة وظلّوا اياماً خارجاً عنها وافلتوا من الموت . وقد تقوّضت بيوتهم وهلك منهم خمسمائة نسمة فقط . ولم ينجُ احد من اهالي كفرطاب وافامية (٣٢٦) وخربت بيوت كثيرة في رحبوت . واجتيح من مدن الفرنج حصن الاكراد وعرقة ولم يبقَ في اللاذقيـة سوى

كنيستها الكبرى ونجا جميع اهاليها وانفخت ارضها وظهرت فيها مهواة مملوءة وحلّا انغمس في وسطه صنم مسبوك. وتضعضعت اغلب بيوت انطاكية وطرابلس.

وفي تلك السنة مات جوسلين مسجوناً في حلب بعدما ادّى توبة نصوحاً كما ذكر اغناطيوس اسقفها الذي زوّده بالاسرار المقدسة(١).

وفي هذه السنة وصل السلطان محمّد ابن السلطان محمود في جيش جرّار الى بغداد وحاصرها اربعة اشهر وضايقها جدًّا. على ان بعض اقطابه أغروا الخليفة بالعطاء وثبّطوه عن الحرب. وبلغهم الخبر اذ ذاك بان ملكشاه اخا السلطان قد احتلّ همذان وسباها واختطف نساء الزعماء.. فارتخت عزائم السلطان وغادر بغداد فتتبّعه جيوش الخليفة وفتكوا بكثيرين من الاتراك دون شفقة. ذلك لِما احدثوه من الخراب غربي العاصمة حيث كانوا مخيّمين. هذا فضلًا عن ارتكابهم الفحشاء من النساء ضمن المساجد وتجاه رجالهنّ دع ما احدثوه من القتل واحراق الدور.

وفي هذه السنة مات السلطان سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان بن داود على اثر افلاته من يد الترّ الذين سبقوا فاعتقلوه.

وفي السنة ١٤٧٠ لليونان (١١٥٩ م) زحف منوئيل ملك اليونان الى قيليقية واسترجع طرسوس وعين زربة وغيرهما واقام هناك الشتاء. كله وتوروس الارمني منهزم. وتوجّه ملك اورشليم وامير انطاكية وبطريرك الفرنج الى زيارة منوئيل واتّفقوا معه وصالحوه مع توروس واحضروه اليه فأقامه قائدًا لجميع الجيوش اليونانيّة في ساحل البحر. وأجمع اليونان والفرنج والارمن على الزحف الى حلب (٣٢٧) ودمشق وسائر المدن السوريّة. وبلغهم الخبر يومئذٍ بان اليونان يحاولون اقامة ملكٍ آخر فسارع الملك منوئيل في العودة الى عاصمته ولم يكمل ما عوّل عليه بالاتّفاق مع الفرنج والارمن.

وفي نيسان تلك السنة حدث طوفانٌ في بغداد ضعضع بعض جدران بلاط الخليفة وانهزم الاهالي الى غربي المدينة حاملين المرضى والعجائز والصغار على الاكتاف خوفاً من الغائلة. وبلغت اجرة الزورق في احد المعابر اربعة دنانير ذهباً.

---

(١) راجع صفحة ٢١٦

وفي السنة ١٤٧١ لليونان (١١٦٠م) اصطلح ابن جوسلين الأسير على الخروج من حارم والعيث في اطراف حلب. فاقام له نور الدين كميناً قبض عليه وألقاه في الجبّ الذي كان فيه والده. وفي اذار تلك السنة وهي السنة ٥٥٥ للعرب لليلتين من ربيع الأول مات الخليفة المقتفي بداء الخُناق وخلفه ابنه المستنجد.

بعد المقتفي المستنجد ابنه

تولّى اثنتي عشرة سنة. وما كاد يتوفّى والده حتى سارع ليشاهده في غرفته. غير ان امرأة ابيه والدة اخيه الصغير وهي تركيّة هيّأت جواريها في السكاكين وتأهبن ليفتكن بالمستنجد حالما يدخل الغرفة فتصبح الخلافة لابنها. على ان احدى تلك الجواري خرجت مسرعة واخبرت المستنجد فحشد الجند وقبض على اخيه واعتقله وسجنه. ثم قصد اولئك النساء وسجنهنّ واحدةً فواحدةً وأجهز على بعضهن وتأيد في الخلافة.

وفي السنة ١٤٧٢ لليونان (١١٦١م) توجّه سير آموري شقيق ملك اورشليم الى مصر واحتوى على اموال جزيلة وعاد. وما عتم ان مات الفائز خليفة مصر وارتضى المصريّون ان يؤدّوا للفرنج كلّ سنة مائة وستين الف دينار ذهباً.

وزحف جورجي ملك الكرج الى آني وانتزعها من (٣٢٨) الاتراك وغنم غنائم جمّة واعتقل الكثيرين من العرب وعاد الى بلاده.

وامتاز جمال الدين الامير الموصلي بعطفه وحسناته الوافرة فارسل المفريان اغناطيوس سفيراً الى جورجي المذكور ليفتدي الأسرى العرب. فرحّب به جورجي اجمل ترحيب وأطلق الكثيرين من الأسرى مجاناً واعاده في هدايا الى الامير وبعث معه سفراء كرجيّين استقبلهم الامير أحسن استقبال. ووصل المفريان والسفراء الى الموصل والصلبان تتلألأ في رؤوس الارماح ما انعش المسيحيّين وابهج العرب خصوصاً بتسريح أسراهم.

وظهر آننز سارق فرنجي في بغراس وحاول الفرنج ان يقبضوا عليه لكنه انهزم يريد نور الدين وانقلب من عنده في بعض الاتراك ليتلصّصوا بضواحي انطاكية فوضع له الفرنج كميناً قبض عليه واحرقه بالنار.

وفي تشرين الاوّل ١٤٧٣ لليونان (١١٦٢ م) مات ذو القرنين صاحب ملطية وخلفه ابنه الصغير . امّا قلج ارسلان سلطان قونية فلمّا عرف ان يعقوب ارسلان وسائر الأمراء يحاولون خلعه ليقيموا اخاه بدلاً منه سار الى قسطنطينية وتحمّى له اليونان . وظلّ هنـاك ثمانين يوماً يرسل اليه الملك كلّ يوم الطعام مرّتين في اطباق ذهبيّة وفضيّة جديدة ويشير بابقائها لديه . وظلّ كذلك طول اقامة السلطان في العاصمة . وفي اليوم الاخير تناول الملك والسلطان طعام الغداء معاً على مائدة واحدة . ثم أسنى اليه الملك آنية وزخارف وتحفاً ثمينة وأهدى الى الاتراك وعددهم الف تركيّ عدّة هدايا . وعاد السلطان الى عاصمته فأدّى له يعقوب ارسلان الطاعة وتهادنا .

وأولم في تلك الغضون اندرونيقس اليونانيّ حاكم طرسوس وليمةً لاسطفان اخي توروس صاحب قيليقية (٣٢٩:١) . وشوهد اسطفان آنئذٍ مقتولاً ومطروحاً على باب المدينة . فاحتدم توروس غضباً وفتك باكثر من عشرة آلاف يونانيّ . ثم اقبل ملك اورشليم واصلح ذات البين بين الارمن واليونان .

وفي السنة ١٤٧٤ لليونان (١١٦٣ م) حاصر قرا ارسلان صاحب حصن زياد مدينة آمد حصاراً شديداً . وحصل اذ ذاك خلاف بين عسكره اضطرّه ان يترك المدينة وينقلب راجعاً . وزحف يعقوب ارسلان الى بلد قرا ارسلان وانتزع منه قلعة شوموشكي وأجلى زهاء مائة الف نسمة وترك القرى قفراء . وعاد . وكان في جملة مَن أجلى اغناطيوس مطران تلّ ارسانيوس فأعاده من قام الى ملطية واعاد كذلك مطران حصن زياد بعد يومَين .

وكانت امرأة البرنس المسجون في حلب تخاصم يومئذٍ ابنها وتزاحمه في الولاية فعارضها الزعماء . فوجّهت الى ملك اليونان صهرها ليأتي اليها ويتولّى انطاكية . وما ان شعر البطريرك والاقطاب حتى استدعوا توروس من قيليقية فأقبـل الى انطاكية ونفى الملكة وأيّد ابنها في الامارة .

وفي السنة ٥٥٨ للعرب (١٢٦٣ م) حشد نور الدين جيوشاً من الاتراك كثيفة وسار الى حصن الاكراد يريد غزو ضواحي طرابلس . واذ كانوا ذات يوم مجتمعين مطمئنّين في خيامهم انقضّ عليهم الفرنج في صلبانهم فهلعوا وانذعروا . امّا نورالدين فلمّا شاهد ألوية الفرنج قفز من خيمته في معطفه دون قميص وركب

حصانه وهو معتلّ كالعادة فبادر احد الاكراد وقطع الرُبُط فانهزم نور الدين وافلت . ولحق الفرنج ذلك الكرديّ وأجهزوا عليه وعلى الكثيرين من الاتراك واوثقوا البقيّة واستاقوهم الى طرابلس .

وفي السنة ١٤٧٥ لليونان (١١٦٤م) باغت الموت يعقوب ارسلان عند نهر سانجر على شاطئ (٣٣٠) نهر أليس . وخلفه اسمعيل حفيد اخيه واقترن بامرأته وهي بنت السلطان .

واحتشد يومئذٍ خمسة زعماء هم : البرنس صاحب انطاكية وقمص طرابلس وتوروس صاحب قيليقية ودوقاس اليوناني صاحب طرسوس والمستر رئيس الفرير وزحفوا في ثلاثة عشر الف فارس وراجل ليناوشوا نور الدين وهو يحاصر حارم. فانكسر الفرنج اقبح انكسار وقبض الاتراك على القمص وعلى دوقاس والبرنس ومضوا بهم الى حلب. وفتكوا بالاخوة الفرير قاطبةً. وافلت توروس الى انطاكية . وقد أقام بطريرك الفرنج مناحة عامّة وحطّم النواقيس وأبطل الصلوات . امّا نور الدين فقد احتلّ حارم ودير سمعان واستاق الرهبان والاهالي عبيدًا .

وفي السنة ٥٥٩ للعرب (١١٦٣ م) وجّه نور الدين الى مصر الامير أسد الدين شيركوه اخا نجم الدين ايوب ابي صلاح الدين . وكان الاخوان شيركوه وايوب وَلَدَا شادي كرديّين اصلهما من دوين مدينة بارمينية . تولّيا خدمة مجاهد الدين بهروز الحاجب امير تكريت محبّ النصارى . واتّفق ان شيركوه قتل رجلًا نصرانيًا تكريتيًّا عزيزًا على قلب الامير،وانهزم مع اخيه الى الموصل فرحّب بهما زنكي وعظم امرهما لديه . وبعدما احتلّ زنكي بعلبك استعمل على قلعتها نجم الدين ايوب وظلّت بيده حتى موت زنكي فسلّمها الى صاحب دمشق . وتولّى اسد الدين شيركوه اخوه خدمة نور الدين ثم استعمله على حمص ورحبوت . وقد ساعد ايّوب نور الدين في احتلاله دمشق وكان الاخوان معزّزين لديه .

فلما دعت الحاجة الى ارسال الجيوش الى مصر بسبب ضعف المصريّين واقبل وزيرها شاور يستنجد بنورالدين سيّر معه شيركوه (٣٣١) . وما عتم ان احسّ شاور بان شيركوه يحاول احتلال مصر فبعث يهادن الفرنج ويغض عنه

وأبى ان يدفع له ما وعده به من الذهب والاماكن المقاومة . عند ذلك ارسل شيركوه جيوشه الى مدينة بلبيس واحتلّوها . وارسل شاور الى ملك اورشليم فزحف في جيش كثيف وانهزم شيركوه وتحصّن في بلبيس . ثم اتفق المصريون والفرنج وحاصروه هناك ثلاثة اشهر . على ان ملك اورشليم لما بلغه ان الفرنج انكسروا في حارم واعتُقلوا رخّص لشيركوه ان يغادر بلبيس ويعود الى بلده ويدع مصر للمصريين فوافق على ذلك دون تردّد وانقلب الى دمشق .

وفي السنة ١٤٧٦ لليونان (١١٦٥م) زحف قلج ارسلان سلطان قونية الى جادوج وابلستين وطورنده واحتلّها وجعل يعادي بني دانشمند .

واحتلّ نور الدين بانياس وعززها . وغزا توروس الارمنيّ مرعش واعتقل اربعمائة تركيّ وارسل الى نور الدين يقول : اني مزمع ان أحرقهم او تردّ اليّ الزعماء المسيحيّين الذين عندك . فاضطرّ نور الدين ان يطلق كلّ من كانوا لديه بمائة الف دينار وفي جملتهم بوهيمند البرنس الفتى . وسار هذا الى قسطنطينية لزيارة حميه ملك اليونان . فجاد عليه الملك باموال وافرة وعاد الى انطاكية مستصحباً اثناسيوس بطريرك اليونان . فارتاب بطريرك الفرنج وارتحل الى قلعة القصير وارسل فابرم الحرم على الانطاكيّين الفرنج .

وفي شباط تلك السنة توفّي امين الدولة ابن التلميذ الطبيب المسيحيّ في بغداد بالغاً التسعين . وكان متضلّعاً في مختلف العلوم ووحيد عصره في الطب وخبيراً راسخاً في الفصاحة ونحو العرب وشعرهم (٣٣٢)لا ينقصهم علماً وفضلاً . وتقلّب ايام حياته في خفض من العيش والقربى من الملوك . قيل ان ابنه سأله قبل وفاته ما الذي يؤلمك ؟ فقال : كمّلة التسعين من عمري . وسأله كذلك : ما تشتهي ؟ فقال : أن أشتهي .

وفي السنة ١٤٧٦ لليونان (١١٦٥م) بلغنا خبر عجيب عن اهالي قرية آليناس ذلك انه لما اجتاحها الوباء بسبب غزارة المياه سار اليهم رجل تركيّ وقال لهم : انجثوا عمّن مات الاول في هذا الوباء . ولما فتحوا قبره وقد مرّ على موته اربعة اشهر شاهدوا جسده باقياً وعينيه مفتوحتين وفمه مفتوحاً نحو شبر واربع اصابع وكفن رأسه وصدره مأكولاً ولحيته مقصوصة ويده اليسرى مبتورة وهي بجانبه . ثم ان ذلك التركيّ سدّ فمه وستره بمسمار ضخم ومنذ إذٍ لم يمت احد في تلك القرية .

وفي السنة ١٤٧٧ لليونان (١١٦٦م) وقعت حرب بين اليونان والبلغار وأصيب الملك منوئيل وسقط عن حصانه . وحاول رجل بلغاري ان يفتك به الّا ان الملك عرّفه انه هو منوئيل وخلف له انه ان مضى به الى قسطنطينية جاد عليه بعوارف جمّة . فأبى البلغاري طلبه وانجز الملك وعده له وزاده اضعافاً . قيل ان هذا الملك خان زوجته الملكة وسقاها سمّاً لانها لم تلد له ولداً ثم اقترن بامرأة ثانية خلافاً لشريعة الملوك .

وفي السنة ١٤٧٨ لليونان (١١٦٧م) وهي السنة ٥٦٢ للعرب وجّه نور الدين تكراراً الى مصر الامير اسد الدين شيركوه وصلاح الدين ابن اخيه . وكان شيركوه يتوق الى ذلك جدًّا فبادر في الرحيل وعبر النيل من الناحية الغربية وسار مطمئناً حتى الصعيد . وعندئذٍ أرسل الوزير شاور (٣٣٣) يستنجد الفرنج فساروا في جنوش كثيفة واتحدوا مع الجيش المصري وزحفوا نحو شيركوه . فاشار الزعما عليه ان يعود راجعاً الى سورية من الناحية الشرقية مصرّحين له بعجزهم عن مقاتلة الفرنج والمصريين جمعاً ومؤكدين له ان الانكسار اقرب اليهم من الانتصار وان جميع الاهالي ضباطاً وفلاحين هم اعداء للاتراك .

وبرز اذ ذاك بنغوش عبد نور الدين وهو شابٌّ شجاع مضارع وقال لهم : تقوا ايها الزعماء بانكم اذا تخلّيتم عن محاربة الأعداء وعدتم غالبين او مغلوبين الى نور الدين فلا بدّ من ان يقطع عنكم المعاش ويطالبكم بما سبق فاعطاكم . فالذي يهاب الخطر لا يصلح ان يكون جنديًا بل فلاحاً او مهملاً يلزم بيته كالنساء . فقال شيركوه : هذا هو رأيي كذلك ووافقه صلاح الدين ايضاً . وحينئذٍ اجمعوا على القتال . واحتشد المصريون والفرنج دون توقّف والتحم القتال بين الفريقين على كرهٍ منهم .

ثم اشار شيركوه الى صلاح الدين ابن اخيه ان ظلّ انت في قلب الجيش مع الاثقال كي يغلب على ظنّ الفرنج والمصريين اني انا هو . ثم لا تلبثوا تجاههم بل أسرعوا فأعطوهم ظهركم ولا تخافوا اذا تتبعوكم لاني انا سأزحف وراءهم . ولما التحم القتال انتقى شيركوه ابطال جنوده ممن اعتمد على بطشهم وجهادهم . وما ان زحف الفرنج والمصريون حتى انهزم اصحاب صلاح الدين وتتبعهم الفرنج والمصريون . وعند ذاك شدّ شيركوه وراءهم وعاد الاولون

كذلك إليهم حتى أمنى الفرنج والمصريون في القلب فطحطحهم الاتراك وكسروهم (٣٣٤) و نهزم من افكنه الانهزام ؛ قيل ان شيركوه لم يكن معه سوى الفي جندي لا غير مع ان الفرنج والمصريين كانوا اكثر من عشرة آلاف .

وبعد هذا سار شيركوه الى الاسكندرية واختلها دون حرب . واحتشد المصريون والفرنج في القاهرة وارسلوا التينة في الضلح على ان يؤدّوا له خمسين الف دينــار ويعود الى بلده وان تبقى الاسكندرية للمصريين وان يؤدي المصريون للفرنج كلّ سنة مائة الف دينار فيعودوا الى بلادهم ويقيموا شحنة وفرساناً يحرسون ابواب الاسكندرية كي لا يطمع بها اصحاب نور الدين فيما بعد : هكذا ترك شيركوه مصر وانقلب الى دمشق .

وفي هذه السنة زحف قرا أرسلان صاحب حصن زياد الى آمد واحتلّ برجين من ابراجها بدهاء حرّاسها : غير ان سائر الحرّاس وثبوا الى الاعداء وفتكوا بهم . فانقلب قرا ارسلان خازياً كئيباً الى بلده وادركته المنون في ١٧ تموز وخلفه ابنه .

وفي كانون الثاني ١٤٧٩ لليونان (١١٦٨ م) مات توروس صاحب قيليقية وكان قد انقطع الى الرهبنة في اواخر حياته وأوصى ان يخلفه ابنه الصغير ويتولى الاشراف عليه توماس ابن خالته وخزم اخاه مليح وراثته . فامتعض وقصد نور الدين وعاد بجيش تركي الى قيليقية وأجلى ستة عشر الفاً من فتيان وفتيات ورجال ونساء وقسوس ورهبان واساقفة واستاق الجميع الى حلب وباعهم ودفع اثمانهم الى الاتراك . وبعد هذا ارسل الارمن فاستدعوه وولوه نصف البلاد فأقسم لهم انه يترك النصف الثاني للفتى : غير انــه أخلف في أقسامه واحتلّ البلاد كلّها وفقأ عيون الكثيرين من الاساقفة والاعيان وبتر ايديهم وارجلهم وسلخ البعض احياء والقاهم الى الوحوش .

وفي السنة ٥٦٣ للعرب (١١٦٧م) شاخ (٣٣٥) زين الدين الامير التركي قيّم قطب الدين صاحب الموصل وطرش وعمي. وتخلّى لقطب الدين عن سنجار وحران والعقر وحصون الهكارية وتكريت وشهرزور واكتفى باربيل وحدها اذ كانت في حوزته منذ عهد زنكي وانتقل اليها وفيها قضى اجله . وخلفه ابنــه مظفّر الدين وأصبح قيّمه مجاهد الدين . وكان زين الدين ممتازاً بعدله

وحسناته وسخائه . متوخياً السذاجة في تصرفه . جاءه يوماً فارسٌ بيده ذنب حصان وذكر له ان حصانه قد هلك فأمر ان يُعطى حصاناً آخر . ثم ذهب ودفع ذلك الذنب الى فارسٍ ثانٍ أتى به كذلك الى الامير فأمر له بحصانٍ . وهكذا تناوب اثنا عشر فارساً في الذهاب بالذنب والحصول على حصان جديد. على ان الامير قال لآخر واحدٍ منهم : لقد استغربتُ انكم لم تخجلوا مني خجلي منكم . فقد عرفتُ ان الذنب عينه أُحضر اليَّ اثنتيْ عشرة مرّةً ومع ذلك كله لم اخجلكم وارفض طلبكم بل اجزلت لكم العطاء. كمن يؤدي فرضاً لازباً ولم اثقل على احد منكم . وجاءه يوماً شاعر وانشده قصيدةً فقال له : اني لم افهم ما قلتَ ولكني عرفتُ انك تطلب شيئاً . ثم امر له بخمسمائة دينار وحصانٍ وكسوةٍ قيمتها كذلك خمسمائة دينار .

وفي السنة ١٤٨٠ لليونان (١١٦٩م) انتزع قلج ارسلان سلطان قونية من بني دنشمند مدينتي قيسارية قبدوقية وسيناذو . وفي السنة عينها وهي السنة ٥٦٤ للعرب انتزع نور الدين قلعة جعبر من شهاب الدين الامير المعدّيّ المتصل ببني عقيل واعطاه بدلًا منها سروج والملاحة وباب بزاعة وعشرين الف دينار . واقام شهاب الدين زماناً (٣٣٦) في سروج وسأله بعض اصدقائه : ايّ البلدين أطيب لك ؟ فقال ان ههنا الوارد اكثر ولكننا تركنا العزّ في القلعة . وفي السنة عينها انتزع قلج ارسلان من اليونان انقرة وتنقار .

وفي تلك الغضون ارسل الفرنج المقيمون في مصر والاسكندرية لاجل جباية الضرائب وحراسة الابواب يقولون لآموري ملك اورشليم ان البلد خالٍ من الجيوش وان في استطاعتكم احتلاله . وانتوى الزعماء ان يلبُّوا الطلب . غير ان الملك الحكيم ثبّطهم وقال : ان اموال مصر تأتينا عفواً صفواً واذا زحفنا اليها فلا بدّ من ان العرب بسبب حقدهم علينا يستجيرون بنور الدين ويكتبون اليه في الحضور فيثب الينا المصريّون والغرباء جميعاً ويتغلّبون علينا . غير ان الزعماء لم يذعنوا لمشورته بل قالوا اننا سنحتلّ مصر قبل ان يُعدّ نور الدين العدّة للقدوم . هكذا تغلّبوا على الملك واحتشدوا وساروا في الرحيل واحتلّوا بلبيس وانتهبوها وأجلوا اهاليها ثم ساروا الى القاهرة وحاصروها فخاف المصريون ان يحدث لهم ما حدث لاهالي بلبيس وشجّع بعضهم بعضاً واصطفّوا

فوق الاسوار وجاهدوا أقوى جهاد حتى ان العاضد خليفة مصر قص ضفائر نسائه وبناته وبعث بها الى نورالدين يقول : ان نسائي يتذللن باكيات بدموع مدرارة ويلتمسن ان تسارع الى اغاثتهن وتنقذهن من ايدي الفرنج . غير ان نور الدين ظل شهرين يحشد الجنود وبسبب تمهله هذا واشتداد القتال كتب شاور وزير مصر الى آموري وزعماء الفرنج يقول : انكم عالمون بمودتي لكم . ولو عرفتُ ان العرب يطيعوني لتخليتُ لكم عن مصر دون تريث . لكني (٣٣٧) اعتقد انهم اذا سمعوا شيئاً من هذا القبيل اهلكوني لا محالة . فأرى اذن من الموافق ان تقبضوا من الذهب ما شئتم وتعودوا الى بلادكم وتقيموا لكم وكلاء يجبون لكم الجزية كالسابق . ولا يخفى عليكم انه اذا جاء نور الدين واحتل المدينة فحينئذٍ تخسرونها وتخسرون الجزية معاً .

اقتنع الفرنج وعقدوا الصلح وفرضوا على المصريين الف الف دينار . ودفع لهم شاور مائة الف دينار حالاً وقال : اذا تركتمونا وانصرفتم فانا اجمع بقية الذهب وابعث بها اليكم . وعلى هذا الاتفاق غادر الفرنج مصر وعادوا الى بلدهم .

ولما سمع ذلك نور الدين ظل يرسل الجيوش الى مصر لانه كان يضمر لهم السوء لا الخير . ولذا سيّر شيركوه في جيوش ضخمة وسيّر معه صلاح الدين ابن اخيه . ولما وصل شيركوه الى مصر زار الخليفة العاضد واحتفى لديه وجعل يملئه بكلمات لا تحلو بطائل ولا سيما لان الوزير شاور المتولي توزيع الارزاق لم يكن يؤدي للخليفة وحشمه شيئاً من المال . وكان يحاول ان يولم وليمة لاسد الدين ويقبض عليه وعلى ابن اخيه لكن ابنه تنبطه عن انجاز اربه . اما صلاح الدين فكان يريد ان يفتك بشاور ولكن شيركوه عمه نهاه عن ذلك . وذهب ذات يوم شاور لزور شيركوه كالعادة ولم يصادفه اذ كان قد توجه ليتبرك بقبر احد مشايخ دينهم . وبعد هذا ركب شاور وركب معه صلاح الدين وفيما هما يتحدثان القاه صلاح الدين عن حصانه وأوثقه ولم يرَ ان يفتك به دون امر عمه . على ان عمه قال له : اننا لا نستطيع ان نعمل شيئاً دون امر الخليفة . لكنهما لما اخبرا الخليفة وافق على ما نويا لانه لم يكن يطيعه بشيء من الأشياء . هكذا قُتل شاور ونُهب بيته وتولى (٣٣٨)

شيركوه مكانه وسُمّي ملكاً وقائداً اسوةً بسائر وزراء مصر. وعاش شيركوه شهرين وزيراً ومات بداء الخناق وخلفه ابن اخيه صلاح الدين فاستمال اليه بسخائه جميع الجنود واحتلّ مصر .

ولم يخلّف شيركوه سوى ابن واحد يقال له ناصر الدين أُنيطت به وبابنائه مدينة حمص . امّا نجم الدين ايوب فكان له ستّة بنين : اولهم شمس الدولة توران شاه الذي تولّى الاسكندريّة . ثانيهم شاهنشاه والد عزّ الدين فروخ شاه وتقيّ الدين عمر الذي تولّى حماة هو وبنوه. ثالثهم سيف الاسلام طغتكين الذي تولّى اليمن . رابعهم صلاح الدين يوسف الذي تولّى مصر وفلسطين وسوريّة وما بين النهرين . خامسهم الملك العادل ابو بكر الذي خلف صلاح الدين . سادسهم تاج الملوك بوري وقد مات لمّا كان اخوه صلاح الدين يحاصر حلب .

وفي السنة ١٤٨١ لليونان (١١٧٠م) تفاقم بغض الملطيّين كباراً وصغاراً لمحتد صاحبها بسبب التصاقه بامرأة زانية ساحرة . فاخذها وغادر المدينة وجعل يطوف من بيت الى بيت . فولّى الزعماء بدلاً منه اخاه القاسم اخاه الصغير .

وسمع ملك اورشليم انّ مليح الارمنيّ صاحب قيليقية يتعدّى على المسيحيّين فزحف اليه تدعوه النخوة والحميّة وحبسه في احد الحصون حتى تضايق وأدّى التوبة مستغفراً واقسم له بالطاعة والعدول عن صحبة الاتراك . فعفا عنه وعاد.

وفي السنة ٥٦٥ للعرب (١١٦٩م) مات قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل وأوصى ان يخلفه ابنه عماد الدين زنكي . وكان لقطب الدين نائبٌ وقيّم يقال له فخر الدين عبد المسيح (٣٣٩) اصله من انطاكية ووقع اسيراً . وكان يبغض عماد الدين فاتّفق مع قطب الدين وغيّرا الوصيّة واقاما سيف الدين غازي الابن الصغير خلفاً لابيه وعاهده الزعماء كذلك . وعند ذلك غادر عماد الدين الموصل يريد عمّه نور الدين في سوريّة . وجعل يبكي ويتظلّم من عبد المسيح لانه حرمه الرئاسة والمملكة معاً .

ويوم الاثنين ٢٩ حزيران و١٢ شوال حدثت زلزلة عنيفة جدّاً حتى اهتزّت الارض اهتزاز سفينة في البحر ممّا لم يُسمع له مثيل في العصور الغابرة . قال البطريرك ميخائيل المغبوط : كنّا واقفين في هيكل دير مار حنانيا (الزعفران)

نتلو صلاة الصبح يوم عيد القديسَين بطرس وبولس فسمعنا بغتةً صوت رعد قويّ وسقطنا على وجوهنا امام المائدة المقدسة وتشبّثنا بها ونحن نميل هنا وهناك . وبعد مدّة طويلة افقنا كمن يفيق من القبر وانتبهنا انتباه من ينهض من رقاد . وتدحرجت الدموع من عيوننا وأطلقنا الألسنة بالشكر والتسبيح لله تعالى . وسقطت في تلك الزلزلة اسوار حلب وبعلبك وحماة وحمص وشيزر وبغراس وجميع حصونها ودورها واتلفت اهاليها . واجتاحت بيعة اليونان الكبرى بانطاكية ومذبح بيعة القسيان وهي للفرنج وقد أشفق الربّ الرحيم على بقيّة شعبنا وتعطّف علي ذلنا نحن الذين لم يبقَ لنا ملك ولا حاكم منّا . على ان حلب كلها سقطت سوى كنيستنا وقس عليها ثلاث كنائسنا في انطاكية وهي كنيسة والدة الله وكنيسة مار جرجس وكنيسة مار برصوما . ثم كنيستنا الصغيرة في جبلة وكنيستنا في اللاذقية . ذلك تمجيداً لله عزّ وجلّ وتشجيعاً للخصاصة المتبقية من شعبنا القويم المعتقد . وقد استغرقت مناوبة الزلزلة خمسة وعشرين يوماً .

وفي السنة ١٤٨٢ لليونان (١١٧١م) زُفّت الى ابي القاسم صاحب ملطية ابنة قرا ارسلان صاحب حصن زياد . وفيما كان اهالي العروسين يقضون افراح العرس ويلعبون في ميدان الخيل تهوّر العريس عن ظهر حصانه وهو يطارد بشدّة . فانقلبت افراحهم حزناً وحداداً . وولّى الملطيّون بدلاً منه اخاه افريدون الصغير وزفّوا اليه العروس المذكورة على رغمٍ منها .

وجيّش الجيوش يومئذٍ قلج ارسلان وزحف من قونية الى ملطية وأجلى اهالي ضواحيها وانقلب الى قيسارية فثار عليه نورالدين وصاحب ماردين وحصن زياد وارمن قيليقية وابن دنشمند صاحب سبسطية ووصلوا الى باب قيسارية فلم يخرج قلج ارسلان ليبارزهم بل طلب الصلح وردّ الذين أجلاهم . ثم طالبوه بابناء اخوته الاربعة المعتقلين عنده لكنه تخابث فذبح احدهم وشواه ووضعه في طبق وارسله الى أبيه وأقسم لهم بانهم اذا طلبوا الثلاثة الباقين فهو مستعد ان يذبحهم ويشويهم كأخيهم . فتركوه وعادوا .

وفي السنة ٥٦٦ للعرب (١١٧١ م) اغتصب قلج ارسلان جميع بلاد بني دنشمند . وفي السنة عينها نُعي الى نور الدين اخوه قطب الدين وخلفه ابنه

كتاب

مختصر تاريخ جبل لبنان (مخطوط)

تأليف الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني

شيخ مشايخ الجبة ، وجد بطل لبنان يوسف بك كرم ، لوالدته

نشره لاول مرة ، مع درس وتعاليق

الاب اغناطيوس طنوس الخوري

الراهب اللبناني (تابع)

تابع صفحة [٨٠] علم الاماكن التي دفنت بها بطاركتنا

من بعد المحررين في رسالة الخوري يوسف مارون (الدويهي) المحررة اعلاه ، لان المذكور يخبر عن مدافنهم وقيامهم (انتخابهم) ، لحد البطرك يوسف الخازن الغوسطاني ، المدفون في قرية غوسطا (في كنيسة مار الياس) . وبعدها قام السيد الجليل ، والمعلم النبيل ، البطرك سمعان عواد الحصروني ، في سنة ١٧٤٣ . ومن تخربيط احوال الجبة ، سكن هذا البار في مزرعة يقال لها الميدان ، في الاقليم (قرب جزين) فوق صيدا . لان كان له ترايب هناك . واستقام كم سنة . وعمر دير مشموشة . وفي حياته سلمه لرهبنة اللبنانيين . وهم مستقيمين فيه الى الآن . وانتقل الى ربه بشيخوخة صالحة ، ودفن في كنيسة (دير) مشموشة سنة ١٧٥٦ .

وقام بعده السعيد الذكر ، جليل الشأن ، البطرك طوبيا الخازن[1] ، وسكن في قريته عجلتون ، مدة رياسته . وبعد [٨١] انقضاء حياته بكل تقوى ، دفن في كنيسة عجلتون ، في سنة ١٧٦٦ م .

وقام بعده ذو الذكر الصالح ، والمعلم الباهر الماهر ، علامة عصره وفريد دهره ، البطرك يوسف اسطفان ، من غوسطا . وسكن في دير مار يوسف الحصن في

---

١) من رهبانيتنا اللبنانية .

القرية المذكورة . وعمر الدير ، وقام به كنيسة عظيمة ، احسن كنايس بلاد كسروان[1] . وقضى حياته في الدير المذكور ، بكل تقوى وعبادة . وتنيح بعد شيخوخة صالحة ، ودفن في الكنيسة المذكورة ، سنة ١٧١٣ .

وقام بعده البطرك مخايل فاضل من بيروت . ولزود عله ، تكنى بكوكب الشرق . وهذا البار سكن قليلاً دير سيدة بكركي ، قبال الزُوق . وخدم الكرسي سبنة وثلاثة اشهر . وتنيح بكل قداسة . ودفن في الدير ، الذي كان ساكنه سابقاً ، وهو دير حراش الذي في قرب بكركي ، سنة ١٧٩٥ .

وبعده قام السعيد الذكر البطرك فيلبوس الجبل ، من القاطع (قاطع بيت شباب) . وسكن سيدة بكركي . وهذا المثبوط الجليل استقام في الرياسة عشرة اشهر . وتنيح الى ربه في دير بكركي . ودفن هناك فيه سنة ١٧٩٥[2] .

علم البطاركة الذين سكنوا دير قنوبين ودفنوا فيه

الاول البطرك يوحنا الجاجي سنة ١٤٠٦ (٣ .
٢ " يعقوب الحدثي سنة ١٤٦٠ م .
٣ " بطرس الحدثي .
٤ " شمعون الحدثي .
٥ " موسى (سعاده) العكاري .
٦ " مخايل الرزي .
٧ " سركيس الرزي .
٨ " يوسف " .
٩ " يوحنا مخلوف الهدناني .
١٠ " جرجس عميرة " .
١١ " يوسف (حليب) العاقوري .
١٢ " يوحنا (البواب) الصفراوي .
١٣ " جرجس البسبلاني . وهذا المثبوط دفن في مار شليطا (مقبس قرب بلدة غوسطا – كسروان) .

---

١) لم يزل الدير والكنيسة قائمين الى الآن بحالة جيدة .

٢) هؤلاء البطاركة كانوا في عهد المؤلف . فيكون هو اول من كتب عنهم هذه المعلومات ، لاعباً في ذلك دور المؤرخ المعاصر الثقة .

٣) يحقق العلامة الدويهي ان البطريرك يوحنا الجاجي سكن دير قنوبين سنة ١٤٤٠ م . وبطريركيته (١٤٠٤–١٤٤٥) .

١٤ البطرك اسطفان الدويهي .
١٥ « جبرائيل البلوزاني .

وهؤلاء المغبوطين مصورين على حيط كنيسة سيدة قنوبين . وفي زمان النايب المطران مخايل الخازن ، جدد هذه الصور ، عن يد الخوري موسى ديب (من دلبتا كسروان) سنة ١٧٨١ م .

[٨٢] علم تواريخ المدارس الذين في جبة بشري وغيرها

اولاً تعمر مار جرجس بقرقاشا سنة ١١١٢ م. اقام به مدرسة لعلم الاولاد مجاناً ، من اي محل (كان) يتعلمون العلوم . وقام به جملة مطارين ، واحد بعد الآخر . استقامت به المدرسة سنين عديدة .

ثم بعده نقلت الى دير مار تادروس ، في ارض بشري (حذاء الارز) . واستقامت عدة سنين . وهناك فسروا جنازات الموتى وعربوها . ووضعوا في الختام الاخير « بشفاعة القديسين العظيمين مار جرجس ، ومار تادروس». وبعد ان حصل الاضطهاد على الجبة من الاسلام ، وخرب البلاد ، بطلت هذه المدرسة وغيرها .

وحين عمر البلاد ، ما عاد امكنهم قيام مدرسة عمومية . صاروا يعمروا في كل ضيعة مدرسة ، يعلموا اولادهم بها علم البسيط ، الى زمان رياسة السعيد الذكر ، البطرك يوحنا مخلوف الهدناني (١٦٠٨—١٦٣٣) ، كما يتضح في تاريخه المحرر في الوجه ٩٤[1] . اي انه اقام مدرسة حوقا . وحين تولى الكرسي ذو الذكر الصالح ، والغيرة الحارة على ابناء شعبه ، البطرك اسطفان الدويهي ، نقل هذه المدرسة الى سيدة قنوبين (قرب سيدة حوقا) الكرسي (البطريركي). وزاد عن سلفايه انه كان يقيم في خرج الاولاد . واحياناً كان يعلمهم بذاته . واحياناً يطعمهم معه على المايدة . وكان يوجد نحو ستين ولد . واستقامت هذه المدرسة مدة اقامة قدسه في قنوبين (١٦٧٢—١٧٠٤) .

مدرسة رومية

يذكر في كتاب مجمع اللبناني ، ان الحبر الاعظم البابا غريغوريوس الثالث

١) يظهر ان رقم هذه الصفحة هو من مسودة المؤلف ، التي نسخ عنها هذا النص .

عشر (١٥٧٢—١٥٨٥) ، اقام مدرسة للموارنة في مدينة رومية ، في سنة الف وخمسماية وثمانين . وعين لها مداخيل ، ومعلمين لاجل ان يعلموا كافة العلوم . ووجه علم الى بطركنا القائم يومئذ[1] ، ان يوجه (يرسل) اولاد ليتعلموا كافة العلوم ، فوجاً بعد فوج .

وقد تعلم بها جملة اولاد من ابناء طايفتنا . وحصل من ذلك خيراً جزيل ، ومعلمين معتبرين . واغلب روسا طايفتنا ، من بطاركة ومطارين وكهنة ، طلعوا من هذه المدرسة الشريفة الجزيلة الاعتبار . ولم يزل هذا الخير والانعام تتدفق علينا من الينبوع السماوي ، الى ان حصل الاختباط في بلاد الغرب ، من قبل مملكة فرانسا ، وهدموا الكنايس والمدارس [٨٣] ، وباعوا ارزاقها . ومن الجملة مدرستنا المذكورة .

وحين هدي حال فرانسا ، ورجع البابا بيوس السابع (١٨٠٠—١٨٢٣) ، وانتظم حال الكرسي ، كما كان ، اخبر هذا الحبر لقدس سيدنا الجالس يومئذ (في عهد المؤلف) ، البطرك يوحنا الحلو ، عن رجوعه لكرسيه (الفاتيكان) . وانه مهتم في رجوع مدرستنا كما كانت . وفي تاريخ سنة ١٨١٨ ، قدس البطريرك وجّه اولاد الى المدرسة حسب العوايد .

مدرسة عينطورا

ويذكر ايضاً في هذا الكتاب (المجمع اللبناني) المذكور ، عن مدرسة عينطورا ، ان الاب بطرس بن مبارك ، غوسطاني الايسوعي (اليسوعي) ، تلميذ مدرسة رومية ، المشهور بالعلم والعمل شرقاً وغرباً ، انشا واقام مدرسة جديدة ، في قرية عينطورا ، في بلاد كسروان . وعين لها مداخيل لاقامة التلاميذ . وجعلها تحت تدبير الرهبان اليسوعية المرسلين ، تحت شروط . واستقامت هذه المدرسة ماشية مدة سنين ، الى ان حصلت التجربة الى رهبنة اليسوعية وتلاشت[2] . حينئذ بطلت هذه المدرسة ، لعدم مدخولها من الرهبنة

١) هو البطريرك ميخائيل بن يوحنا الرزي ، من قرية بقوفا التي هي خراب اليوم . وهي جنوبي اهدن . وبطريركيته (١٥٦٧ — ١٥٨١) .

٢) الغيت الرهبانية اليسوعية سنة ١٧٧٣ بامر البابا اكليمنضوس الرابع عشر (١٧٦٩ — ١٧٧٥) . ثم اعيد تأسيسها سنة ١٨١٤ ، بامر البابا بيوس السابع (١٨٠٠ — ٢٣)

المذكورة . لكون رزقها في عينطورا لا يقيم في اود الاولاد والراهبات . ورجع المدخول لمعاش الراهبات ، الذي لا يوازي لقوتهن الضروري .

مدرسة زغرتا

ثم يذكر في الكتاب المذكور ، ان المطران جرجس بنيمين ، الملقب بالكاروز ، الهدناني المشهور للغاية بالعلم والكرز والتبشير . فهذا البار ، في ايام رياسته في اهدن ، اقام مدرسة في قرية زغرتا من ماله . وحداها بيوت وكنيسة . واقام لها مداخيل لعلم الاولاد، لاجل تسهيل تدبيرها واستقامة ثباتها .

وسلمها للرهبان اليسوعية بشروط . وهذه المدرسة استقامت سنين عدة ، سالكة بكل شروطها ، حسب نية مؤسسها وازود . والبادرية اليسوعية افادوا فوايد جزيلة ، في زغرتا وجيرتها ، من علم ووعظ ، وحكمة (طبابة) مجاناً ، وغيرها . وابتنوا لهم اهالي اهدن مكان بجانب مار جرجس ، ليصيفوا فيه ، ويعملوا احسان كما ذكرنا ، في جبة بشري وغيرها .

وبقي هذا الحال ماشي ، الى ان تلاشت الرهبنة اليسوعية من الغرب . فرجعت هذه المدرسة ومداخيلها لتحت تدبير مطران اهدن [٨١] وفلاحينها ، على موجب الحجة التي كان محررها المطران جرجس المشار اليه سابقاً . وهي ثابتة مدرسة الى يومنا هذا ، يتعلمون بها اولاد زغرتا . واذا احد الجيرة اراد ان يتعلم ، لا يمنعه احد ذلك . انما رونقها الاول تغير .

ثم شروط هؤلاء المدارس الثلاثة ، المذكورين اعلاه ، فهو محرر مفصلاً بشرح كافي في كتاب مجمع اللبناني ، في قسم ٤ ، في الراس ٥ من وجه ٥٠٠ . ولهذا السبب عدلنا عن شرح الشروط ، لوجودها بالكتاب المذكور . وعدم لزوم شرحها ثانياً ، والاختصار بلاغة .

علم تاريخ مدرسة عين ورقة

ان المرحوم البطرك يوسف اسطفان ، الصالح الذكر ، لما رأى افتقار الطايفة الى العلوم اللازمة للكهنة،اهتم بقيام مدرسة ، حسب مدرسة رومية ، لاجل اتقان العلوم العالية . ولما لم يمكنه ذلك ، تشاور مع اخيه المطران بولس ، وبقية عيلته ، على ان يجعلوا ديرهم — مار انطونيوس عين ورقة —

مدرسة عمومية لطايفته المارونية. وبرضاهم جميعاً جعلوه مدرسة كما ذكرنا. وحرروا فيه حجة ، وتسجلت من ساير مطارين الطايفة واعيانها . وكان ذلك في سنة ١٧٨٨ .

وفي سنة ١٧٨٩ نقلوا منه (من دير عين ورقة) الراهبات الى غير اديرة. وجمعوا اليه اولاد من كل الرعايا . وقدموا لهم معلمين ومرشدين . وابتدوا يعلموهم ويهذبوهم بالامور الروحية . وتعلم بها تلاميذ كثيرون ، اكثر من خمسين تلميذاً ، من حين قيامها الى هذا الوقت ، أي سنة ١٨١٦ . وقام منها مطارين وكهنة كثيرون ، افادوا الطايفة فايدة عظيمة ، بارشادهم ووعظهم وتعليمهم . لانهم كانوا ينذرون ذلك نذراً عليهم ، بموجب نذر تلاميذ مدرسة رومية . ولم تزل قايمة هذه المدرسة بمعونة الله .

وكانوا يتعلمون بها علم الغرامطيق السرياني ، والنحو العربي ، والفصاحة والمنطق ، وعلم اللاهوت الادبي والنظري . وعندما اشتهرت هذه المدرسة ، صارت الغيرة على قيام بعض مدارس ، مثل مدرسة الرهبان اللبنانيين ، في دير البنات (جبيل) ، ومدرسة دير مار يوحنا مارون كفرحي، مدرسة دير مار جرجس الرومية . وبهذه الطريقة تفقهت كهنة الطائفة في العلوم ، لاسيما علم الذمة .

ثم من بعد نياحة السعيدين الذكر ، المطوبة انفسهم واجسادهم ، قد اقتفى اثارهم ابن اخيهم ، قدس السيد الجليل ، والمعلم النبيل ، مشيد ومشدد اركان اللغة السريانية في المدرسة المذكورة (عين ورقة) ، اي المطران يوسف اسطفان. ولم يكن باقل غيرة من قدس اعمامه المذكورين اعلاه ، لكونه قد قاسي اتعاباً جزيلة في تكميل وتدبير هذه المدرسة ، على موجب نية موسسينها .

[٨٥] تاريخ مدرسة مار يوحنا مارون كفرحي

كان ابتداها سنة ١٨١١ . ان قدس السيد الجليل المحترم ، جرمانوس ثابت ، مطران جبيل والبترون ، اذ اخذته الشفقة والغيرة والحنو الابوي على ابناء ابرشيته ، اقام لهم مدرسة لعلم الاولاد ، في دير مار يوحنا مارون ، في قرية كفرحي . وعين لها مداخيل . واقتنى لها ارزاق من ماله ، لتقيم باود ستة تلاميذ مع معلمينهم ومرشديهم وخدامهم ، لاجل العلوم العالية . وقد كابد بذلك اتعاباً وخسائر جزيلة . ووسع لها شروط ان يكون بها ستة

تلاميذ ، منهم اثنين من بلاد جبيل ، واثنين من بلاد البترون ، واثنين من جبة بشري . وكلما فوج تمم علمه ، يحضروا فوج ثاني عوضه ، كما هو محرر اعلاه . وكان ذلك في دهر (سنة) ١٨٠٩ م (الف وثمانماية وتسعة)

تاريخ مدرسة ما بين بان وكفرصغاب للرهبانية اللبنانية

ان اهالي هولاء القريتين ، قد اتفقوا وعمروا مدرسة بين المحلين المذكورين (قريتي بان وكفرصغاب) . وعينوا لها رزق بحسب الامكان . ووضوعها تحت تدبير الرهبان اللبنانيين ، بدير قزحيا ، لاجل ان يضعوا بها رهبان معلمين يعلموا علم البسيط الى اولاد القريتين المذكورتين . واذا اراد احد ان يتعلم فيها من غير مكان ، لا احد يمنعه .

تاريخ مدرسة الرهبان بدير البنات ، وقرطبا

ان قدس الاب العام اغناطيوس بليبل المحترم ، اخذته الغيرة الابوية على ابناء رهبنته . واقام لهم مدرسة في دير البنات ، الذي فوق مدينة جبيل . ووضع بها معلمين لكي يعلموا الكهنة والرهبان العلم العالي ، الذي يلزم وظيفتهم . وقد نتج من ذلك خير جزيل . وتنقفت جملة كهنة ورهبان من الرهبنة المذكورة . ولم تزل هذه المدرسة يظهر منها معلمين ، ويفيدوا رهبنتهم وغيرها لمن يسألهم .

ثم ان قدس الاب العام المذكور ، قد باشر في قيام مدرسة في قرية قرطبا ، في جبة المنيطرة ، في بلاد جبيل . فاهالي القرية المذكورة قدموا الكنيسة (مار سركيس) والرزق الذي لها لقدس الاب المذكور . وما بقي من عمار محلات [٨٦] واماكن لسكنة الرهبان ، ومدرسة الاولاد ، وشراية الرزق ، فهذا جميعه وغيره مما يخص هذه المدرسة ، من خير الاب المذكور ، لاجل قيام هذه المدرسة ، لتعلم علم البسيط الى اولاد اهالي قرطبا وجيرتها مجاناً .

وكل من راد من اهالي بلاد جبيل ، ام غيرها ، يوجه ولده ليتعلم مجاناً ، ولا مانع من ذلك ، حسب نية مؤسسها الاب المشار اليه . لكونه جاعل عليها نظر اوفر من كافة مدارس رهبنته . تم . [1]

---

١) المتبقي من هذه الصفحة هو بياض .

[٨٧] علم تواريخ الحكام الذين تولوا على جبة بشري

الاولين مقدمين الحدث . لانه يذكر مؤلف المنارة (الدويهي) انه في تاريخ سنة ٨٦٥ م ، حضروا مريق ومريقيان ، وقواد عسكر الملك يوستينيانوس الاخرم ، ملك الروم ، الى ارض الكورة ، في زمان رياسة مار يوحنا مارون ، نزلوا اليهم مقدمين الحدث ، مع مقدمين جبل لبنان وعساكرهم ، وكسروا عسكرهم ، وبددوا شملهم . ويتضح من ذلك ان مقدمين الحدث ، كانوا حكام جبة بشري من زمان يعلمه الباري .

وفي تاريخ سنة ١٢٤٣ ، قام حاكم على جبة بشري ، الرقيب ، وكان شدياقاً من بشري . وفي تاريخ سنة الف ومايتين وخمسين ، توفي المذكور . وقام عوضه ابنه سالم . ولكنه لم يشبه والده . بل كان ظالماً غاشماً ، تبع بدعة يعقوب البرادعي . واستقام مدة الى ان صار حصار جبيل من الاسلام ، وراح حاكمها الامير جنا واهلها في المراكب ونزلوا مقدمين الجبال عملوا حرب مع عسكر الاسلام ، وكسروهم ، وقتلوا منهم جملة قتل ، وقسوا المكاسب ثلاثين قسمة . وحصة المقدم سالم ما اعطوه اياها . بل اعطوها للمقدم نقولا المذكور ليس ذاكرين لا عيلته ولا قريته . بل استقام لسنة ١٢٨٥ .

وقام عوضه المقدم عبد المنعم . وهذا كان منحرف الامانة (يعقوبي) . لكون البطرك يعقوب الحدثي ، الذي قام في سنة الف وثلاثماية وعشرة ، كان يسكن في دير قنوبين . وكان هذا المقدم المذكور ضده . فقاصصه الله بالامير احمد ، ونكب بيته وقريته ، كما يذكر في تاريخ ابن القلاعي .

يذكر البطرك اسطفان (الدويهي) صاحب التاريخ ، انه في سنة ١٤٠٠ (الف واربعمائة) كان المقدم على جبة بشري ، الشدياق يعقوب البشراني .

وفي تاريخ سنة ١٤٤٠ (الف واربعمائة واربعين) ، كان المقدم حاكم جبة بشري ، يسمى المقدم يعقوب ، واولاده ، وفي تاريخ سنة ١٤٤٤ ، كانت وفاة يعقوب مقدم بشري . وتخلفوا بعده اولاده المقدمين : سيف وزين وقمر وبدر وماهر . وكانت ولاية [٨٨] المقدم يعقوب واولاده نحو من ٦٣ سنة .

وفي تاريخ سنة ١٤٦٢ م ، كانت وفاة المقدم رزق الله بن جمال الدين ،

ابن المقدم سيفا ، ابن يعقوب . وتخلف بعده ابن اخيه المقدم عبد المنعم ايوب ابن عساف ، ابن جمال الدين .

حاشية : ويوجد ايضاً تواريخ بعض المقدمين ، حكام جبة بشري ، اعدلنا عن تحريرهم هنا في هذا المحل . لكونهم ، اولاً ليس لهم شرح كافي ، وثانياً محررين في رسالة الخوري يوسف مارون ، في وجه ٩٧ المحرر في هذا الكتاب.

واما تاريخ مقدم ايطو ، وضعناه هنا بين تواريخ المقدمين لسبب مساقبة (موافقة) السنين . وقد وجدنا تاريخ مشروع بالكتابة عن كيفية حكومته ، ليس هي موجودة في رسالة الخوري المذكور ، يشرحها كما وجدت في تاريخ السعيد الذكر البطرك اسطفان (الدويهي) .

وفي تاريخ ١٤٦٩ ، توفي المقدم عبد المنعم ، ابن عساف ، ابن جمال الدين ، ابن سيفا البشراني . وتولى بعده ولده المقدم جمال الدين يوسف .

مقدم ايطو كمال الدين بن عبدالله بن الايطوني ، المعروف بابن عجرمة

وفي سنة ١٥١٩ ، توفي المقدم عساف البشراني ، وهو لياس ابن جمال‌الدين يوسف ، ابن عبد المنعم ايوب . وبسبب انه ما خلّف غير حنا ، وكان قاصراً، تغلب على المقدمية كمال الدين ابن عبد الله ، ابن الايطوني ، المعروف بابن عجرمة . وتزوج بست الملوك ، بنت الشيخ علوان ، ابن حسام الدين ، ابن قمر البشراني . وحظي في اموال جزيلة . وبنى برجاً شريفاً (جميلاً) في قرية ايطو . وحكم البلاد من ناحية الشمال .

وفي تاريخ سنة ١٥٣٧ ، كان مقتل كمال الدين ، ابن عبد الوهاب ، ابن عجرمة ، مقدم ايطو ، الذي حكم الجبة في سنة ١٥١٩ . وكذلك كانت الخصومة بينه وبين عبد المنعم حنا ، مقدم بشري ، بسبب حكم البلاد . وعندما صارت ذات يوم الجمعة (الاجتماع) في قرية بلوزا ، سبق ابن عجرمة وجلس عند الجوزة . فقدم مقدم بشري [٨٩] وما اراد يلاقيه ، ولا يقوم له واقف (يقف له) ، حنق عليه المقدم عبد المنعم ، وطعنه في الرمح ، فقتله . واخذوا دفنوه في ايطو ، شرقي كنيسة مار سركيس

وفي سنة ١٥٢٧ ، كان مقتل عبد المنعم حنا ، مقدم بشري . وذلك ان

ست الملوك بنت الشيخ علوان ، لتأخذ ثأر زوجها كمال الدين ابن عجرمة ، مقدم ايطو ، اتفقت مع الشيخ حماده ، ومع الصليبية ، نصارى ملكية من عين حليا ، وضعوا له الكمين ، قبال البرج . فلما خرج المقدم سَحَرًا ليصبّح القاضي ، الذي كان نازل تحت الجوزة ، فوثبوا عليه وقتلوه ، ودخلوا الصليبية الى البرج ، وقتلوا اولاده . فضربوا ارفاق المقدم حمادة بالسيف ، وعرقبوه . فحملوه ارفاقه ، وهربوا فيه .

وعندما شاع الخبر في بشري لحقوهم عند الحرايص ، فقتلوا حماده ، وناس من ارفاقه . وحماده هذا هو راس الحمادية ، الذي في افتتاح تبريز ، انتقل هو واخوه من بلاد العجم الى قهمز (بكسروان) .

المقدمون العناحلة

وفي مقتل عبد المنعم ، انقرضت دولة مقدمين بشري ، خلفاء سيفا . وانتقلت المقدمية الى العناحلة ، خلفاء قمر . وكذلك ان عز الدين العينحلاني ، في سنة ١٤٣٠ (الف واربعمائة وثلاثين) ، تأهل مع بنت حسام الدين . وهو خلّف اربعة بنين ، وهم : موسى ورزق الله وداغر ، وعيشانا . فلما فرغت سلسلة مقدم سيفا ، اخذوا هم الولاية على جبة بشري .

وفي سنة ١٥٧٠ (الف وخمسمائة وسبعين) ، كان مقتل المقدم رزق الله في طرابلس ، بسبب انه اتهم في نهبة قفل (جمهرة) على المسقية (جبل) ، الذي شلّحه (اغتصب القفل) اخوه عيشانا . ولهذا كان قتله اخوه المقدم رزق الله ، ليخلص من هذه التهمة ، فما خلّص ، بل قتل بسببه في طرابلس .

في تاريخ سنة ١٥٧٣ ، عندما قتل المقدم رزق الله ، مقدم بشري ، تولى عوضه اخوه المقدم داغر ، وحسان ابن موسى اخيهم ، من قبل الامير منصور ابن عساف (التركماني من غزير) . ثم ان سنجق طرابلس (حاكمها) ارسل قتل المقدم داغر . وبعده الامير منصور قتل المقدم عساف ابن موسى ، واعطى جبة بشري الى ابو سلهب القريعي ، بغير رضى ابو منصور حبيش ، ليلا تدخل الجبة رجل غريبة [٩٠] وتخربها .

مقدمية الشدياق يوسف خاطر الحصروني

وفي تاريخ سنة ١٥٧٤ ، بساعدة الشيخ ابو منصور حبيش ، الامير منصور ابن عساف اعطى حكم الجبة الى المقدم مقلد ابن الياس . وكان شريكه الشدياق يوسف ابو رعد ، المسمى خاطر الحصروني ، من بيت مشروق . واما اهدن كان تدبيرها بيد ثلاثة شمامسة .

وفي سنة ١٥٧٩ ، ابرز السلطان ان طرابلس تكون باشوية ، لتنكسر شوكة ابن عساف . وتولى سياستها يوسف ابن سيفا التركماني . وصارت المناداة على توابع ابن عساف . فهرب الشدياق خاطر الى بلاد بعلبك ، والمقدم مقلد الى ناحية الشرق . ثم ان يوسف باشا كاتب الشدياق خاطر في الامان ، واعاده الى حكم جبة بشري . وجعل الشدياق يوسف باخوس ابن صادر الحدشيتي شريكه في الحكم . والمذكور الشدياق يوسف باخوس ، توفي سنة ١٥٩٤ م . وتخلف بعده الشدياق فرج .

وفي سنة ١٥٩٨ ، حكم جبة بشري مرتين ، المقدم فارس بللمع ، من المتن .

وفي سنة ١٦١١ ، كانت وفاة الشدياق خاطر الحصروني ، بعد ان حكم جبة بشري مقدار سبع وثلاثين سنة . وتكلف عوضه مشيخة الجبة ابنه الشدياق رعد .

وفي سنة ١٦١٣ ، كان مقتل الشدياق رعد المذكور . وذلك لانه تزوج ست البنات ، بنت المقدم مقلد . ومن كثر (كثرة) ما يتهددها بالقتل ، وضعت له السم في دجاجة ، اكل منها هو واخيها جمال الدين يوسف ، فماتا اثنانهما (معاً) . وفي جمال الدين ابن يوسف ، انقرضت سلسلة العناحلة .

وبعده يوسف باشا (سيفا) ولّى على جبة بشري ابو عيشانا شاهوب ، ابن بنت المقدم عيشانا ، ابن حسام الدين العنحلاني . فخلّف ثلاث بنين ، وهم : عيشانا وحنا وخايل . لان نعمة وداود وجرجس ، اولاد الشدياق خاطر ، كانوا يتزايدون عليه في ضمنة البلاد . توامر (تآمر) عليهم مع الحاج سليمان الملكي ، كاتب الديوان . حتى ان يوسف باشا قبض على نعمة وداود ، وحبسها . وفي المواعيد المزورة [٩١] ان يوليها حكم الجبة ، استجرّ منها متخلفات والدهما .

وعندما فرغت قوتهما ، امر بحملهما ليلا الى قبور الغربا (محلة في طرابلس) ، فخنقوهما ورموهما في البير الازهري .

وكذلك المقدم[1] قبض على اخيهما جرجس ، وغرّقه في البحر ، عند راس النهر في المدينة (طرابلس) . وما زال شلهوب مقدم على الجبة الى ان قتل .

مقدمية الشيخ ابي كرم يعقوب الحدثي

وفي سنة ١٦٣٥ ، مصطفى باشا حاكم طرابلس ، ولّى على جبة بشري الشيخ ابو كرم يعقوب الحدثي ، والشيخ ابو جبرايل يوسف من اهدن . وفي سنة ١٦٤٠ (الف وستمائة واربعين) ، صارت ركبة (تعقب او مطاردة) على ابو كرم الحدثي ، من والي طرابلس . وانمسك ابن عمه سعد ، ومن زود الفحص على ابو كرم ، نزل هو من ذات خاطره الى طرابلس . وبعد ان الوالي اجرى عليه العذاب ، امره ان اسلم ، فما قبل . حينئذٍ قتله

عهد المشايخ الحماديين

وفي سنة ١٦٥٤ ، تولى طرابلس محمد باشا . واعطى حكم جبة بشري الى الشيخ احمد ابن محمد حماده . وهو كان الاول من المتاولة الذين حكموا جبة بشري . وكان يسمى الشيخ احمد ابو زعزوعة .

وفي سنة ١٦٦١ ، توفي الشيخ ابو جبرايل يوسف الهدناني . وتخلف بعده الشدياق حنا . فقتله في زغرتا محمد العراك . وبعد قتل الشدياق حنا ، تولى حكم الجبة المقدم زين الدين ، ابن الصراف . وكان معه ابو عون جميل من بكفيا .

وفي سنة ١٦٧٤ ، تولى طرابلس حسن باشا ، وصرف المقاطعات . ونزل لعنده الشيخ احمد ابن قانصوه ، ليأخذ الجبة . فقبض عليه لسبب الخربان . وارسل ابرهيم اغا للجبة . وكان متكلم قدامه ابو كرم ابن بشاره الهدناني، وابو شديد غصيبه ابن كيروز البشراني .

وفي سنة ١٦٧٦، حين جاء المقرر(الامر بالحكم) لحسن باشا المذكور، عزل

---

١) ابو عيشانا شلهوب .

ابرهيم آغا ، وولّى الشيخ ابو كرم ابن بشاره الهدناني على جبة بشري . وحين توجه حسن باشا على التركمان ، الشيخ حسن ابن حمادة قتل الشدياق انطون ، في وادي حيرونا (في جوار سبعل) ، وحرق دير مار اليشع (بشري) ، وحارة اولاد ابو كيروز في بشري .

وفي سنة ١٦٧٧ ، تولى محمد باشا على طرابلس . ولبّس الشيخ [٩٢] حسين ابن احمد على جبة بشري . وامره في تمشي العدل والراحة ، وبردّ النازحين .

وفي سنة ١٦٨٠ (الف وستمائة وثمانين) ، جاء منصّب لطرابلس علي محمد باشا الثاني . وصرُف بيت حمادة في مقاطعاتهم .

وفي سنة ١٦٩١ ، حضر لطرابلس محمد باشا الثالث . واعطى الحاج موسى ابن الشيخ احمد (حمادي) الجبة .

وفي سنة ١٦٩٢ ، في آخرها ، تولى ايالة طرابلس علي باشا ، وسموه اللقيس . وغيّر الحكام . واعطى عكار والهرمل لهزيّة آغا ابن دندش ، والضنية للشيخ فاضل ابن رعد ، وبلاد جبيل لحسين آغا ابن حسامة ، وبلاد البترون للمقدم قيضبيه ابن الشاعر ، وجبة بشري للشيخ مخايل ابن نحلوس ، ابن اخت ابو كرم الهدناني .

فهذا ابن نحلوس حكم جبة بشري تسع سنين . ورجعوا بيت حماده للجبة ، في سنة ١٧٠١ (الف وسبعمائة وواحدة) . وحكموا بها الى سنة ١٧٥٩ . وصارت العداوة بينهم وبين اهالي الجبة . وقاموهم من البلاد . فيكون قيامهم في آخر حكومة ٥٨ سنة . واما قبلها كانوا يحكموا وينهزموا جملة امرار كما محرر اعلاه (قبلًا) .

ثم انه في تاريخ سنة ١٧٠٢ (الف وسبعمائة واثنتين) ، كانت الفتنة بين الشيخ عبد السلام ، ابن الشيخ اسماعيل حماده ، وبين بيت الشيخ احمد حماده ، حكام جبة بشري . وحضر المذكور للجبة بتابيتي رجل ، وانهزموا بيت حماده للهرمل . واستقام في الجبة شهر وخمسة ايام . ووزع (فرض ضريبة) جملة دراهم على البلاد . ولما ليس امكنهم دفع المبلغ ، اخذ طاسات النسا.[1] ،

١) كان النساء يلبسن رؤوسهن طاسات من فضة او نحاس ، حسب المقدور . وقد شاهدنا هذا الذي جاريًا ايضًا في بيت لحم وغيرها في فلسطين ، في ربيع سنة ١٩٤٧ .

وسلاح الرجال ، ودهك القمح والغلال (عطّلها وافسدها) . وكتب لطرابلس بطلب حكم الجبة . فرجع له (الجواب) ان هذه السنة انتهت ، انما الى سنة الآتية .

وفي سنة ١٧٠٤ (الف وسبعمائة واربع) ، كان الشيخ مخايل مخلوس محوَّل (مكلف جباية) في مال الضنية ، من قبل الوزير . لانه كان له عليه نظر من زيادة بشاعة المتاولة . فهذا (مخلوس) حين كان محول في الضنية ، كان مقتنق (راكز) في برج سير . فتخفى واحد من المتاولة يسمى ابن الشقراني ، وقتله في الليل خفية ، وانتهى حاله . تمت .

[٩٣] علم تواريخ جبة بشري وما صار بها على زمان بيت الشيخ احمد حماده

فحين وقع تغيير الاحوال والحكام في الجبة ، وما عاد هدي لها حال ، التزموا اهالي البلاد ، اهل العمدة والمعروف ، فتوجهوا الى عند الشيخ سرحال ، ابو الشيخ اسماعيل حماده ، وطلبوا منه ان يوجه لهم احد اهليته (انسبائه) لكي يحكم جبة بشري . فوجه معهم ابن عمه الشيخ احمد ، يتكنّى ابو زعزوعة . لانه كان ولد (حديث السن) .

وصارت شروط بين اهل البلاد ، والشيخ سرحال ، بانه الشيخ احمد المذكور ، يحكم بلادهم كما يشا . ويقاصر (يعاقب) المذنبين . ومسموح له ان يحكم كما يشا ، ما عدا ثلاثة اشيا ما له بها حق ، ولا يقارش (يطالب) البلاد بها . اي دينهم ، وعرضهم ، ودمهم . فهذه الثلاثة اشيا تكون محفوظة ، ما له مقارشة ، ولا معارضة بوجه من الوجوه . فحضر المذكور ، وحكم جبة بشري .

وفي سنة ١٦٥٤ ، كان اول توليه من يد محمد باشا والي طرابلس ، كما ذكر اعلاه في هذا التاريخ من الوجه ٩١ . وحضر المذكور الشيخ احمد الى الجبة ، ومشّى كل عدل ورحمة ، وساق كل طريقة ، وارضى الجميع من حكام واهل البلاد . واستقام مدة سنين . وخلف ولد يسمى الشيخ حسين .

فالمذكور (هذا) حكم في الجبة من يد محمد باشا الثاني ، سنة ١٦٧٧ ،

كما ذكر اعلاه في وجه ٩١ . وامره الوزير في تمشي العدل ، ورد النازحين .
وهذا الشيخ حسين المذكور مشي بكل عدل ورحمة . واستقام مدة سنين .
وخلف اولاداً ، وهم : حسين المشطوب ، وابو محمد عيسى .

فبعد الشيخ حسين ، حكم البلاد ابنه الشيخ ابو محمد عيسى . وكان حاكم عادل . ومشى بكل طريقة تناسب الفلاح . وعمر البلاد . ووضع سنن وفرايض ، مثل حدود قرى واراضي ، وتمشي طرق وسواقي . ولم يزالوا على موجب تمشيه ، الى يومنا هذا . والمذكور قتل في دير مار جرجس حماطوره (في زاوية طرابلس) من شديد الناصر ، سنة ١٧١٤ ، في ٢٢ ادار ، والامير (معه) موسى الكردي (من امراء الكورة) ، بامر الوزير المذكور (محمد باشا الثاني) .

والمذكور (ابو محمد عيسى) خلف ولدين ، وهما : موسى حاكم حصرون ، وحسين العيسي حاكم بشري . اما حسين المشطوب ، اخو ابو محمد عيسى ، خلف ثلاث اولاد ، وهم : ابو ناصيف ، وابو حسين صالح [٩٤] ، وابو قاسم . والفريقين اي اولاد ابو محمد عيسى ، واولاد حسين المشطوب ، حكموا البلاد شركة كم سنة . وبعده قسموه مناصفة .

اولاد ابو محمد عيسى اخذوا النصف ، اعني : حسين اخذ بشري وقنوبين وايطو وبزعون . وابن اخيه الشيخ اسعد ابن الشيخ موسى ، اخذ حصرون ، وبلوزا ، وكفرصناب ، وتولا وكرمسدة ، وراسكيفا .

واولاد الشيخ حسين المشطوب ، اخذوا النصف الثاني : ابو ناصيف اخذ اهدن فقط . وابو حسين صالح اخذ عينطورين ، ومزرعة التفاح ، وبنشعي ، وقنات ، وبرحليون ، وحماطورا ، وكفرصارون ، وبيت زعيتر في بان . واخيه ابو قاسم اخذ دير قزحيا ، وحدشيت ، وبقاعكفرا .

والمذكورين حكموا في البلاد ، بكل هدو وراحة . ومشيوا على موجب الشروط السابق ذكرها . واستقاموا مدة سنين . واستقنوا رزق بكليك (ملك الدولة) ، في البلاد ، المعروفة الى الآن ، مثل مزيارا وسبعل وسرعل ، ووطا الرامات (في جوار اهدن) ، وكفرفو ، وبان وحوقا وبساوقيت ، وثلث سرعل مع بيادر المقدم (في رشعين) ، ودير نوهرا وبقرقاشا ، والحدث

ومزارعها ، وطورزا ، ورشدبين ونيحا ، ومتريت ، وبنوهران . واستقاموا حكام بكل عدل وحلم ، مدة سنين ، الى سنة ١٧٥٠ (الف وسبعمائة وخمسين).

ظلم الحماديين وعسفهم يسبب طردهم من البلاد

فطلعوا اولادهم بخلاف ذلك . وصح بهم قول النبي : انه لا يقوم الابن با اوصاه ابوه . وبدوا يمشوا في طرق غير مرضية الله والعبيد (البشر) ، مثل تشليح (انتزاع) ، وتعدي على الفلاح ، وشي ما احد يرضى به . لم احد عاد فيه (يقدر) يلبس حاجة حسنة ولا جديدة . ولا يقتني سلاح . واستقاموا في هذا النزاع ، مدة تسع سنين .

وبعد ذلك ، في تاريخ سنة ١٧٥٩ ، انقسموا جوقين (فريقين) . وراحوا استعانوا في اولاد الشيخ اسماعيل ، الشيخ حسين العيسي ، والشيخ اسعد ابن الشيخ موسى . فجابوا الشيخ عبد الملك واولاده ، والشيخ جهجاه . واطلعوا الحلاع (استحصلوا على الولاية) . وحكموا جبة بشري . وركزوا في اهدن. وراحوا : الشيخ ابو حسين صالح ، والشيخ سليمان ابن ابو قاسم ، والشيخ حسن ابن ابو نايف ، جابوا الشيخ بنتصر (بالنصر) واولاده ، وركزوا في قرية حصرون . وحرّموا (على) احد بيان من الفلاحين . وابتدوا في التشليح، وترقة الزرع ، ودهك (تخريب) البلاد . ولا احد عاد امّن ، لا على رزقه، ولا على روحه .

وعملوا في البلاد شي لم يوصف . وخلوا جبة بشري [٩٥] داراً نعيت اهلها . وفعلوا شي يحزن القلب . مثل الدياب التي تدخل قطيع الغنم . وكان في وقتهم مشايخ القرى : الشيخ جرجس بولس (الدويهي) من اهدن ، والشيخ عيسى الخوري ، والشيخ حنا ضاهر كيروز من بشري . والشيخ ابو سليمان عواد من حصرون . والشيخ ابو يوسف الياس من كفرصغاب . والشيخ ابو خطار من عينطورين . والشيخ ابو ضاهر من حدشيت .

والمشايخ بيت حماده عملوا عليهم رباط (اتفاق) حتى يقتلوهم . والشيخ عبد الملك ارسل اناس من اتباعه ، بعلم الذين كانوا معه . فقتل الشيخ ابو ضاهر من حدشيت . وبعد ذلك ارسل بنتصر ، والذين كانوا معه بعلم الجميع ،

اناس كبسوا بلوزا في الليل ، وقتلوا ابو رزق الصغير ، وابنه عباس ، وقطعوا يد امه بالسيف . وحضروا متاعين (اهالي) البلاد ، وراحوا تعروهم . انا لا نقدر نصف لكم عن قتلهم ، وعن التبشيع الذي صار فيهم . لانهم هرموهم مثل التتن (التبغ) بقساوة ما صارت من احد غيرهم . حتى ان دم الثلاثة خالط بعضه بعض ، وسرح على السطح الى المزاريب .

وكانت اختيارية البلاد تشتكي على الحمادية ، وهم يضحكوا عليهم . وبعد ذلك بعث (ارسل) اسعد الشيخ موسى قتل ابو نعمة سليمان من عينطورين ، في كروم اجبع ، وحرقوه في ثيابه . وقتلوا سليمان ابو رزق من حدشيت ، وكان اعمى ! ! . . . انظروا الى قساوة مثل هذه . وخرّبوا اهدن وجيرتها . وخرّبوا حصرون وجيرتها (جوارها) . واستقاموا على هذه الحال اربعة اشهر .

تفاقم الحال وثورة الجبة على الحماديين وطردهم من البلاد

ولما اهل البلاد تحققت ذلك ، ما عادوا امنوا على حالهم ودمهم ، وغيره . . . . وعرفوا ان مرادهم (مراد الحماديين) يكتلوا على جميع من له كلمة في البلاد . فاجتمعوا اهل البلاد ، وطفروا كل الفلاحين . ولم يبقَ فيه احد . وراحوا الجميع الى نبع جوعيت في عيالهم . وتشتتوا في كل مكان . وصاروا في حالة يرثى لها.

وكان وقتئذٍ المطران يواكيم يمين ، من اهدن ، ماكثاً في اهدن . والمشايخ الحمادية تآمروا متشاورين في بعضهم ، وارسلوا احمد ابن عبد الملك ، وحسن ابن ابو ناصيف ، يمسكوا المطران المذكور ، ويأخذوه الى بلاد بعلبك . اما المطران كان عنده كم نفر من البلاد . فلما تحققوا ان ذلك ما بقي له انتها ، ولا رجوع ، من زود المصايب . واخيراً وصلت الى راس دينهم ، بعد ان تركوا لهم سحتهم (موجوداتهم) ودمهم ، وغيره . . . ، عملوا هوشة عظيمة هم واياهم . وعانهم (الموارنة) الله عليهم (على المعتدين) ، وكحشوهم (طردوهم) من اهدن ، وبقيوا [٩٦] وراهم الى حد درج تنوبين وقطع الضو (الظلمة) بينهم .

بعد ذلك اجتمعوا جميع اهالي البلاد ، الى اهدن ، ومسكوا واحد من المتاولة ، وقتلوه ، والجميع ضربوا فيه . وقدّس المطران في مار جرجس اهدن.

وجازا الجميع حلفوا يمين على القربان والانجيل ، عن يـده (يد المطران) ، ألا تصير عن احد منهم خيانة . بل الجميع يقدموا سحتهم ودم رقابهم ، في طرد المتاولة ، واستئصال هذا الغضب عنهم . وارتضوا بان يقيموا عليهم مشايخ في البلاد ، الذين كانوا متسلمين في البلاد سابقاً من المتاولة ، وهم :

الشيخ جرجس بولس من اهدن ، والشيخ عيسى الخوري والشيخ حنا ضاهر من بشري ، والشيخ ابو سليمان عواد من حصرون ، والشيخ ابو يوسف لياس من كفرصغاب ، والشيخ ابو خطار الشدياق من عينطورين . بانهم يحكموا في بلادهم ، كل منهم في عهدته . لكون القسمة بقيت على حالها ، كما كانت في زمان المتاولة .

وكان متولي منصب طرابلس عثمان باشا الكرجي . ونزلوا المشايخ المذكورين لعنده . والتزموا البلاد منه عن سنة ١٧٥٩ . ودفعوا الميري تمـامها . وكان الباشا له عليهم نظر زايد ، لزيادة ماكان يحصل من المتاولة شناعات وبشاعات ، في اراضي الزاوية ، وحدود طرابلس ، وعدم تمشي (تامين) السبيل ، وتأدي (تأدية) غرش الميري . ومن جملة بشاعتهم ، التزم الوزير بان يعطي بليوردي بالختم الكبير ، الى مشايخ الجبة واهاليها ، ان جميع ما يقتلوا من المتاولة ، دمه مهدول(مهدور)والرزق الذي لهم بكليك في الجبة ، يكون لمشايخها ملك .

وبدي الوزير يساعد اهالي الجبة ، ويسعفهم من بارود ورصاص ، وترك ميري ، ومهما لزم لهم من الاسعاف ، لاجل قيام هذا الصالح . واخذ لهم على موجب ذلك ، اعلام من الشرع الشريف . وفي سنة ١٧٦٠ (الف وسبعماية وستين) ، التزموا مشايخ الجبة ايضاً بلادهم . ومن جملة مساعدة الوزير ، ارسل لهم الشيخ ناصيف رعد ، لاجل السعفة . لانه كان سابقاً بين اهالي الضنية ، وبين المتاولة ، عداوة . وعينوا ايضاً مشايخ الجبة ثلاث بكباشية من البلاد ، وهم : بشاره كرم من اهـدن ، وابو ضاهر الفرز من بشري ، وابو الياس العفريت من حصرون . وعينوا [٩٧] معهم جملة رجال لاجل حفظ الدايرة . واستقام ذلك . واستغلبوا حالهم اهل بشري ، لاجل تشتي (اشتاء) اهـل اهدن وحصرون في السواحل .

وراسلوا المتاولة اناس من بشري ، واناس من حصرون ، حتى يجيبوهم .

ومن خوفهم من الدايرة (الجمعية) والمكر الذي في قلوبهم ، جاوا في عسكر سنة ١٧٦١ . ولاقوهم اناس من حصرون ، واهل بشري . واما مشايخ القرى المذكورة ، ما كانوا موجودين ، ولا لهم علم . فدخلوا بشري ، واعطوا الامان . ووقتئذ نهبوا بشري ، وما خلوا منها شي . وقتلوا منها خمسة قتل ، وهم : ابو ضاهر الفرز الكباشي، وجبور اصيلة، وابو انطونيوس سكر، وابو رزق جعجع، وجبور رحمه . واخذوا منها ثمانية مرابيط (اسرى) الى بلاد بعلبك . واخذوا منها شي من كلي وجزئي . وما خلوا شي ، حتى انهم اخذوا قصاع العجين .

وبقيوا اهالي بشري في حال يرثى لها . لان جميع اهاليها كانوا عراة بالزلط. ولم نقدر نصف الشي. الذي فعلوه (المتاولة) فيها . ومشايخ البلاد كانوا جميعهم في طرابلس . وخرب البلاد شهر . وبعد الشهر ، رجعوا المتاولة بعسكر غزير مقدار الفين رجل ، من بلاد بعلبك ، وبلاد جبيل . ولاقوهم اهل البلاد (الجبة) الى بشري . وصارت الهوشة (الموقعة) فيما بينهم . وكان عُقدا. (قواد) البلاد : الشيخ ناصيف رعد من الضنية ، ومشايخ الجبة جميعاً ، مع رجال البلاد جرد (عموماً) . ومكثت الهوشة عاقدة بينهم ، من شروق الشمس الى العصر ، تدر ثمان ساعات . ودخان البارود غطى بشري .

وبعناية الله كسروا المتاولة كسرة كبيرة . وقتلوا منهم اثني عشر قتيل ، ومن جملتهم الشيخ مقداد ابن الشيخ ابو حسين صالح . ما عدا المجاريح. وانقتل من البلاد ثلاث قتل ، وهم : يوسف جبير من اهدن ، وفارس درغام من بشري ، وبطرس الفخري من بشري . واستمروا وراهم الى جرد حصرون .

وفي تاريخ سنة ١٧٦٢ ، نزلوا الحمادية الى بقرقاشا ، واخذوا منها كم جوز بقر . وانطرح الصوت عليهم ، ولحقوهم الى شعرة بلاد بعلبك . وقتل آدم من بيت رحمه . وخرب قاطع حصرون وحرقوا ايطو ، وكرمسدة ، وسبعل .

[٩٨] وفي تاريخ سنة ١٧٦٣ ، لاجل الشي الذي فعلوه ، عين لهم محمد باشا ركبة (حملة عسكر) ، ابن عثمان باشا الكرجي ، لانه كان تولى طرابلس مكان ابيه . وجمع لهم العسكر من جميع مقاطعات طرابلس وقدموا العسكر عليهم جردي (عن طريق الصرد) وبحري .

وكان عقيد عسكر الجرد ، السيد وفا متسلم طرابلس ، ومشايخ الضنية ،

ومقدم عدرا[١] ، ومشايخ الجبة ، ومقدم القدموس . ومعهم ثلاث آلاف رجل . ونزلوا على جبة المنيطرة . وبينما العسكر نزل على المنيطرة ، وفي رجوع بشارة كرم ، ربطوا له المناولة تحت المغيرة (قرية بجوار العاقورا) ، في النهر ، وقتلوا منهم سبع قتل ، وهم : بشارة كرم ، ورزق فرنجيه ، وجبران معوض ، وابرهيم ابن الخوري عبود . هولاء من اهدن ، واثنين من مزيارة ، وهم : داود ابن ابو منصور ، وابن عمه عيسى . وواحد من الضنية . وبقية الرجال الذين كانوا معهم ، هربوا . وقطع الضو بينهم . وخلصوا .

ونزل باقي العسكر على وادي الميحان (الميحال ، اسم غابة شهيرة في بلاد جبيل) . ولاقوا عسكر الذي جاء على البحر لجبيل . وكان عقيد عسكر البحر ، محمد كاخية ، والشيخ ضاهر حاكم الزاوية ، ويوسف الشمر . ومعهم مقدار الف رجل . وحرقوا كل شي حوالى جبيل مزارع . واستقام العسكر اربعة ايام ورجع . وعاد الاختباط قايم (كذا) .

ولما رأوا ان هذا النزاع ما له آخر ، والدولة (كذا) ارسلوا المشايخ الى الامير منصور الشهابي ، في سنة ١٧٦٤ . وارسل الباشا المشايخ الى عند الامير . وارسلهم الى الجرد . وراح معهم الشيخ عيسى (الخوري) والشيخ حنا (ضاهر) من بشري ، والشيخ ابو الياس من كفرصغاب ، والشدياق جبور يين من اهدن . وجملة رجال . وصلوا لعند مشايخ بيت الخازن .

ولما لم يقدروا يصرفوا لهم امرهم ، نزلوا لعند الامير الى بيروت . وبيت حماده وقعوا على الشيخ عبد السلام . وقامت المخابطة بينهم . واخيراً لبسوا (تولوا) مشايخ الجبة من الامير منصور . وكسروا مقدار عشرين كيس (عشرة آلاف غرش) دراهم . ورجعوا في البحر لطرابلس . وارسل الامير منصور محافظة البلاد ، وما افاد البلاد شي . واستقاموا في النزاع .

اسناد الشمال وبلادي البترون وجبيل الى ولاية الامير يوسف شهاب

وبعد ذلك طلع سعادة الامير يوسف ، ابن [٩٩] الامير ملحم ، عين (زعيم)

١) آل عدرا في طرابلس اصلهم من المرقب في بلاد العلويين . وهم سلالة المقدمين آل الشاعر من تولا (البترون) ، وحكام بلاد البترون ، حسبا بين معلوماتنا ، في كتابنا الضخم « تاريخ ابرشية طرابلس » المعد للطبع .

عيلته . وراح على الشام . ومن الشام جاء لطرابلس ، ونزل في بيت عمر آغا كمش ، وكاخيته الشيخ ابو فارس سعد الخوري من ريش ميًا ، على زمان محمد باشا . والتقوا له (لاقاه) مشايخ الجبة ، وعملوا معه همة زايدة في دراهم وغيرها . وحكّمته الدولة بلاد جبيل والبترون ، وجبة بشري .

وتوجه الى جبيل . وحصلت المنازعة بينه وبين بيت حماده . وكانت رجال الجبة ومشايخها دايمًا قدامه في القتال ، اين ما اراد . والامير المذكور كان له خاطر زايد على المذكورين . وكان سايق معهم كل مخابرة واستمالـة ، عنوةً (زيادةً) عن كل المقاطعات ، سيما ان الشيخ سعد الخوري كاخيته كان أخذ الجبة خصيصةً له . وله ميل ومحبة معهم ، بخلاف الغير .

اما مشايخ الجبة بقيوا كل منهم على عهدته ، كما كانوا سابقًا . ولم يزالوا باقين هم واولادهم من بعدهم الى يومنا هذا . والامير يوسف اجرى ديوس في الجبة ، في ت ١ (تشرين الاول) سنة ١٧٦٦ . وكان معتمد الـديوس (المساحة) الشيخ ابو فارس سمعان البيطار ، الذي كان كاخية (مدير) ثاني عند سعادة الامير (يوسف) ، وفرنسيس عزيزه من اهدن .

المساحة وتخمين العقارات ، والامان

وعملوا الديوس على قدر مال البلاد . فطلع حمل الورق (التوت) زلطة وشاهية (نقد ذلك العهد) . وبدار شنبل الارض غرش وشاهيـة . واصل الجوز نصف غرش . واصل الزيتون ثمانية فضة ، ومائة جفنـة الكرم نصف غرش . وجالية الرجـل[1] المزوج خمسة غروش ونصف ، والعزب (العازب) ثلاث غروش الّا ربع .

وعلى هذا الحال مشي البلاد بكل امان وراحة . وعمر ومشي فيـه كل عدل واستقامة . الى ان حصل النزاع بين الامير يوسف ، وبين الامير بشير ، الجالس يومئذٍ في تخت دير القمر . وحين سعادة الامير بشير حكم بلاد جبيل وتوابعها ، مشّى بها كافة الاحكام الشرعية . وتجرّى (جرى نافـذًا) الحق

١) وفي النص الكرشوني هكذا: جالحمة والمرجح عند العارفين الشيوخ ، ان لك هو اسم لضريبة او فريضة من هذا النوع ، والله اعلم .

والعدل والراحة والامان ، في غير انحراف ، ولا ميل ، ولا محاباة وبعد كم سنة من حكمه ، اجرى ديبوس في مقاطعات بلاد جبيل ، وفي جبة بشري . وديبوس على المال الاصلي ، مثل ديبوس الاول . واما (والكن) من زود عمارها (عمران الجبة) ، فرقت المسطرة . فعمل حمل الورق عشرة فضة . وبدار شنبل الارض زلطة ، وثمانية فضة الجوز والزيتون . والكرم بقي على [١٠٠] مسطرته مثل الاول . وتم هذا الحال على هذا المنوال . نسأله تعالى يجعل تمام كل شيء على اكيد امين .

علم تواريخ وحوادث في جبة بشري
الامان وتشييد الكنائس والمدارس

يذكر البطرك اسطفان (الدويهي) صاحب التاريخ ، انه في سنة ١١١٢م ، اخذوا جماعتنا الموارنة في جبل لبنان ، يدقوا نواقيس من نحاس بدل الخشب ، للصلاة والقداس . والذي افاضت نعمة الله بين اياديهم ، بنشوا كنايس وادية ومدارس . وتقصد الناس لخدمة الله وخلاص نفوسهم .

وكان للخوري باسيل البشراني ثلاث بنات ، وهن : تقلا وصالومي ومريم . نذرن لله عذارتهن (عفافهن) . وانفقن جميع ما كن يملكنه ، في بنيان الكنايس وكلفتهم . فتقلا ، بهذه السنة (١١١٢) ، بنيت بارض بقرقاشا هيكل مار جرجس ، ومار ضوميط ، وفي بشنين بارض الزاوية ، كنيستين على اسم مار لايا ومار سركيس . وفي سنة ١١١٣ هجعت بالرب .

واختها مريم بنيت هيكل مار سابا في بشري . وصالومي بنيت هيكل مار دانيال في الحدث[1] .

ويذكر صاحب التاريخ (الدويهي) انه في سنة ١٤٧٠ (الف واربعمائة وسبعين) ، حصلت راحة عظيمة لاهل جبل لبنان ، وتعمرت كنايس جملة . وقيل انه في ذلك العصر ، تعمرت كنيسة راسكيفا ، ومار سركيس ايطو ، ومار مخايل سرعل ، ومار جرجس اهدن ، ومار ضوميط عينطورين ، ومار اوتل كفرصغاب ، ومار رومانوس حدشيت ، ومار لابي حصرون ، وكنيسة

١) لم تزل هذا الكنائس قائمة جميعها الى يومنا،في بشري وحصرون، وبشنين والحدث .

قنات ، وغيرها . . . والدليل على ذلك لكون هذه الكنايس عمارة قديمة ، وتشريبهم (هندستهم) واحد . واما ما بين كبر وصغر لا يناقض هذا الراي . لانه من المعلوم ، كل مكان يعمر كنيسة التي تلايمه ، وعلى قدر عوزه .

وفي تاريخ ١٤٧٠ (الف واربعمائة وسبعين) ايضاً ، يذكر صاحب التاريخ انه حصل راحة عظيمة لاهل جبل لبنان . وعمرت المدارس والكنايس . حتى انه في قرية حدشيت ، انعدوا عشرين كاهن . وفي كنايس بشري كان مذابح على عدد ايام السنة . وفي الحدث ستماية فـدان . ويذكر ابن القلاعي ان الحدث كانت الف وستماية بيت . وفي اهدن ، في حارة الفوقا ، سبعين بغل . والنساك والحبسا في هذه الاماكن ، ينوفوا عن ماية وعشرين.

وفي ذلك العصر تمسكوا في الحرف السرياني المدور . ومن زود الامان والراحة في هذا البلاد ، كانت تقصد الناس السكنى فيه ، من بلاد بعيدة . مثل اولاد جمعة ، تركوا عين حليا ، وسكنوا في بشري . واولاد شاهين[١٠١] حضروا من حَدَد الشرق لقرية حصرون . والخوري حنا واخوته ، انتقلوا من نابلوس الى حدشيت . والقس يعقوب ورفاقه ، من ارض الحبش، قصدوا الرهبنة بدير مار يعقوب اهدن ، وتلقب دير الحبش بالنسبة اليهم.

وفي تاريخ سنة ١١١٣ ، كان انتقال جسد القديسة مارينا من دير قنوبين الى البندقية . لان هذه البارة كان منشأها من القلمون التي على كتف طرابلس. وطلعت ترهبت مع ابيها في دير قنوبين باسكيم الرجال . واحتملت مشقات كثيرة استوجبت بها الفوز في الملكوت . وما زال جسدها فرحان حتى انعم به ريس الدير على اناس قدموا من البندقية . وقصبة يدها (ذراعها) بقيت منصانة في قنوبين ، يظهر الله منها الشفا . وفي كنيستها التي فوق القلمون يصير الشفا للنسا اللواتي لم تدر بزازهن .

وفي سنة ١٣٠٩ (الف وثلاثمائة وتسع) ، نزل عسكر قرية حدشيت ، وصار منه ضرر على قرية بشري ، وجميع بلادها . ويذكر صاحب التاريخ ، انه في سنة ١٤٨٨ ، كان تشتيت اليعاقبة في جبة بشري. وذلك حين الاسقف يعقوب ، واكابر اهدن ، علموا وتحققوا ان القس يعقوب والاحباش القاطنين بدير مار يعقوب ، كانوا يعاقبة . وندروهم (انذروهم) دفع (دفعات) شتى

حتى يحسنوا الديانة . واذ لم يعتبروا ، رسموا القس ابرهيم ابن حباص اسقفاً ، وانزلوه عليهم في الدير . واذ لم يحملوه يحكم فيهم ، رحلوا من هناك الى وادي حدشيت ، تحت رعاية الشدياق جرجس ابن الحاج حسن . وسكنوا في دير مار جرجس ، وتكنى بدير الحباش (الاحباش) بالنسبة اليهم .

فصعب امرهم على الشدياق جرجس الذي كان شيخ حدشيت ، وعلى المقدم عبد المنعم ، الذي كان يقتدي (يعمل) بشوره . واذ لم يكن لهم مقدرة على مناقشة (مقاتلة) اهالي اهدن ، استنجدوا اولاد زعزوع ، مقدمي بشناتا (الاسلام) . فجمعوا هولاء رجال الضنيه ، وقصدوا اهدن ، في صباح الاحد . فاخذوا خبرهم اهالي اهدن ، ووضعوا لهم الكمين في حمينا (محلة أرض) .

وعندما نزلوا الضنانوة(اهل الضنية)من الجبل،وثب عليهم الكمين واهلكهم، في مرجة تولا . وعندما اخذوا خبرهم الباقية ، ضربهم التشتيت لشدة الفزع . ففر البعض منهم الى حردين، والبعض الى كفرحورا . والبعض هربوا في البحر الى قبرس . واما القس [١٠٢] يعقوب وارفاقه ، رحلوا الى دير مار موسى في الحبشة .

وفي سنة ١٤٩٤ ، في زمان رياسة البطرك شمعون الحدثي ، كان من جملة مطارنته ، المطران تادروس العنتاري (من عينتورين)، والمطران يوسف البشراني .

وفي تاريخ سنة ١٤٩٥ ، القس بركات البقوفاني ، عمر محبسة مار مخايل بقرب قزحيا . وكانت سابقاً قطين المعزي . فاستحبس بها الى نهاية حياته الطاهرة

وفي سنة ١٥٠٠ (الف وخمسمائة)، كانت وفاة المطران تادروس (العينتوريني) المذكور ، الذي كان قاطن في سيدة عينطورين ، نهار الثلاثا في ادار ٢٩ . وتسلم الدير تلميذه القس وهبه الراهب .

وفي سنة ١٥٤٠ (الف وخمسمائة واربعين) كانت الفتنة بين اهالي عينطورين، وبين اهالي بان ، بسبب دير قزحيا ، باية ارض من الضيعتين كان . فاثبته القاضي لاهل عينطورين . وتحرر على الدير كل عام ثلاثمائة درهم خراج . فقبلوا به اهالي عينطورين على انفسهم الى الابد . ولهذا السبب انعزل القس حنا ، ولد نمرون الباني ، من رياسة الدير . وتولى عوضه الخوري يوحنا اللحفدي .

وفي هذه السنة ، يخبر ايضاً صاحب التاريخ ، انه في ايار قدمت العساكر الاسلامية الى فتح جبة بشري . فصعدت شرقي طرابلس ، في وادي حيرونا .

فحاصروا اهدن حصار شديد . وفي نهار الاربعين يوم ملكوها بشهر حزيران، فنهبوا وسبيوا وقتلوا ، ودكوا القلعة التي في وسط القرية ، والحصن الذي على راس الجبل ، للارض .

ثم انتقلوا الى بقوفا . وفتحوها في شهر تموز . وقبضوا على اكابرهـا ، واحرقوهم بالبيوت . ونهبوا وسبيوا ، ودكوها للارض . وبعدما ضربوا بالسيف اهالي حصرون ، وكفرصارون ، في الكنيسة ، توجهوا في ٢٢ آب الى الحدث. فهرب اهاليها الى العاصي (مغارة في وادي قاديشا) في مغارة منيعة ، فيهـا صهريج ماء . فقتلوا الذين لحقوهم . وخربوا الحدث . وبنوا برجاً قبال المغارة، وابقوا فيه عسكر يكمن عليهم (لهم) . ثم هدموا جميع الاماكن العاصية. واذ لم يقدروا على فتح عاصي حوقا (السابق الذكر) الذي قبال الحدث[1] فثار عليهم ابن الصبحا ، من كفرصغاب ، بجر النبع الذي فوق بشري ، وتركيبه على العاصي . فجروا النبع وركبوه [١٠٣] ، وملكوه (فتحوه) بقوة الماء ، لانه داخل الشير . واذنوا لابن الصبحا بلبس عمامة بيضاء يانس (كذا) ، وان تقف العبيد بخدمته .

ولما رجع العسكر ، وتاب (ابن الصبحا) عن سوء فعله ، عمّر دير سيدة حوقا لسكنى الرهبان ، بالقرب من العاصي الذي كان في الشير (الصخر).

ويذكر ايضاً صاحب التاريخ ، انه في سنة ١٥٦٠ (الف وخمسمائة وستين) انتقل الى رحمته تعالى الحبيس مخايل البقوفاني ، الذي حفظ النسك بعدة نحو خمسين سنة . فاتخذ عيشة الوحدة اولاً بقزحيا ، ثم في مار ضومط داريا ، ثم في كنيسة السيدة ، المقطوعة (المنقورة) بالشقيف (بالصخر) قبال عرجس

---

١) « عاصي حوقا » غار كبير ، قرب دير سيدة حوقا الشهير من الشرق ، في بطن جبل وادي قاديشا الشمالي ، ومن املاك ديرنا قزحيا . وهو عاصٍ فعلاً على الصعود اليه . ومع ذلك تمكنا نحن من دخوله في ١٥ آب ١٩٢٩ ، اذ احتفلنا بالقداس الالهي في معبد مغارة سيدة حوقا ، لرعيتها ابناء قرية حوقا ، شركاء دير قزحيا . وقد استعنا بخمسة شبان منهم على توقل ذلك الجبل ، بواسطة حبالهم وسواعدهم . . . فاذا بذلك الكهف « العاصي » مطلي بالكلس في معظمه ، وبطلاء احمر غامق ، ومزين برسوم يتخللها كتابات باقٍ منها بعض كلمات لا يستقيم لها معنى . وفي جانبه الشرقي بقية كبيرة من بناء البرج الذي شيده اولئك الموارنة الشهداء ، وجعلوه مفزعهم ابان ملاحم المهودة .

(قرية في الزاوية) . ثم في محبسة مار مخايل فوق دير قزحيا . وكان عبرة صالحة لكل من ينظر اليه . فانه كان يطوي كل الصيام[1] جمعة فجمعة . ويقهر جسده في دوام الجوع والعطش ، والحفى والعري . ولم يبطل عن ذكر الله . ولم ينظر الى وجه امرأة .

وبسبب ان محبسة مار مخايل عادمة من الماء ، ومن شدة الضعف لم يجد قوة حتى يستقي من عند محبسة قزحيا ، طلب من الرب ان ينيحه (يريحه) من تلك المشقة . فاخرج له من الصخر ماء جارية ، التي ولو كانت شحيحة ، نقر لها خابية . فصارت تفضل عنه وعن كل الذين يأتوا لزيارته . ولموضع برارته، وعظم فضيلته ، شرفه البطريرك بدرجة الاسقفية في هذه الحياة . وجمله الباري بتاج التسبحة في الحياة الدائمة .

ويذكر صاحب التاريخ : سنة ١٥٧٢ ، توزع القشلق على بلاد الشام . وتوزع على الجبة واحد وعشرين الف سلطانة . والسلطانة ثلاثين غرش . وتبلغ اربعة عشر الف غرش (كذا) . ومنها توزع على دير قنوبين مايتين سلطانة . واستفكه البطرك مخايل الرزي (١٥٦٧—١٥٨١) بواسطة الشيخ ابو منصور حبيش . وتوزع على وقف كنيسة مار سركيس اهدن براس النهر ، خمسة عشر سلطانة . ومن جرا ذلك حصل ضيم عظيم ، حتى خربت بعض ضياع في الجبة ، مثل : سيعل وكفرفو وراسكيفا ، وادنيت ، وسرعل وحيرونا ، والناووس (عينعكرين اليوم) وريشدبين ، وبنوهران ، ومتريت ونيحا ، وبرحليون ، وبقرقاشا .

وفي تاريخ سنة ١٥٧٤ ، صارت هوشة ما بين القريعية (المتاولة الحماديين) والبشرانية ، حتى ان القريعية قتلوا منهم اثنين تحت عين بقاعكفرا [١٠٤] . وفي سنة ١٥٩٦ ، امر البطرك سركيس الرزي (١٥٨١—١٥٩٧) بالتيام روسا الكهنة ومشايخ الجبة ، وعلما الطايفة ، لاجل ابطال التهمات التي كانوا تجنوا البعض عليهم بها ، في حياة اخيه البطرك مخايل ، وظهرت التجني ولا اصل لها . وفي اول جمعة من حزيران سنة ١٦٠٢ (الف وستمائة واثنتين) ، كبس الامير موسى الحرفوش جبة بشري ، فنهبوا بيوتها، واخذوا سايقتها (مواشيها) لان اهلها كانوا

١) الطوى عند نساك الموارنة ، هو الصوم الكامل يومين او ثلاثة .

بالسواحل بجلالة القز . ومن جملة العسكر ، دخلوا اثنين من جماعته الى كنيسة اهدن ، راس النهر (مار سركيس) فضرب احدهما صورة السيدة ثلاث ضربات في الخنجر ، وفي حال خروجه من الدير ، يبست ايده في تلك الليلة ومات .

وفي سنة ١٦٠٤ ، البطرك يوحنا مخلوف من اهدن[1] ، اقام مدرسة لعلم الاولاد ، في دير سيدة حوقا (في وادي قاديشا) لافادة الطايفة . وان الذين يتفضلوا (يتمازون) عن الاخرين، في العلم والآداب، ليرتسلوا الى مدرسة رومية .

وفي سنة ١٦٥٦ ، عندما فتحوا مغارة القديسة مارينا ، ليدفنوا البطرك يوحنا الصفراوي[2] ، شاهدوا جسد القديس البطرك جرجس عميره[3] بعد نياحته من مدة ثلاث عشر سنة ، كانه حي ، وماسك الكاس بيده ، والتاج على راسه ، وهو جالس على الكرسي . وواحد من روسا الكهنة ، اخذ التاج ، واستعمله في خدمة الاسرار .

ويذكر ايضاً انه في تاريخ سنة ١٧٧٣ ، صارت هوشة (معركة) ما بين اهالي الجبة ، واهالي الضنية . وهو ان الشيخ ابرهيم رعد ، والمشايخ اهليته، جمعوا عسكر الضنية ،جرد (عموماً) ، وعسكر الزاوية ، الذين كانوا وتيسفر تحت امره ، مقدار الف رجل . وتوجهوا من الضنية الى اهدن . وكان في اهدن الامير حيدر ، اخو الامير يوسف الشهابي ، والامير احمد (اللمعي) من بسكنتا ، وجملة امرا ، والشيخ ابو فارس سمعان البيطار (من غوسطا) ، ومشايخ الجبة ، ومشايخ بيت ضاهر (من الزاوية) .

وصارت بينهم هوشة في اهدن . وقتل منهم جملة قتل من الجهتين . فقتل من عسكر الضناوة ثمانية قبل ، وراح منهم سربة مجاريح ماتوا في البلاد . ومن الجبة قتيلين وهم : موسى عبد الله الدويهي من اهدن ، وفرنسيس ابن يوسف جبير . وقتل من [١٠٥] عسكر الامير حيدر قتيلين . وهزموا عسكر الضنية ، وضلوا وراهم حتى قطع الضو ما بينهم .

وفي اليوم الثاني نزل عسكر المتاولة (من بعلبك) على المسقية (فوق الارز)،

---

١) عهده (١٦٠٨ - ١٦٣٣) .
٢) بطريركيته (١٦٤٨ - ١٦٥٦) .
٣) كان (١٦٣٣ - ١٦٤٤) .

كما كان الوعد بينهم وبين عسكر الضنية . فطلعوا اليهم اهل بشري ، وكسروهم مع قدرة الله ، وولوا مدبرين عن الجبة . واستقام البلاد في هدو وامان مدة سنتين . حتى ان اهالي الضنية ومشايخها لم عاد امكنهم مقاومة الامير يوسف واهالي الجبة . لزم راسلوا مشايخ الجبة على الصلح ، ومشايخ الجبة ، لاجل ضم الحال ، وراحة البلاد ، ورفع النزاع ، والقا السلام ، رضوا بذلك . وصارت الصلحة ما بين البلادين ، ودخلوا مشايخ الضنية في خاطر الامير يوسف. ورجعت المحبة والصداقة بين اهالي الجبة والضنية ، كما كانت سابقاً . وهدي الحال . ورجع كل شيء كما كان ، عدة سنين .

ويختم المؤلف هذه الصفحة من مخطوطه هذا بتدوين حادثة عائلية في بيته هذا نصها :

«سنة ١٨٢٠ (الف وثمانمائة وعشرين) تكليل (زواج) اليشع الشدياق توما ، ولد الشيخ انطونيوس (المؤلف) ، في ١٠ (عشرة) ك ١ (كانون الاول) . — قد ولد الولد المبارك ابنه يوسف في نيسان سنة ١٨٢٠ (الف وثمانمائة وعشرين) ويوسف هذا هو ابن الشيخ انطونيوس ... ثم يواصل هذا الشيخ المؤلف كتابه في ما يلي :

[١٠٦] تاريخ الرهبان اللبنانيين منذ ابتدا رهبنتهم في جبل لبنان برضا واختيار روسا كهنتها المارونية ، والسيد البطرك الاتي ذكره وايضاً بعض اشيا تخص جبة بشري عن البطاركة وغيرهم

وهو ان الملة المارونية ، حيث ثبتت وحدها في الشرق متحدة في الكنيسة الرومانية ، وما غيرت حسن اعتقادها ، حيث انها ما بين امم مشاقين . وعلى الحقيق ثبتت هذه الرهبنة ، اي رهبنة مار انطونيوس الكبير ، مزهرة في بنيانها ، مخصبة في ديورتها . لكن كل دير قايم بذاته . له عوايد تخصه ، وريس خاص به . لا يشترك دير بدير .

ولما احب الله ان يضم هذه الاديرة المتفرقة ، تحت قانون واحد ، وريس عام واحد ، ليكون ذلك اقوى في الافادة والنمو ، دعا من مدينة حلب ثلاثة انفار ، خايفين الله جداً . وكانوا من الملة المارونية . الاول منهم جبرايل

ابن حوا . والثاني عبد الاحد (عبدالله) ابن قرا علي . والثالث يوسف ابن بتن . فهولاء حركهم الله ، لما فيهم من البراعة والشجاعة ، على ان يجددوا الرهبنة ، ويضعوا لها قوانين مجموعة من تعاليم الاباء القديسين ، ويرتبطوا بنذر ذي اربع جدال (كذا ، ولعلها اجزاء) ، وهي : الطاعة والعفة والفقر والتواضع . خرجوا من حلب بهذ الروح ، على ان يكونوا رهبانا منفردين عن العالم ، ناسكين باسكيم القديس انطونيوس الكبير .

وكان خروجهم من حلب في شهر شباط سنة ١٦٩٤ . وكان توجههم اولًا ، حيث قدس السيد البطريرك ، في دير قنوبين ، في جبة بشري . وكان المتقدم فيهم جبرايل ابن حوا ، رجلًا عاقلًا ديّناً ، وغيورًا . فلما اطلع (البطريرك) على قصدهم ، ترحب وفرح بهم جدًا .

وفي سنة ١٦٩٥ ، في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني لبسوا الاسكيم الملايكي [١٠٧] من يد السيد البطريرك ، على سبيل التجربة (Noviciat) من غير نذر . واقاموا القس جبرايل ريساً عليهم . وقطنوا دير مار تورا القريب من اهدن ، وكان خراباً . عمروه ، وتكلفوا عليه . وكانوا بعبادتهم وامثالهم قدوة المومنين والغير المومنين .

فقصدهم الناس من كل جانب ، ليترهبوا عندهم . وشرعوا من ذلك الان الى ان ينظموا لهم قوانين من وصايا ابيهم القديس مار انطونيوس الكبير . وفي هذه السنة (١٦٩٥) نذروا الفقر على يد المطران جرجس يمين ، مطران اهدن . اي انه لا يتخصص احد منهم بشي له .

وفي سنة ١٦٩٦ ، اخذوا دير على اسم القديس اليشع النبي ، في الوادي الذي تحت بشري . وكان الدير خراب فعمروه . واقاموا عليهم رئيساً القس عبد الاحد ابن قرا علي ، لان هذا المذكور كان كامل بجميع صفاته . وفي هذه السنة ، غيروا شكل ثيابهم وقلسواتهم (غطا الرأس) عن شكل غيرهم من الرهبان المارونيين . وشرعوا ان يرتبوا لهم قوانين في الانفراد عن العالم ، والاعتنا بخلاص نفوسهم . وعملوا مجمعاً عاماً ، واعادوا القس جبرايل حوا ريساً عاماً عليهم ، والقس عبد الاحد ريساً على دير مار اليشع . هذا اول مجمع عام صار في اول (ابتدا) الرهبنة . واقاموا القس جبرايل فرحات ريساً

على دير مار تورا . وهو (فرحات) البادي في تحرير هذا التاريخ[١].

وفي سنة ١٦٩٨ ، تمموا ترتيب قوانينهم خمسة عشر باباً ، كما هو مشروح في كتاب القانون . ورسموا ايضاً ان يكون لهم ريساً عاماً للرهبنة جميعها ، واربع مدبرين لمساعدته ، ولكل دير ريس خاص . وان كل ثلاثة سنين يعقدون مجمعاً . وان يكون اول المجمع في ١٠ (عشرة) تشرين الثاني ، الذي هو اول ابتدا الرهبنة . وبهذا المجمع ينتخبون الريس العام ، واربع مدبرين ، وروسا الاديرة .

وفي سنة ١٧٠٠ (الف وسبعمائة) حصلت بلبلة (خلاف) بين القس جبرايل حوا ، والقس عبد الاحد قرا علي ، وعقدوا مجمعاً ، واقاموا القس عبد الاحد المذكور ريساً عاماً عليهم . وحصل نظام في الرهبنة . وصار الاب المذكور [١٠٨] بغضون ذلك ، يتردد على السيد البطريرك ، لكي يثبت له قانون رهبنته ، ليرتبطوا بالنذر لاجل عدم تراخيهم . والبطرك لم يكن يشا ذلك ، لخوفه من صعوبة القانون ، ليلا يتراخوا من الضعف البشري .

ولكن الله سمع ابتهال هذا الريس الطاهر ، ودعا رهبانه ، وحرك قلب المطران جرجس يمين ، الملقب بالكاروز ، المشهور بالقداسة والغيرة ، والسعي في تثبيت قوانينها . وبمساعدة مطران آخر[٢] ، توسلا للسيد البطريرك في ان يثبت قانون هذه الرهبنة . فتنازل الى طلبتهم ، واثبت هذا القانون بجمع جملة مطارين ، وفي اليوم ١٨ (الثامن عشر) من حزيران سنة ١٧٠٠ (الف وسبعمائة) .

وبعد تثبيت قانونهم ، نذرت الرهبان الموجودين كلهم الى الله ، ولريسهم ، الطاعة والعفة والفقر . واما المبتدين فما كانوا اقل من سنة في التجربة (اي

---

١) اذاً ، ان هذا التاريخ هو من قلم العلامة فرحات . والمؤلف يأخذه عنه .

٢) ذلك المطران الآخر هو المطران يعقوب عواد ، البطريرك فيما بعد (١٧٠٥ – ١٧٣٣) حسبما ذكر مؤسس الرهبانية الاب عبدالله قرألي ، مطران بيروت فيما بعد (١٧١٦ – ١٧٤٢) ، وذلك في مذكراته المثبتة في ص ٣٧ من تاريخ رهبانيتنا ، مجلد اول ، للمرحوم الاب لويس بليبل ، طبعة مصر ، بمطبعة يوسف كوى ، سنة ١٩٢٤ . وفي هذا التاريخ شيء كثير عن مناوءة البطريرك يعقوب هذا للرهبانية التي سعى وساعد على تثبيت قوانينها من البطريرك الدويهي . . .

ان زمن التجربة كان سنة) . وفي هذه السنة (١٧٩١)، كان القس جبرايل حوا ساكنًا دير مار تمورا، فما طاب له العيش. وانفق مع مطران اهدن (جرجس بنيمين)، وخلي دير مار تمورا، وتوجه الى رومية .

وفي سنة ١٧٠٢ (الف وسبعمائة واثنتين) عملت الرهبان مجمعًا، واثبتوا في فرايض هذا المجمع ان لا احد يسام (يرقى) اي درجة كانت، ولا يلبس الاسكيم، الّا بقرعة اخوته الناذرين .

وفي سنة ١٧٠٣ (الف وسبعمائة وثلاث)، ابتدأت هذه الرهبنة ان تنمو وتزيد في هذا الخير . وكان رهبانها حريصين على حفظ قوانينهم، وقطع كل سبب يؤذيهم . ومنعوا النسا عن دخول اديرتهم وكنايسهم . وما كان يمشي احد في الطريق وحده . ولا يأكلون من بيوت العوام . ولا يشربون الماء الا باذن الريس، ام الاكبر منهم . ولا يخالطون العلمانيين الا قليلًا، وللضرورة. ولا يكتفون في عمل اليد، مثل فلاحة الارض والكروم والقز (دود الحرير)، والبستنة، وغير ذلك. وكان معاشهم من عمل ايديهم وكانوا مرتبطين في محبة بعضهم بعض . [١٠٩] حتى كانوا نفس واحدة، وجسد واحد . وما كان واحد منهم يقول ان له ثوب، ولا يقتني في قلايته شيأ خاصًا، لا اكل، ولا شرب.

وفي سنة ١٧٠٤ (الف وسبعمائة واربع)، انتقل الى رحمته تعالى السيد البطريرك مار اسطفان الدويهي، وناحت عليه ملته كثيرًا . وانتصب عوضه البطرك جبرايل البلوزاني . وكان رجل مشهورًا بالفضل والتدبير . وفي زمانه كانت الرهبنة مستقيمة على حال واحد في دير واحد .

وفي سنة ١٧٠٥ (الف وسبعمائة وخمس)، ارتد القس جبرايل فرحات ثانيًا الى رهبنته التي كان خرج منها سابقًا[١]، واحصي ما بين اخوته . وفي هذه السنة، صار المجمع العام، واثبتوا القس عبد الاحد، اي القس عبدالله قراعلي، ريسًا عامًا . وفي هذا المجمع وضعوا النذر الرابع، وهو نذر التواضع، انهم لا يقبلون رياسة ما، الا عن الزام من له الحكم عليهم .

---

١) وذلك لخلافه مع احد مؤسسيها الاب جبرائيل حوا الحلبي، رئيسها العام الاول (١٦٩٥ — ١٧٠٠)، ثم مطران قبرس (١٧٢٣ — ١٧٢٥) . وذلك الخلاف كان مداره على تعيين الناية للرهبانية عند تأسيسها اذ ذاك .

سنة ١٧٠٦ (الف وسبعمائة وست) انتقل الى رحمة الله جبرايل البلوزاني، بعد مجي تثبيته (الباليوم) بعشرين يوم . وانتصب عوضه البطرك يعقوب عواد الحصروني . وفي هذه السنة تزايد عدد الرهبان اللبنانيين ، وما عاد يساعهم دير مار اليشع . التزموا اخذوا دير مار يوحنا رشميا ، في بلاد الشوف ، ووضعوا فيه رهباناً ، واقاموا ريساً (عليه)القس يعقوب دوّين الغزيري . واقاموا القس جبرايل فرحات ريساً على دير مار اليشع . ولما كثرت الرهبنة ، كثرت تجاريبها ، وخاصةً في جبة بشري ، لان البلاد كان حاكمها متاولة يسموا بيت حماده . وكان اكثر البلاد خراب من الظلم الزايد .

وبهذه السنة ، القس عبد الاحد الريس العام ، لقّب رهبنته «اللبنانيين» ، لان ابتدا بها في جبل لبنان . ورضي البطرك يعقوب (عواد) بهذا اللقب . وكانت تلقبت سابقاً بالرهبنة الحلبية ، لان الذين ابتدوا بها كانوا حلبية :

سنة ١٧٠٧ (الف وسبعمائة وسبع) ، فتحوا دير اخر في كسروان ، على اسم مريم العذرا ، الملقب بدير لويزة [١١٠] ، قرب زوق مصبح . والذي كان معمرًا هذا الدير ، يسمى ساهب من طايفة (عائلة) الحوالة . وفي هذه السنة ، فتحوا دير آخر على اسم مار انطونيوس ، قرب قرية رشميا بسير (محلة سير) [1] .

سنة ١٧٠٨ (الف وسبعمائة وثمان) ، اخذوا دير آخر في جبة بشري ، في الوادي (المقدس) ، على اسم القديس مار انطونيوس الكبير ، بلقب دير قزحيا . وهذه اللفظة سريانية ، مركبة من ܟܢܙ ومن ܚܝܐ ، ومعناها «كنز الحياة» . وهو دير مشهور بالشرق بالعجائب . وجعلوا في هذا الدير كرسي رهبنتهم ، لانه دير القديس ابيهم . ولريسه التقدم على كافة روسا رهبنتهم . وكان ما عليه ميري الّا اربع مائة وخمسين غرشاً . ومال الميري الذي كان على دير مار اليشع ، كان خمسين غرشاً .

وفي ١٧١٠ (الف وسبعمائة وعشر) عملت مطارين الموارنة مجمعاً في بلاد

---

١) الى هذا الدير ، العامر حتى الآن ، لجأ الامير بشير الكبير في عهد صباه ، وقضى فيه ردحاً مجهول الحدود ، وربما كان للاختباء من مزاحميه على حكم لبنان ، على ما يفصل التاريخ كثيرًا في هذا الشأن .

كسروان ، على بطركهم يعقوب (عواد) الحصروني ، واتوا به من دير قنوبين، واثبتوا به (عليه) اموراً توجب العزل . فعزلوه في دير مار شليطا (مقبس قرب غوسطا) ، واقاموا عوضه البطرك يوسف مبارك الريفوني .

سنة ١٧١٢ ، عمروا (الرهبان) محبسة مار بيشاي التي بقرب قزحيا . وفي هذه السنة ، اوهب المطران حنا حبقوق[1] دير مار بطرس كريم التين للرهبان المذكورين .

وفي سنة ١٧١٣ ، اخذ ابو محمد عيسى ابن حماده ، ودائعة البطريرك (يعقوب عواد) التي كانت عند الرهبان ، ومقدارها خمسة اكياس (الفان وخمسمائة غرش) . وذلك ان اولاد اخو البطرك المذكور ، حولوا ابو محمد عيسى المذكور ، على اخذها قهراً من دير قزحيا ، حيث ودعت .

سنة ١٧١٤ ، رجع البطرك يعقوب على كرسيه منصوراً بأمر البابا اقليموس الحادي عشر (١٧٠٠—١٧٢١) ، لان الموارنة عزلوه بغير امره . فطاعة الموارنة عميا يعز على غيرهم فعليا . وفي هذه السنة ، عملوا (الرهبان) مجمعاً في دير قزحيا ، واثبتوا فيه القس عبدالله قرا علي ريساً عاماً . وبعد المجمع بعشرة ايام ، سقط قطعة كبيرة من الجبل الذي فوق الدير المذكور ، فقتلت راهبين[2] .

سنة ١٧١٦ ، ارتسم القس عبد الله قرا علي ، الريس العام ، مطراناً على بيروت ، من يد البطرك يعقوب عواد . واقاموا عوضه جبرايل فرحات ريساً عاماً بقرعة مجمعهم العام .

سنة ١٧١٩ ، ارسل البطرك يعقوب ، المطران عبد الله قراعلي للشام ، واستخلص كنيسة الموارنة من الرهبان القدسية (الفرنسيسكان) .

سنة ١٧٢٣ ، اخلا الرهبان دير قزحيا ، من زيادة المال (الضرائب) . لكن بعد شهرين من طلوعهم ، طيب الحاكم خاطرهم . وصار مال الدير

١) من قرية بشعلة ، على ما يؤكد الدويهي في تاريخ سنة ١٦٩١ ، وقد رسمه هو مطراناً على دير قزحيا ، في ٨ ايلول من تلك السنة . وقد وهب ديره – قزحيا – هذا الى الرهبانية اللبنانية سنة ١٧٠٨ ، خلافاً لما حدد المؤلف اعلاه . وتوفي سنة ١٧١٨ .

٢) هما الاب يوسف البتن الحلبي ، احد مؤسسي الرهبانية ، والاخ رفائيل الحاقلاني من زوق مصبح (كسروان) ، وذلك في كانون الاول من تلك السنة (الاب بليبل ، تاريخ الرهبانية ، مجلد اول ، ص ٨٦) .

(الاميري) ٥٢٠ (خمسمائة وعشرين) ، والزخيرة عشر شنابل قمح ، وشعير عشرة . ورجعوا [١١١] لـديرهم . وفي هذه السنة ، ارتسم جبرايل فرحات (رئيس الرهبانية اللبنانية) مطراناً على جزيرة قبرس ، من يد البطرك يعقوب عواد . وفيها اخذت الرهبنة اليسوعية مدرسة زغرتا ، بعد موت الخوري وهبه الدويهي ، الذي كان اقامها .

سنة ١٧٢٤ ، رتب المطران جبرايل (جرمانوس فرحات كتاب السنكساري، الشمسي والقمري . وفي هذه السنة ، المجمع المقدس اوهب دير مار بطرس ومرشللين الرهبان المذكورين (اللبنانيين) ليسكنوه . وهـذا هو الدير عمّره البابا اكليمنضوس الحادي عشر للرهبان اللبنانيين . وتسلمه القس جبرايل حوا. وبسببه وقعت الفتنة (الخلاف) بينه وبين الرهبان . ولما اطلع المجمع المقدس بان القس جبرايل صار مطران ، اخذ الدير منه ورده للرهبان . لكون نية الذي عمّره ، السابق ذكره ، للرهبان ، ليس للمطارين .

وفي سنـة ١٧٢٥ ، صار ضيق على البطرك يعقوب من بعض اناس غير مومنين . فهرب الى دير مار انطونيوس قزحيا ، اختفا هناك قدر شهرين . وفي هذه السنة صار ركبة (هجوم) هايلة على بيت حماده ، من مطابقة مشايخ بيت الخازن (بسعيهم) وطردهم (الحماديين) من البـلاد . فهرب البطرك الى كسروان . والدولة نهبت بلاد جبيل والبترون .

وفي هذه السنة ، صار مجمع عام في رهبنة قزحيا ، وفيـه ابتدا رياسة القس مخايل اسكندر ريساً عاماً . وفي هذه السنة حـدث ضيق على البطرك يعقوب . فهرب واختفى في دير مار اليشع (بشري) . وسبب ذلك كان له ابن اخ يسمى سليمان ، واهي (مفسود) السيرة . فطلب من (عمه) البطرك مال لسد-عوزه ، كمعتاده . فلم يرد يعطيه . فنزل لطرابلس ، واشتكى على عمه البطرك الى الباشا . وفي هذه (السنة) كان صاير اضطهاد على الكاثوليكيين ، من قبل بطاركة الروم (المنفصلين) . فصدف انه هرب اناس من حلب ، من المضطهدين ، لدير قزحيـا . فعرفت بهم الدولة . فارسلوا في طلبهم ، وفي طلب البطرك يعقوب .

وكانوا المشدين (المشددين) بهذه الاحوال كثيراً ، جماعة الملكية (الروم)

من الكورة . ومنهم عيلة تسمى بيت العازار (من اميون) فطلعوا ليلًا الى الجبة ، صحبة الدولة ، وافترقوا ثلاث فرق : الواحدة لقزحيا ، [١١٢] والثانية لتنوبين ، والثالثة لمار اليشع . فالعسكر كبس الدير سحرًا ، اي مار اليشع الذي متخبي فيه البطرك ، من غير ان احد يعرف من الرهبان (بالكبسة) وغيرهم . وطلبوا البطرك . والرهبان اسرعوا وخبوه .

ففتش العسكر الدير كله بالمصباح . وبعناية الله وقديسيه لم وجدوه . فضايقوا الرهبان في طلب البطرك . فقدموا ذواتهم . فمسكوا الريس ومعه راهب آخر . ورجع العسكر الى طرابلس . والرهبان الذين قدموا ذواتهم عن البطرك ، استفكوا ذواتهم بمبلغ دراهم ، قبل ان يصالوا لطرابلس ، من ارض الكورة . ورجعوا الى ديرهم بسلامة .

والبطرك هرب واختفى في وادي تنوبين ، في المغاير . ولم يرد يفارق الجبة لانها وطنه . اخيرًا عرفوا به الدولة انه بعده في البلاد . وحدث ان البعض ومشايخ القرى افتتنوا مع بعضهم . فطامت الدولة الى الجبة مرة ثانية ليلًا . ونهبوا مواشي البلاد كلها ، وما بقي الا القليل . والبطرك هرب . وما سمح الله ان يحط به . وما خلّص من النهب من كل الجبة ، الا دير مار اليشع ، وبشري لا غير . وذلك باعجوبة من الله . لان في الليلة التي اتجهه فيها العسكر الى البلاد ، حدثت امطار غزيرة بهذا المقدار . حتى ما امكن العسكر الذي تعين الى هذين الموضعين ، ان يسلكوا ، لكثرة الامطار ، وغزارة الانهار الجارية في الوادي (قاديشا) . فالتزموا ان يرجعوا الى ورايهم .

اما قزحيا ، نزل اليه العسكر . وبعون الله ما نهبوه . انما مسكوا واحد من مدبرين الرهبنة . واخذوا البقر والميزة . واستفكوهم الرهبان : رأس الميزة بغرش ، والبقر بخمس غروش . واستفكت الرهبان اخوتهم باربعماية ما عيدا الكلفة داخل وخارج . فكانت خسارة الرهبنة بهذه الواقعة ، تنوف عن الفي غرش .

وبعده افتتنت حكام الجبة مع الدولة ، لاجل قتيل قتل في الحدث . وزاد اضطهاد الروم على الكنيسة . فخافت الرهبنة ، ونزحت من جبل لبنان ، الى كسروان وبلاد الدروز . وخلت الديورة من الرهبان ، اعني مار انطونيوس

[١١٣] ترحيا ، ومار اليشع . وفي هذه السنة صار مجمع مدبرين ، كحسب العادة ، في دير مار بطرس كريم التين . ووضعوا فيه خمسة فرايض المعلومين .

وفي هذه السنة ، افتتحت الرهبنة دير طاميش . وكان (ذلك) بعد مخاصمة عظيمة مع سكان الدير ، والبعض مع مشايخ الحوازنة ، وبالاكثر مع البطرك يعقوب ، لانه كان ضدنا (الكلام لفرحات) . وكان مراده ياخذ الدير المذكور ، ويسكن اهله . وارسل هو وابن اخوه المطران سمعان[١] وجذبوا بعض اناس من مشايخ الحوازنة المذكورين . وصاروا الجميع ضدنا ، وبالاكثر رهبان الدير وراهباته . لانهم لما نظروا ان لهم من يسندهم من الذين لا يخافون الله ، عصوا على مطرانهم الذي هو متولي على الدير .

وبعد ان كانوا رضوا بان يسلموا الدير للرهبنة ، صاروا يدفعوا الحكام المومنين والغير المومنين ، ومن جملة الدير المذكور . واخيراً انتصرت الرهبنة على الجميع ، واخذوا هذا الدير بعون الله . وهكذا في اليوم العشرين من تشرين ، وصل المطران جرمانوس (فرحات) من حلب ، وذخل الدير باسناد اصحاب الولاية . وادخل رهباناً معه ، وسلمهم الدير .

(بالاحمر) تنبيه . (ثم بالاسود) اعلم ايها الواقف على هذا التاريخ ، الذي الفه القس جبرايل فرحات ، الذي كان احد الرهبان الاربعة المشددين الرهبنة المذكورة ، الذين قدموا من حلب . قطفناه من التاريخ الذي بخطه . واهملنا منه امور كثيرة لعدم لزومه . وكان ذلك سنة ١٧٨١ . تمت .

[١١٤] قسمة الرهبانية الى لبنانية وحلبية

منقول من مكتبة اللويزة ، انه في تاريخ سنة ١٧٦٨ ، اعرضوا رهبان الحلبية الى المجمع المقدس ، الاحوال والمنازعات الحاصلة بينهم وبين رهبان البلدية (اللبنانيين) ، بعد القسمة الاولى التي كان لها مقدار عشرين سنة . وانه لم تزل البلبلة والفتن واقعة . وحصل من قبل ذلك شرور زايدة . فحضر امر وختم من البابا اكليمنضوس الرابع عشر (١٧٦٩ — ١٧٧٥) [١١٥] الى قدس سيدنا البطرك يوسف اسطفان من غوسطا ، ولريس القدس ، في تصريف

١) البطريرك فيما بعد (١٧٤٣ — ١٧٥٦) .

هذه المواد بينهم ، وحسم كل نزاع .

فحضر ريس القدس الى دير حريصا (الفرنسيسكاني) بكسروان ، وحضر البطريرك يوسف . واحضروا روسا عام الرهبنتين . واعرضوا عليهم امر البابا . ومكثوا اربعة ايام يعملوا جلسات ، ومراجعات . اخيرًا تم الاتفاق ، وقسموا الديورة . واخذوا رهبان الحلبية ، برضى ريسهم العام ، الاب لويس الحلبي ، وبقية مدبرينه الاربعة ، حصتهم في الديورة . اي :

دير مار اليشع بشري ، ودير سيدة لويزة بكسروان ، ودير مار بطرس كريم التين ، ودير مار الياس شويا ، ودير مار انطونيوس الكبير بروميه ، ودير مار انطونيوس كفرحمل في الشوف ، وانطوش دير القمر (سيدة التلة) ، وقسمة انطوش بيروت .

وقد تعين للرهبان البلديين (اللبنانيين) : دير مار يوحنا رشميا ، ودير مار انطونيوس قزحيا ، ودير مار انطونيوس سير ، ودير سيدة طاميش ، ودير سيدة مشموشه ، ودير مار يوسف البرج ، ودير مار انطونيوس حوب ، ودير مار جرجس الناعمة ، ودير مار مخايل بنابيل ، ومار موسى الحبشي (المتن) ، ومار مارون بيرسنين (مجد المعوش) ، وانطوش صيدا ، وقسم انطوش بيروت الذي بيدهم ، وانطوش طرابلس . وجرى ذلك برضى ريسهم العام ، الاب عمانويل الرشماني ، ومدبرينه الاربعة .

قد اتفقا اتفاق عام ، لا رجوع فيه ابدًا : ان ليس لاحد القسمتين لا دعوى ، ولا طلبة ، بوجه من الوجوه ، لا من جزئي ولا من كلي . وكل منهم يتصرف بقسمته من غير معارضة مع الاخر . وان احد من الرهبان ينقل من قسمة الى قسمة . وعلى ذلك تم الحال والرضى والاتفاق ، بموجب حجة من قدس سيدنا البطريرك والقاصد المذكورَين . وعلى موجبها حضر بُلّة (مرسوم) شريفة من المجمع المقدس بتحديد كافي . وان كل من تعدى هذه الشروط ، يكون ساقط تحت الحرم . وتم ذلك في ٧ (سبعة) كانون الاول سنة ١٧٦٨ .

[١١٦] تاريخ دير مار انطونيوس قزحيا

اولًا كان دير قايم بذاته ، تسكنه رهبان . وله ريس عليهم فقط . اي دير عباد مثل ديورة الذي بكسروان . لان كل دير قايم بذاته . وله رزق .

ويزوروه المتاهين (ذوو العاهات) من الارواح النجسة ، ويشفون . ما كان له ثم رزقاً . واستقام على هذا الحال جملة سنين . وبعد ذلك القس بركات البقوفاني ، عمر محبسة مار مخايل في سنة ١٤٩٥ ، وسكن بيا . وكانت الفة بينه وبين رهبان قزحيا اوقاتاً ، واوقـاتاً يصير بينهم نزاع . وسكن هذه المحبسة حبسا من بيت الرز من بقوفا . واستقام الحـال ماشي الى ان خرب البلاد ، وخرب قزحيا ومحبسته مدة ١٠ .

وبعده حضروا اناس من قرية اصغر جبيل ، وسكنوا العوام منهم شركا في العربة (قرية من املاك قزحيا بجواره) . والكهنة سكنوا في الدير . وارتسم منهم ثلاث مطارين ، مطران بعد الآخر (متوالين) في قزحيا . واقتنوا له جملة رزق . واستقاموا فيه مدة سنتين .

وبعده حضروا عيلة من بكفيا ، يقال لهم بيت حبقوق ، وسكنوا مع الشركا في العربة . . وبعده دفعوا لبيت السمراني اثني عشر كيس ، نظير(لقاء) اتعابهم بدير قزحيا . واخذوه منهم . وسكنوا عوضهم . ونصبوا وعمروا في رزق الدير . واستقاموا مدة سنتين وارتسم منهم على الدير مطران عبدالله حبقوق . وقضى حياته في الدير . وقام بعده من عيلته المطران يوحنا حبقوق . وسكن في الدير كم سنة الى ان حضروا الرهبان اللبنانيين ، وعمروا ديورة في الجبة وغيرها . وحين نظر المطران يوحنا اجتهاد الرهبان في عمار الديورة ، وعبادتهم ، ومسواقهم (سلوكهم) الحسن ، سلمهم دير قزحيا سنة ١٧٠٨ (الف وسبعمائة وثمان) . وابتدوا يعمروا في الدير . وانشأوا له جملة ارزاق في الجبة . وذاع صيت عجايبه الذي لم لهـا حد . حتى صارت تتقاطر اليه كافة المستقومين في الاوجاع الصعبة ، من كافة الاقطار والامم ، مومنين وغـير مومنين ، من بر الشام ، وحلب ، ومصر ، وحتى من البلدان الشاسعة البعيدة .

وتعاظمت ارزاقه واملاكه ومواشيه ، في الجبة والزاوية والكورة . وصار له مداخيل واهية من تعاظم الزوار . وصار عليه مصاريف [١١٧] زايدة توازي مدخوله . في هذه المدة (في عصر المؤلف) تسكنه رهبان ذوو اعتبار ، لا سيا الروسا الذين تقوم فيه . وكانوا الجميع عبرة صالحة لمن يراهم . وكانت دايماً القداسات والصلوات ما لها انقطاع ، ليلاً ونهاراً .

محبسة قزحيا الحالية

وعمروا محبسة في راس كرم غبتا ، تسكنها الحبسا مستقيمين بها ثلاثة ، يقضوا ايامهم في التقشف والنسك والسيرة الملايكية . وتعاظم شأن هذا الدير المبارك . وتفاضلت سكانه في النسو والعبادة ، الى يومنا هذا . وتدوم بعناية الله ، تزيد ولا تنقص . رزقنا الله شفاعة القديس مار انطونيوس امين .

[١١٨] مختصر تاريخ الفرنساوية

هنا يذكر المؤلف باقتضاب ، ما جرى في فرنسة سنة الف وسبعمائة وثمان، من انقلاب وتطور ، واضطهاد الكنيسة ذلك الاضطهاد المروّع ، ومقتل الملك لويس السادس عشر . . . الى ان يصل الى حروب نابليون الاول ، وغزوته لمصر وفلسطين، ومحاولته افتتاح الشرق برمته ، وانكساره على اسوار عكا. وبما ان المؤلف معاصر لغزوة نابليون الشرقية ، ودوّن ما سمعه عن ذلك في وقته، وهو متعلق بهذا الشرق الادنى ، وملامس لتاريخ لبنان ، رأينا ان نثبته ، عملًا بالامانة للخدمة التاريخية ، في ما يلي :

. . . وكان قايد الجيش الفرنساوي ابونابارته (Bonaparte) ، رجل شهم في الحرب ، وكبير في القتال ، وذو معرفة وفطنة . لم يجد مثله قط . لانه مختبر من جملة وقايع حصلت معه في البلاد الفرنجية ، قبل توجهه (الى الشرق). وحيث ان هذا البطش العظيم وجهه تايد جيشهم الى الاقاليم المصرية ، وبرّ الشام ، وعرب بستان ، بجملة مراكب وعساكر . وفي وصوله الى مدينة الاسكندرية ، تسلمها حالًا . وهرب منها العساكر الاسلامية . واخذ كافة الاقاليم المصرية [١١٩] وما يليها ، في مدة خمسة اشهر ، سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) .

ماجريات نابوليون في مصر ، وزحفه الى عكا

واجري في مصر وكافة اقليمها ، وبلاد الصعيد ، كافة حكومته ، كما شا، واراد ، من غير ان يعارضه احد كلياً . ورتب سنن وفرايض كما اراد. وكذلك ولّى كل احد من قواد جيشه موضع يناسب ، في الاقليم المصري .

وبعد ذلك ، توجه الى بر الشام وعرب بستان . فكان وصوله اولًا الى عكا في ٢ شوال سنة ١٢١٣ (المذكورة).

وحاصر عكا حصار عظيم . وصنع بها هولًا جسيم . وذاق من فيها الموتات ، وانفذ على أهلها امرّ الحصارات ، بما نالهم من الضربات . وعمل بها اعمال تعجز عنها الاسود . وكان يومئذ وزيرها احمد باشا الجزار ، صاحب السطوة الكبرى والمعارف المتبحرين (كذا) ، ريس وكبير كافة وزر (وزراء) عرب بستان (سوريا وجوارها) ، وحلب والشام ، في عصره وقبلـه ، كما اخبرنا الاقدمين .

وحين عرف هذا الوزير ما حصل من الجيوش الفرنساوية في الديارات المصرية، حالًا باشر في جمع عساكر وجيوش من كافة المحلات ، وباشرت الجيوش (ترد) على عكا ، حتى لم عادت تساع من العساكر . وفي وصول الجيوش الفرنساوية، انعقد الحرب والقتـال . وبدت الاهوال من كل جانب الى عكا . وكان المساعد الاكبر مع الوزير ، مراكب الانكليز ، الذي كان قبطانهم (قائدهم) سيد (سدني) . وساعد (هذا) سكان عكا مساعدة عظيمة . ولو مـا مساعدته ، ما كانت لقيت الا برهة وجيزة .

وانتصب الحرب بين الفريقين . وذاقوا سكانها كافة الاهوال . وقتلوا منها جملة عساكر . وتم في عكا قول الغفر (او الجفر) : « وعكا سوف تعلوها جيوشاً كما تعلو الغيوم على الجبال ». ودخلوا اليها ، وملكوها مرتين. والمرة الثانية قتلوا منهـا جمع غفير . والبعض من العساكر ومن سكانها رميوا حالهم في البحر . والبعض هربوا لنواحي صور وصيدا . وبقي الجزار ومعه عسكر قليل في سرايته . وبعد حصاره ثلاثة وستين يوم ، قاموا عنها الفرنساوية في ذي الحجة سنة ١٢١٣ (ذاتها) .

وسبب هذا القيام انهُ حضر هجان (رسول) الى بونابارته من مصر ، ومعرفيه ، انه حضر له علم من البلاد (فرنسة) انه [١٢٠] يرجع اليه حالًا . وبوقته طلع العسكر الذي دخل لعكا . وفي الليل ترك جميع الاثقال الذي معه . واخذ الذي يقدر على حمله بسهولة .

معارضة نصّ كتابين مخطوطين بنصّ كتابين مطبوعين

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

نوطة

في السرقة الأدبيَّة

نزل بالفضل وآلهِ ، والأدب ورجاله ، خطبٌ جسيمٌ وبلاءٌ عظيم ، اذ أُصيب بفريقٍ من الناس حشر نفسهُ بين طلّابهِ وأربابهِ الخائضين الميادين الكتابيَّة ، المجلّين في مضمار المعارف ، المتحفين عالمَ العلم بروائع الآثار الادبيَّة والتاريخية . وما خشي المتنطعون المغامرون بلا رويَّة ان يحسبوا في عداد الطفيليين على موائدهِ ، الذين لا يقيسون الأُمور وزناً ، ولا يراعون للأَخلاق حرمةً ولا للوجدان كرامةً . وما همُّهم ان تلوك الالسن سمعتهم وتنهك الاقلام حرمتهم ، وان يُلوَّث شرفهم وتطعن كرامتهم وتلفظهم الشفاه ، بل تقودهم المراغب الى الاستمتاع باللذائذ والأَطايب ، منها الشهرة الكاذبة التي يتعشَّقونها مضحّين بكل غالٍ ورخيص في غُنمها ، غير مكترثين لقوارص الكلام ، ولا مبالين بتنديدٍ أو ملام .

وكان الأَجدر بهذا الفريق الاول ان يقبع في زوايا سكوتهِ وسكونهِ ، من ان يطلّ بوجههِ المبرقع المبقَّع والمبرقع بجميع الوان البراقع ، اشفاقاً عليهِ من الامتهان والازدراء ، ومن ان يكون حديثهُ سخرية الساخرين . على انه يستسهل الوعر ويشحذ شفار العزم دائساً الشهامة والنزاهة برجل الاستخفاف وخارقاً شرعة الأَدب والادباء توصُّلاً الى نيل رغبتهِ في هذه الشهرة الزائفة الباذخة عن هذه الطريقة المشينة المعيبة .

امَّا الفريق الثاني فهو من تلك الطبقة العالية المتنوّرة الكثيرة التفكير والتنوير ، ومن صفوف حملة الاقلام ذات الاشعاع المندفعة الى الأَمام التي

ترسل انوارها فتخترق الحنادس ، وتضيء العقول المتخبطة في الدياجر ، فترى من حولها الدرر والغرر المنثورة ، فتلتقطها غذاء وذخراً .

على ان ما يُؤسف لهُ أشدَّ الأسف ، هو ان نرى بعضاً من هذا الفريق الثاني يتدنّى ويخنع ، بالرغم من وجاهتهِ وشهرتهِ في عالم الأدب ، لشهوتهِ المتمرّدة الجيّاشة الميّالة الى المكاسب والمرابح ، سواء كان بحلالٍ او حرام ، فتعمي المادةُ العمياء بصيرتهُ فيعمد الى تناولها عن طريق الخسّة والدناءة ، غير ملتفتٍ الى كرامة مقامهِ وبياض صفحة ايامهِ ، ذلك مما يندى لهُ الجبين خجلاً ويدمي القلب اسفاً وندماً .

ومما دعانا الى ارسال هذه النفثة الموجعة ، هو ما رأينـاهُ ونراهُ في كل عصر ومصر من فوضى الاقلام ولاسيَّما في هذه الايام ، وكثرة إقدام المتهوّسين المتغطرسين أصحاب الدعوى العريضة ، على « السرقة الأدبية » لا يلويهم عنها شرف ولا يثنيهم عن الانطاح بردغتها حياء ، لظنهم انها تبقى لاطئةً وراء أستار الخفاء لا تهتدي الى كشفها عين الضياء ، وقد ندَّ عن ذهنهم ان الآثار التي تركتها هذه الفعلة النكراء ، تشير اليها وهي أدلُّ عليها من دليل الفجر على الصبح . فاذا جاز ان يُنعت « لصوص المادة » بنعت اللؤم والـذمّ واللوم ، فبالأولى يجب ان يُرمى بهذا النعت « لصوص الأدب » وهم بهِ أجدر وأحق ، لان سرقة ثمرة العقل هي اقبح من سرقة ثمرة اليد ، ولصوص الأدب ينعمون بثمر تعب ذوي الكدّ والجدّ ، الأمر الذي لا يجوز لهم ان يستحلّوه ، الا اذا استحلّوا سرقة «الذهب» فلهم عندئذٍ ان يستحلّوا سرقة « الأدب » .

٥

وقد بُلينا في هذه الآونة بمثل هـذا الخطب ، فهجم بعض الأغبياء حتى العقلاء ، ايضاً ، من ابناء العربية ومن ابناء الفرنجـة المختلفي الاطوار والحالات ، على كتابَيْنا « الاب شربل مخلوف حبيس محبسة دير عنّايا » وكتاب « الاخت رفقة الريّس الراهبة اللبنانية » فاختلسوا منها ما استطيبوهُ وتذوَّقوه ، وبتروا ما بتروا ، وشوَّهوا ما شوَّهوا ، ونقلوا بحرفهِ الواحد ما نقلوا ، وترجموا ما ترجموا الى لغاتٍ متنوعة ، ومسخوا ما مسخوا ، وسلخوا ما سلخوا ، وسرقوا ما سرقوا على المكشوف والمفضوح ، وادَّعوهُ لانفسهم ، من دون ان يذكروا

الموارد التي نهلوا منها والمصادر التي أخذوا عنها هذه المعلومات أو هذه العبارات، وراحوا يتبجّحون بما نهبوهُ متنفّشين كالهرّ مزهوّين به زهو الطاووس بريشهِ، متلبّسين الظلام اخفاء لهم عن العيون . وقد جهلوا أو تجاهلوا ان كلّ سرقةٍ مادّيةً كانت أو ادبيـّة ، هي محرّمة ولا بدّ من يوم يُكشف فيه سترها ويُفضح امرها .

ونذكرُ اننا طالما من نحو عشر سنوات، ترجمة الراهبة رفقة الريّس في احدى المجلّات ، بنصّها الواحد الذي هو من قلمنا من اولها الى آخرها . نشرها حضرة الاب « المحترم » في مجلّته غفلًا من اسمنا أو من اشارةٍ الينا ولو خفيّةً على الأقل بحسب الاصول المتعارفة . وانت خبير بان المقـال اذا لم يكن مصوّرًا أو مذيّلًا باسم منشئهِ فانهُ يُنسب الى صاحب المجلّة أو الصحيفة التي نُشر فيها على ما هو معلوم ومفهوم . رأينا كل ذلكَ وسكتنـا ! ويظهر ان سكوتنا غرّ سواهُ فأغواهُ ففعل فعلتهُ ، ولكنّهُ حذف وبدل وأوارب وخاتل وراوغ وسرق بطريقةٍ لبقة لا تخفى عن كلّ ذي عينين لدى مقابلة النصّين !

وآخر ما مُنينا به وابتُلينا ، هجوم جديد فُوجئنا به ولم نكن نتوقعهُ . وتفصيل الخبر : بينا كنا نُلقي رياضة روحيّة في قريةٍ من قرى الشوف ، في شهر تشرين الاول سنة ١٩٥٢ ، وقع في يدنا صدفةً الجزء العاشر من مجلّة ، نمسك الآن عن تسميتها ، وهو جزء تشرين الاول من سنة ١٩٥٢ ، فقلّبناهُ فاذا في الصفحة ٦٢٢ منهُ ، مقالٌ باربع صفحات عنوانهُ :« الراهبة رفقا اللبنانية ١٨٣٣–١٩١٤ » متوّج باسم أبٍ « محترم » ايضًا . وأقلّ ما يُقال وينمّ عنهُ هذا المقال ، ان كاتبهُ العبقري – حفظهُ الله حجّةً للتاريخ – قد حذق حرفة البتر والنسخ والمسخ والسلخ من ترجمتنا للراهبة رفقة ، وأبت عليه طباعهُ الكريمة ان يشير الى الموطن الذي نقل عنهُ لا تلميحًا ولا تصريحًا اسوةً بزملائه الابطال[1] !

وممّا يُنبئ عن ان حضرة « المحترم » من مَهَرة المؤرخين وحذّاقهم الخُلقاء

١) كنا فرغنا من كتابة مقالنا : « معارضة نصّ كتابين مخطوطين ، بنصّ كتابين مطبوعين » في صيف هذه السنة ١٩٥٣ ، في دير سيدة المعونات بجبيل ، وقدّمناهُ للطبع . ولما وقفنا على مقال حضرة هذا الاب « المحترم » المؤما اليه ، ارسلنا فاستعدناهُ حتى صدّرناهُ بهذه الكلمة في « السرقة الادبية » .

بكتابة التاريخ ، هو قوله في خلال كلامه عن مراحل حياة الراهبة رفقة : « انها درَّست الصغار في قرية معاد سبع سنوات وفي تلك الايام صدر امر الكرسي الرسولي بالغاء الرهبانية اليسوعية فتفرق شمل الرهبان والراهبات كل الى بلاده.»

فكم كانت دهشتنا عظيمة لدى قراءتنا هذه العبارة التي استنكرناها أشدَّ الاستنكار ! وما درينا من اين أتى حضرتهُ بفكرة إلغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة الكريمة حتى نَصَبها في هذا الموضع ! ? وما الداعي لاثباتها في هذا المقام ! ? ولمَّا كان حضرتهُ قد سلَخَ مقالهُ هذا برمَّته من ترجمتنا لهذه الراهبة كما أسلفنا ، رجعنا الى هذه الترجمة لنرى اذا كنا قد وقعنا هناك في هذا الخطإ ، فاذا بنا نقول :« وفي تلك الأيام ارتأى الآباء اليسوعيُّون ان يتفرَّق شمل الراهبات لأسباب[1] » واننا لم نذكرها في حينه ، لانها تُدرك بداهةً من سياق كلامنا عن أدوار حياة الراهبة رفقة التي أتينا عنها بالتفصيل . وما كانت تلك الأسباب إلَّا حوادث سنة ١٨٦٠ الشهيرة التي ضعضعت مذابحها وأهوالها العقول ووقف العقلاء إزاءها مكتوفي الأيدي حائرين لا يعلمون كيف يصنعون ! وكلُّ من لهُ أدنى إلمام بالتاريخ لا يجهل ان البابا اكليمنضوس الرابع عشر ألغى الرهبانيَّة اليسوعيَّة مكرهاً تحت تأثير الضغط والارهاب وذلك في سنة ١٧٧٣[2] . فأين كانت الراهبة رفقة ! ! ? وأين كانت جمعيَّة راهبات القلبين الاقدسين في تلك السنة التي أُلغيت فيها الرهبانيَّة اليسوعيَّة ! ? ? فــانَّ صاحبنا شطب بجرَّة قلم فوق اسم سنة ١٧٧٣ التي صدر فيها مرسوم « الإلغاء » وأثبت مكانه اسم سنة ١٨٦٠ ، فتحصَّلت النتيجة من مقدَّمات كلام حضرة الاب المحترم على هذا النحو :« ان البابا اكليمنضوس الرابع عشر المتوفَّى في سنة ١٧٧٥ أصدر أمرهُ في سنة ١٨٦٠ بالغاء جمعية راهبات القلبين الاقدسين (قلب يسوع وقلب مريم) المرتبط قانونها بقانون الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي فيها تفرَّق شملُ الراهبات والرهبان ، اي في سنة ١٨٦٠[3] » ، زه ! زه ! أكذا تكون المناطقة ونتائج مقدَّماتهم ! ! ?

---

١) ترجمتنا للاخت رفقة الريس الراهبة اللبنانية . الطبعة الاولى . بمطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٣١ ص ١٦ .

٢) عليك بمقال الاب شيخو اليسوعي في هذا الموضوع (المشرق ٢١ [١٩٢٣] ٥٦١)

٣) راجع بحث الاب شيخو في نشأة جمعية الراهبات المريمات التي اسسها الخوري دانيال

أهكذا يكتبون في التاريخ ! ! ؟ أعلى هذا الشكل يكون التصحيف والتحريف والخبط والخلط والجهل والعمى ! ! ؟ أما كان الأفضل لهذا الاب ان ينصرف الى الكتابة في بحث جديد ، غير بحث الراهبة رفقة ، يدرّ عليه الشهرة التي يتطلّبها ، من ان ينقل من كتابنا فيمسخ ، ويطلع علينا بمثل هذه الفهاهة ! ! ؟ انا نراهُ وأيم الحق ، جديرًا بان نخصَّهُ بهذه الأبيات التي خطرت لنا فنظمناها ، ونحن في معرض هذا الكلام ، وهي :

لله درُّهُ كاتبًا ومؤرّخًا تهوى الحقائقُ ان تحطَّ ببابهِ
ويودُّ تاريخُ البلادِ بأسرهِ تعفير جبهتهِ على أعتابهِ
واعتزّ لبنانُ به يوم الوغى بسهولـه وبطاحـه وهضابهِ
حمل اليراع وكان أوّلَ فارسٍ خاض المعامع في رؤوس حرابهِ
ان مرَّ فوق الطرس هزَّ صريرهُ إبنَ المقفَّع فانتشى بترابـهِ
او جالَ في التاريخ جولة عالمٍ متحقّقٍ أربى على أقطابـهِ
دانت لهُ الأقلامُ في تحقيقها وَمَشَتْ اليهِ تعبُّ درَّ عبابهِ
كم قال قبلي في البريّة قائلٌ يا ليتني قد كنتُ من حجّابهِ
ليظـلَّ رأسي شامخًا بشموخهِ واظلَّ أغرفُ من خضمّ سرابهِ
وأكون تيّاهـاً بهِ بمشيرتي ما زلتُ أرتعُ في فناءِ رحابهِ
يا بهجةَ التاريخ في طـلّابهِ ان كان هذا الفردُ من كتّابهِ
سيجدّدُ البالي وينشرُ ما انطوى ويعيدُ رونقهُ وغضَّ اهابهِ
ورواة طلعتهِ وسالفَ مجدهِ ان خطَّ سطرًا في سطور كتابهِ
فتراهُ يرفلُ في مطارفِ وشيهِ كالبدر يخطرُ في سنى جلبابهِ
بالنسخ بل بالمَسْخِ أصبحَ ماهرًا متفوّقًا حتى عـلى أربابهِ
بالخبط بل بالخلطِ آيـة دهرهِ قد بزَّ من سبقوه من اصحابهِ
داءٌ أُصيبَ بهِ وعزَّ دواؤهُ يا للمصيبة في حلولِ مصابهِ

ألا ينصفنا قرّاؤنا بعد كلّ هذا التلميح أو التوضيح ، ويعطوننا الحق كل الحق في قولنا الصدق بتهمة أبطالنا بالسرقة الأدبيّة وبالسلخ والمَسْخ ، وبتشويه الحقائق وابدالها بالمخارق ! ! ؟ عن قريب نضع النقط على الحروف ونقابل

الجميل ، وكيفية انضمامها الى جمعية راهبات قلب يسوع ، ففيهِ حدُّ الكفاية (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٦٤١ — ٦٥٦

سرقاتهم بكتاباتنـا بأجلى وضوح ، فتنكشف عندئذٍ الرغوة عن الصريح ، ويظهر الحق ويزهق البطل . ان الباطل كان زهوقاً !

وهناك فارس آخر مغوار من فرسان هذا الميـدان ، وهو أبٌ « محترم » ايضاً ، برز الينا من الوراء منتضياً سيفاً طويلاً لا يتناسب هو وقامتهُ ، ونزل الى ساحة كتابنا المعروف « الاب شربل مخلوف » وجال فيها جولة بطولة ورمى أو ضرب هـذا الكتاب ناهجاً نهج أضرابه الشجعان ، فقطعَ وبترَ ، وشطرَ وشترَ ، ونسخَ ومسخَ ، وسلخَ وفسخَ منهُ العبارات التي نطق بها الاب شربل ، ودار حولها دورةً ثمَّ ضمَّها في كرّاسة صغيرة وطبعهـا باسمه سنة ١٩٥٢ تحت عنوان : « كلمات الاب شربل » في ٤٠ صفحـة[١] . ولم يتنازل حضرة هذا « المحترم » الذي يتمرّن على الضرب والرماية ، ويفيدنا عن المصدر الذي سلخ منهُ هذه « الكلمات » الخالدات ! فبرهن بذلك على انهُ ضرّاب ماهر وقطّاع نادر !! فلله درّهُ !!

كذا فلتكن أبطـال التاريخ والادب ! كذا فلتكن مضارب سيوف الفرسان ! وعلى غرار ابطالنا البسلاء فلتطبع حملة الاقلام وقادة الاذهان ! انهُ :

لمثل هذا يذوب القلبُ من كمد ! . .

ولا يتوهّم قرّاء « المشرق » الألبّاء ، ان الامر انتهى عند هذا الحدّ ، ويا ليتهُ انتهى ، لكان هان الخطب وخفّت المصيبة واسترحنا وروّحنا ، ولكننا رأينا كثيرين من طراز اصحابنا المطرطرين ، قد حذوا حذوهم في الإقدام على السرقة من كتابنا « الاب شربل مخلوف » بالرغم من اعلان تنبيهنا على صدر صفحة عنوانه ، بان جميع حقوق الطبع والترجمة والنقـل والاقتباس محفوظة للمؤلف » اي لنا ، الذي لم يكترثوا لهُ ، بل اقتبسوا واختلسوا منهُ ما شاءوا وشاءت رغائبهم وأذاعوا كتاباتهم هذه النفيسة بكلّ صفاقة ووقاحة خاليةً من ذكر مواطن الاختلاس او الاقتباس ، بعد ان قنّعوها أقنعة شفّافة لا تستر خزيهم ولا تحجب عنهم طريق الهزيمة . وسوف نأتي على ذكرهم واحداً فواحداً مجاراةً لرغبتهم في توسيع شهرتهم ، ولا نحرمهم آيات الثناء والاعجاب ببطولتهم !!

١) اطلعنا على هذه الكراسة ايضاً اتفاقاً وعرضاً اذ كنا في جهات الشوف .

لقد وهموا أو توهموا بأنهم اذا راغوا روغة وسرقوا سرقة من المجانسة عن حياة الاب شربل والراهبة رفقة وخطُّوها بقلمهم وعلَّموها وبرقشوها باسمائهم، يظنّ الناس ان الله قد آتاهم فتحاً مبيناً ونصراً عظيماً، فافتتحوا بجدة ذكائهم ومضاء عزيمتهم اميركة جديدة، مع ان الناس يعلمون بان الذي افتتح اميركا من قبلهم هو كريستوف كولومبس، بعد ان خاض البحار وركب الاخطار وقاسى الاهوال. ورحم الله الشيخ عبدالله البستاني الذي قال:

لو كنتُ أقدرُ ان أعاقب أجرًا قاسى بها كولومبسُ الأهوالا
لنزعتُ منها درَّها وجملتُهُ فوق الضريح لشخصهِ تمثالا

لم يطلع علينا أصحابنا بشيء جديد قد خفي عنا أمره في حياة الاب شربل او الراهبة رفقة لنقرّ لهم بالبطولة والمقدرة، ولكنهم كانوا عالة علينا في كل ما بحثناه وحققناه عنهما! فما الداعي اذاً لكل هذه الخرشفة والفطرسة؟!

ه

ما حيلتنا بهؤلاء المتبجحين المتفيشين الفوارس بالتاريخ؟! وقد سُدَّت بوجهنا الحيل في ردعهم وزجرهم عن مثل هذه السرقات، والشاعر يقول:

في حيلةٌ في من ينمُّ وليس «للمرائي» حيله

قيل: ان الشيخ ابرهيم اليازجي نظم بيتين من الشعر تحت رسمه، فاقتبس اديب بك اسحق منهما المعنى وسبكه في بيتي شعر من نظمه، ولما اطلع عليه اليازجي وأعجباه قال: «من سرق واسترق فقد استحق» ولو فعل اصحابنا لكنا سكتنا وأطرأنا، ولكنهم سرقوا فغلظوا ولم يرقوا ويسترقوا ليستحقوا. ويبين انهم أحبوا ان يمثلوا دور عيسو فمثلوهُ! فالى أبطالنا هؤلاء «المحترمين» ونظائرهم نوجه الكلام قائلين:

اين كنتم عندما بدأنا بسنة ١٩٢١، نبحث وننقب عن حياة عبيد الله الثلاثة: الاب نعمة الله كسَّاب الحرديني والاب شربل زعرور مخلوف حبيس محبسة دير عنايا والراهبة رفقة الريس من حملايا!؟

اين كنتم وقت نشرنا في سنة ١٩٢٢ مختصر حياة الاب شربل في مجلة «المشرق» الزاهرة، وحياة الاب الحرديني مشفوعة بذكر عجائبه في مجلة «رسالة السلام» وحياة الراهبة رفقة في المجلة «البطريركية» وقد طبعناها على حدة

طبعتين ! ؟ لماذا لم تكتبوا عنهم في ذلك الحين ؟

اين كنتم حينما كنا نجول في انحاء لبنان قاطعين المسافات الشاسعة ومعانين مشاق السفر تارةً مشياً وطوراً ركوباً ، ومتأبطين دفاترنا وأوراقنا ومتحمّلين ثقل التعب ومضض الحرّ والقرّ والجوع والعطش ، للتقصي والتفتيش عن آثار هؤلاء البررة الاتقياء ! ؟

كم من مرةٍ سقطنا عن ظهر مطيّتنا فأصبنا برضوضٍ وجروح في هذا السبيل أطلقنا من ورائها التأوّه والأنين ! ؟

كم من ليالٍ سهرناها الى ان افترّ ثغر الفجر لقدوم الصبح ، ونحن مكبّون على التدقيق والتحقيق في حياتهم حتى أبرزناها بمثل هذا الجلاء والوضوح ! ؟

كم من عقباتٍ كأداء صدفناها في حلّنا وترحالنا فذلّلناها ! وكم من عُقَدٍ ومشكالاتٍ وجدناها فحللناها ! وكم من أعراقٍ وجهودٍ بذلناها مستسهلين الصعاب غير حافلين بالأتعاب في خدمة رجال الله الاقطاب ! ؟

بحقكم قولوا لنا اين كنتم في ذلك الحين وما خضتم هذه الميادين ! ؟

اين كنتم حينما دخلنا في احد الأيام غرفة مخدومنا المفدّى قدس الآباتي اغناطيوس داغر التنّوري رئيس الرهبانيّة اللبنانيّة العام سابقاً ، فرأيناه ينضّد ثيابهُ في حقيبةٍ استعداداً للسفر الى رومة العظمى لتقديم واجبٍ بنويّ فقط ، فقلنا لهُ : « من حيث انكم ذاهبون الى رومة فلا يصعب عليكم ان تشاوروا هناك مَن تريدون فيما اذا كان مناسباً ان تعرضوا لقداسة البابا موجز حياة رهباننا : الاب نعمة الله كسّاب الحرديني والاب شربل مخلوف والاب دانيال العَلَم الحدثي[1] (حدث الجبّة) والراهبة رفقة الريّس ، وما أجرى الله على ايديهم من العجائب أحياء وأمواتاً ليجري الفحص عنها . هل تعلمون ماذا اجابنا؟ قال وهو يهزّ برأسه : « اننا بالكدّ نعرف اسماءهم يا بُنيّ ، وليس لدينا كتابة ما ولو قصيرة نستند اليها في فتحنا هذا الفتح ! » وفي حال سماعنا جوابه اسرعنا الى غرفتنا وأتيناهُ بدفاترنا المنطوية على أبحاث مسهبة عنهم ، ولما رآها مستوفية

---

١) أرجئت دعوى هذا الاب البار الى ما بعد البتّ بقضية اخوانهِ الثلاثة، وهو لا يقلّ عنهم طهارةً وقداسةً وشهرةً . وقد إفردنا لهُ دفتراً خاصاً متضمناً الابحاث الجدّية في حياتهِ النسكية ، وربما نشرنا ترجمتهُ في مجلة « المشرق » المنيرة .

شروط الدقة والضبط قال متعجباً : « اي متى عملتم هذا العمل ؟ ومن قال لكم تعملوهُ ؟ » قلنا : « بدأنا به في سنة ١٩٢١ ، وعبيدالله هم الذين ألهمونا مباشرته » فأمر عندئذٍ بضمّ دفاترنا هذه الى حقيبته وسافر في اليوم التالي الى رومة سنة ١٩٢٥[١] ، وأخبر بالامر الكردينال سينشيرو وأطلعهُ على الدفاتر وسألهُ رأيهُ ، فاجابهُ الكردينال : « من كلّ بدّ اعرض المسئلة لقداسته » . فتشجّع الاب التنّوري ، ولمَّا مَثل بحضرة قداسة البابا بيُّوس الحادي عشر في الرابع من ايار من السنة المذكورة ، بسط له القضيَّة بايجاز راجياً ان يتنازل ويأمر بالفحص القانوني عن حياتهم . فقال لهُ قداستهُ : « حين وصولك الى لبنان باشر في الحال فتح الدعوى رسمياً والمجمع المقدس يفيدك عن كيفيَّة السير فيها ، وانا أسعفك . . . »

عاد الاباتي التنّوري الى لبنان متهلل الوجه عامر الصدر بدواعي الفرح والابتهاج بنجاح المسعى ، وباشر للحال فتح الدعوى ، ونحن الذين انشأنا العرائض الثلاث وكتبناها على ورق من المبادي الصقيل ورفعها قدسهُ الى المثلَّث الرحمة البطريرك الياس الحويك الذي عيَّن لجنة خاصة للفحص والتحقيق في هذه الدعوى المهمَّة . ولم تزل بيد احد افرادها ثلاثة تحارير قدَّمناها لهُ ، هي بخط يد الاب الحرديني نفسه ، عثرنا عليها بشق النفس بعد تفتيش استغرق ثلاثة ايام في اكداس من الاوراق والرسائل غطتها طبقات الغبار ، في بيت الوجيه المرحوم ابرهيم الخواجا من جران (بلاد البترون) والى الآن لم يرجعها الينا بالرغم من مطالبتنا بها مراراً . ونذكر ان احد هذه التحارير الاب الحرديني ، مؤرخ في سنة وفاته وهي ١٨٥٨ ، وقد رأينا فيه نثار الرمل على امضائه تجفيفاً لحبره جرياً على عادة الكتّاب في ذاك العصر .

بعد ان بسطنا ما بسطناهُ ، نصدع بهذه الحقيقة بدون ادنى تهيب وتحرُّج : ان فكرة إثارة قضيَّة عبيد الله الثلاثة في دوائر رومة هي فكرتنا ، ونحن أول من كتب عنهم[٢] ، وان اللجنة التي عُهد اليها بالفحص والتحقيق عن حياتهم وعجائبهم ، فالى دفاترنا رجعت وعليها عوَّلت واعتمدت وبنورها استضاءت ،

١) طالع تفاصيل هذه الرحلة (المشرق ٢٤ [١٩٢٦] ٨٠ - ٩١)

٢) ترك لنا قلم الاب نعمة الله القدّوم الكفري الشهير بعض صفحات عن حياة الاب الحرديني وعجائبه ، جمعناها من هنا وهناك ، ولو لم نظفر بها لكانت تلاعبت بها ايدي الضياع .

اذ لولاها ما كانت لجنة ولا كان فحص او رفع قضية الى رومة ! واذا كنتم في ريب مما قلناهُ ، فالاب المحترم التنوري ما زال حياً يُرزق ، فاسألوهُ ! اسألوهُ فتعلموا اذا كنا صادقين أو كاذبين ! بحقكم قولوا لنا ايها «الأشبال» أصحابنا ، اين كنتم في جميع هذه الأدوار التي ذكرناها ! ? أكنتم بالامس نكرةً واليوم اردتم ان تصيروا معرفةً بكدكم واجتهادكم في الكتابة عن الاب شربل والاخت رفقة ! ? بارك الله في همتكم العالية ! !

هل يعلم القرّاء اين كانوا ? يعلم جميع عارفيهم انهم كانوا في ذلك الزمن متوسدين وساد الراحة طربين بالأحلام اللذيذة ، لا يخطر ببالهم واحد من رجال الله الثلاثة المذكورين ! وما انتبهوا من سِنة الكرى إلاّ على دويّ عجائب الاب شربل الجبّارة في هذه الآونة الأخيرة ، فهبّوا وأسرعوا الى الكتابة عنهُ وعن رفيقيهِ ، اظهاراً لمقدرتهم الكتابيـة وتضلعهم من التاريخ ، ولما رأوا اقلامهم صدئةً ومحابرهم جافّةً ودفاترهم فارغة ، تعمّدوا قلمنا وحبرنا ودفاترنا . فلله درّهم !

ه

ومما زاد في الطين بلّة وفي الطنبور نغمة ، هو ان فريقاً من أمثال هؤلاء الافاضل ، قد بلغت به الجرأة والجسارة على سرقة آثار الرجال الأموات ، لا يصدّهم حياء عن نبش القبور وسرقة المطمور ! وهل من وصف أو نعت معيب ومؤلم معاً ، وهو ان يُقال للرجل : «يا سارق اكفان الموتى ! ?» ومن الناس من يتساءلون مثل هذا الوصف أو النعت المذموم ، لانهم لا يتورّعون من سرقة الاموات واحترام الرُفات ، وذلك باغارتهم على كتاب خطيّ قديم سواء كان وضعاً او ترجمة فينتحلونهُ ولا ينحلونهُ ويصدرونهُ ويُصدّرونهُ باسمائهم الكريمة ، ويطمسون اسم مؤلفه أو مترجمه بخطّ الدناءة والصغار مواراةً لهُ عن الابصار ، لوهمهم انهُ كرّت على هذا المخطوط سنون وأُهيل على صاحبه تراب السلوّ والنسيان وتوارى في خبر كان ، وهم لم يفطنوا ابين الله الشديدة السطوع التي تكشف خفايا الظلام وفعلة الظلاّم ولو من بعد حين ، ولم يصغوا لصوت الله الصارخ في الآذان : «لا تسرق» ! والسرقة لا بدّ من ان تفتضح ولو عبرت عليها مئات السنين . وفي دفاترنا الشيء الكثير من امثال هذه السرقات الادبيّة المتنوعـة

القديمة والحديثة التي تنبئ عن بطولة اصحابها الذين خالفوا قول من قال :

ليس من يقطع طرقاً بطلا انما من « يسرق الشيء » البطل

انا نصارح أبطال هذه السرقات وبالأخص ابطال سرقة كتابينا معلنين للجميع : اننا قد عقدنا العزم على اقامة الدعوى القانونية على المترجمين والناسخين والمقتبسين عن كتابينا في الاب شربل والراهبة رفقة ، والناشرين في جميع اللغات من اية طبقة ولغة كانوا ، المتعيشين أو الراغبين في الشهرة « على ظهر » الاب شربل والاخت رفقة، المستأثرين بالأرباح غير مقدمين شيئاً منها للرهبانية. وقد صممنا ايضاً على وضع درس خاص مستفيض ، في هذه السرقات وما يلابسها ويلامسها من ضروب الاحتيال ، مع ذكر موضعها واسماء ابطالها ، مقيمين الدليل على كل شاردة وواردة ، وسيكون المقبض الذي يشدهم من حديد ، بحيث لا يستطيعون ان يجدوا لهم مبرراً أو تمحلا او مفلتاً للهرب من الاقرار بها والتحمّل لتبعتها ولا شيء يثنينا عما قصدناه ، لا من صداقة ولا من سياسة ولا من تعارف ولا من رابطة من الروابط ، وذلك كبحاً واذلالاً لغطرستهم وزجراً لنظائرهم الذين تحدثهم نفوسهم بمثل هذا الإقدام أو الاقتحام المخجل !

ونقول ايضاً : انه اذا كان في عيشهم إمساك وضيق ، فليلتمسوا الرفق والرزق من غير هذه الطريق ! أو كانوا من محبي الشهرة ، فليطلبوها من غير هذا المصدر البالي العتيق !

ويعلم جميع عارفينا ومعاشرينا ان ليس من طبعنا التعرض لمثل هذه الامور، ولكنهم أحوجونا فأخرجونا عن دعتنا وسكينتنا وحملونا على ارسال هذا الرشاش اللاهب المتطاير من شق قلمنا، الذي يلفح ويلفع ويسفع ويصفع وجوههم الصفيقة وحدها لعلّها تندى بعرق الخجل والحياء. فيكفونا مؤونة هذا الاعنات ! وما كان أغنانا وأغناهم عنه لو لاذوا بالصمت الذي هو خير لهم وأبقى . ولو لم يطرقوا هذا الباب ، لما كنا أسمعناهم هذا الجواب . وقد سقط في محله .

هل دار في خلدهم يا ترى اننا « تقدمنا بالسن » كما وهمت مجلة «المسرة» العزيزة في خلال اطرائها أحد اعدائنا ، وتولانا العجز والوهن وكلّ اليراع في

يدنا فأمسينا عاجزين عن صدّ هجمات المتهجّمين علينا والمتحككين المتحرّشين بنا من دون سبب ؟ فاطمئنانا لبالهم نعالنهم : باننا لم نجتز بعد السنة السابعة والخمسين من عمرنا ، وما زلنا بعون الله ، على ذلك النشاط والجلَد على العمل الذي يعهده بنا اصحابنا وتعهده مجلّة « المسرّة » التي نشكرها على كلمتها الطيّبة بحقّنا ، ولم يتسرّب الينا بعدُ ونًى أو قعود وفتورٌ أو جمود ، ولن يتسرّب وينال منا ، باذن الله ، ما امتدّ بنا حبلُ الحياة . وباستطاعتنا ان نردّ كيد الكائدين ونطسَ الراغبين في مكاسحتنا ومكاشفتنا بالعداوة لغير علّةٍ ، وان نكبح جماح المطرمذين ونكفّ ايدي الطارقين بابنا للسعاية لا للهداية لعلّهم يُطرقون ويخجلون ! ! وبهذا القدر كفاية لأولي الألباب[1].

---

١) لدينا ابحاث خطيرة في حياة الاب شربل والراهبة رفقة ، كتبناها من نحو ثلاثين سنة وهي لم ترَ النور بعد ، ونبشر « اصحابنا » باننا عازمون على نشرها ، فلينتظروها ليتخاطفوها لقمة سائغة وغنيمة باردة ! !

معارضة نصّ كتابين مخطوطين بنصّ كتابين مطبوعين

المخطوط الأول

في خزانة كتبنا الخطيَّة بدير سيِّـدة المعونات (جبيل) ، كتاب خطي يتضمَّن « تسعة تأملات روحيَّة في سيرة القديس انطونيوس (الكبير) النسكيَّة » وينتهي كلّ تأمل بمخاطبة القديس انطونيوس وصلاة وتوذيع . وضعهُ باللسان التلياني الاب فرنسيس غلوسيوس اليسوعي ، ونقلهُ الى اللسان العربي الخوري اندراوس اسكندر العاتوري اصلًا والقبرسي مولدًا[1] ترجمان المجمع المقدَّس ،

---

[1] راجع ما كتبهُ عنهُ العلَّامة المطران يوسف الدبس في كتابهِ « الجامع المفصَّل في تاريخ الموارنة المؤصَّل » عدد ٩١ صفحة ٤٦٩ – ٤٧١ ، وذكر الدبس هناك انه لم يعرف من تآليفه سوى مقالة في ترجمة القديس مارون وثبات الموارنة الدائم في الايمان الكاثوليكي بالايطاليانية ، ومقدِّمات علقها على كتاب القداس الماروني المطبوع تحت نظره سنة ١٧١٧ برومة في خزانة كتبنا المومأ اليها ، كتابٌ خطي تحت رقم ٣٧ عدد ١٩ ، يسمَّى « كتاب محبة يسوع » نقله من اللغة التليانية الى اللغة العربية في سنة ١٧٣٧ الخوري اندراوس اسكندر المذكور تلبية لطلب القس يواقيم قدُّوم الراهب اللبناني .

يبتدئ هذا الكتاب « بفاتحة في محبة يسوع ص ٢ وبرقيم فهرسه ص ١٠ ، ينطوي على ثلاثة اقسام . القسم الاول يتضمن « ثمانية اسباب تقود الى محبة يسوع » ص ١٢ . والقسم الثاني «ثماني وسائط مسهِّلة ربح محبة يسوع» ص٧٦ ، «وصلوات وطلبة لاسم يسوع» ص ١٠٤ . والقسم الثالث « ثماني مطولات الى محبة يسوع وفي علاماتها ودلائلها » ص ١١٩ . ويلي ذلك « رياضة خشوعية نحو السيد المسيح يجب ان نصير كل يوم في مبدا (ابتداء) النهار صحبة الصلوات السامية » ص ١٦٧ . ثمَّ « ايضاً قول مختصر عن آلام السيد المسيح لان يسوع قد اوحى بذاته الى القديسة اليصابات والقديسة بريجيتا » ص ١٧١ . ثمَّ « تأمل مختصر في الآم المسيح » ص ١٧٦ منظم على عدد ساعات الليل والنهار التي تألم فيها المسيح . ثم « تأملات مختصرة في الآم سيدنا يسوع المسيح مبنية على ظروف الحدوث وهي ثمانية » ص ١٩٠ وهذه التأملات غير تامة لسقوط اوراق منها . ثمَّ « تأملات على ايام الجمعة في جهنم » ص ١٩٥ .

يقع هذا الكتاب المخطوط في ١٩٧ صفحة . طولهُ ١٦ سنتمترًا . عرضهُ ١١ سنتمترًا الصفحة منهُ ٢٠ سطرًا . مضى على نسخهِ مائتان واحد عشر عامًا . مكتوب بالحرف السرياني الكرشوني ، بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر . خطُّهُ جميل جدًا ، مجلد بجلد اسود مهترئ لتقادم عهده . قد اعملت الارضة اسنانها في اوراقهِ فثقبتها وخرقتها واذهبت بكلمات عديدة من فصوله . كُتب على ظاهر الصفحة الاولى منه بخط مختلف بالكرشوني : « وقف مؤبد برسم اخوية الرهبان اللبنانيين » .

اجابةً لرغبة رهبان دير مار بطرس ومرشلينوس في رومة العظمى ، ونسخهُ بخط سرياني – كرشوني – على ورق عبادي ، الاب جرجس قشوع الغسطاوي الراهب اللبناني (١) ، في ديرنا سيدة طاميش سنة ١٧٦١ ، يقع في ٢٤٨ صفحة . مجلّد بجلدٍ اسود . مكتوب بالحبر الاسود وعناوينهُ بالحبر الاحمر . طولهُ ١٥ سنتمترًا وثلاثة ارباع السنتمتر . عرضهُ ١٠ سنتمترات وثلاثة ارباع السنتمتر . الصفحة منهُ ١٩ سطرًا .

كُتب على قفا الصفحة الأولى منه بخط كرشوني مختلف :

« هذا الكتاب الى الاب قرياقوس البتماني قد تسلّمهُ حين عمّر مدرسة الصليب باعتنا حضرة الاب مرقص الكفاعي المدبّر . الله يرحمهُ » (٢

ورد في اولهِ بعد البسملة ما يلي بالحرف الواحد :

(بحبر احمر) « نبتدي بعون الله وحسن توفيقه تعالى في كتابة تسع تأملات روحيه في
« سيرة القديس انطونيوس النسكيه موسس الديارة الرهبانية

جاء في اولهِ بعد البسملة ما يلي بالحرف الواحد :
« قد استخرج هذا الكتاب المبارك من اللغة الايطاليانية الى اللغة العربية الاب الفاضل
« العالم العامل الذي رضع من حليب المدارس واستفاد وافاد بعلمهِ وحزمهِ لمن اقتدا (اقتدى)
« بفعله وهو الخوري اسكندر القبرصي ترجمان المجمع المقدس ومعلم اللغة السريانية والعربية
« في مدرسة الحكمة برومية الكبرى سنة الف وسبعماية وسبع وثلثين مسيحية وهو كتاب
« جليل مستناب ينير العقل والبصيرة ويهيج الارادة هيجانًا كليًا في المحبة نحو يسوع المسيح
« الذي اشترا (اشترى) الانفس بدمه الكريم وكان الساعي في استخراجه القس يواقيم
« قدّوم الراهب اللبناني من رهبان ماري انطونيوس الكبير اب الرهبان » .

وجاء في ذيل صفحة ١٩٧ المتضمنة اسم ناسخهِ ، وهي الاخيرة ، ما هو بحرفهِ :
« انتهى والمجد لله لا ينتهي بيد العبد الخاطي الشدياق انطونيوس ابن الخوري سمعان
« من قرية غوسطا في اليوم الثامن والعشرين من شهر تموز سنة الف وسبعماية واحدى واربعين
« مسيحية . فارجو من الاخوة القاريين الدعا وعدم المواخده بما يجدوه من النقص لان
« الكمال لله وحده صح » .

١) راجع ما جاء عن الاب جرجس قشوع ، تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية ، للاب لويس بليبل احد آباء رهبانيتنا ، في مجلدين كبيرين . مطبعة يوسف كوى بمصر ، سنة ١٩٢٤ و ١٩٢٥

٢) ان مدرسة الصليب كانت شيّدت في طَرَف قرية بجدرفل (بلاد البترون) بمحلّة نُدعى « بقرقريا » . واما الاب مرقس فهو من عائلة الحداد من قرية عين كفاع (بلاد جبيل) انتخب رئيسًا عامًا لرهبانيتنا اللبنانية ، وكان من آبائها المشهورين بالفضيلة والملحوظين بلاحظة الاعتبار رئيسًا كان او مرؤوسًا . وظلّت هذه المدرسة بيد الرهبانية سنين طويلة الى ان باعها الرئيس العام الاب مرتينوس سابا الغسطاوي .

(بحبر اسود) « الّفها الاب فرنسيس غلوسيوس الايسوعي واستخرجها من اللغة
« الافرنجيه الى العربيه الخوري اندراوس سكندر ابن المدرسه المارونيه لافادة طلّاب الكمال
« في الديانه المسيحيه »

وجاء في آخرهِ ما نصّهُ :

«قد نقل هذا المولف (المؤلّف) المفيد من اللغة اليتليانة (التليانية) الى العربية لافادة راغب
« الافادة على يد الخوري اندراوس سكندر القبرصي تلميذ مدرسة الموارنة سابقًا وترجمان
« الكرسي ارسولي والمجمع المقدس حالًا. وترجمه بطلب الابا الافاضل رهبان ماري انطونيوس
« الموارنه القاطنين في رومية في دير القديسين بطرس ومرشللين قاصدًا نمو عبادتهم نحو ماسمهم
« (مؤسسهم) الجليل وحسن دعاهم ودعا اخوتهم الكائنين في الامصار اللبنانية المفيدين جميع
« الطوايف الشرقية بحسن سيرتهم النسكيه واشالهم ورسالاتهم الروحية . والمجد لله دايمًا .

« وقد كمل نسخ هذا الكتاب المبارك في ثمانية وعشرين من شهر ايار المبارك سنة
«ﺣﺼﻌﺎ (١٧٦١) . ربآن يد الحقير في الكهنة جرجس قشّوع كثيتًا (كتبةً)
« عوصطاني (غوسطاوي) مولدًا راهب لبناني اسمًا بدير سيدة طاميش من اقليم كسروان
« في جبل لبنان »

اليك مقدّمة الكتاب وديباجتهُ ، بالحرف الواحد ، وهما لمؤلفهِ :

(بحبر احمر) « تقدمة الى القديس الانبا مار انطونيوس المعظم»

(بحبر اسود) « اني اقدّم لك يا اب الدياره والرهبان . يا اب السيره النسكيه
« المشهور بالقداسة الفريده النجيبه . هذا التأليف من قلبي الضعيف . لكي انال به
« شفاعتك عني وعن كلمن يقف عليه ويقراه . اذا كانوا انجذبوا كثيرون الى هجر العالم
« وشايرة الفضيله من قراة (قراءة) سيرتك المحرره من القديس اثاناسيوس(١) الجليل
« وحاذوا الثواب الابدي وفازوا بالخلاص. فكيف لم ارجوا انا ايضًا بان المتأملون بحسن
« سميك المدون في هذا الصنف يحصلوا على اصلاح سيرتهم ان كانت معوجه او يضطرموا
« بغيرة الاقتدا بامثالك الحميده وباقتفا اثارتك المقدسه . او اقله ينموا يومًا فيومًا في
« افعال الديانة والخير بتعبدهم الزايد لك القادر على اعانتهم . فهلم اذًا ايها البطل السماوي
« وامدد لي ولهم اجمع يد المعونه وايدنا بدعاك الى تحصيل الحاجة الواحده وهي امر الخلاص
« الابدي وامرًا اخر سواه فلا نتوق اليه ولا نتمناه »

(بحبر احمر) « الديباجه الى القاري »

(بحبر اسود) « لولا اظن بك ايها القاري النجيب بانك صاحب عقل ثاقب وتمييز
صايب لخفت انه لا عندك في محل القبول والرّضا تأليف هذا المصنف بما انه حاوي اسبابًا
محركه الى المباده نحو قديس من القديسين القدما . فالمتعبدون في ايامنا هذه يلازمون

---

١) قد نقل ترجمة القديس اثاناسيوس هذه للقديس انطونيوس الكبير ، من اللسان اللاتيني الى اللسان العربي العلّامة المرحوم الاب بولس عبّود احد ابناء رهبانيتنا البلدية اللبنانية ، بعبارة فصحى وطبعها على حدة .

غالباً تكريم القديسين الظاهرين جديداً كأنهم اقرب اليهم عبادة كما انهم في زماننا او كانهم يكابدون نمياً جزيلاً في نغربل التواريخ السالفة ليجدوا لهم شفيعاً قد انشهرت قداسته في الاجيال الماضية او كانهم يظنون ان القديس المتجدد في السما أكثر قبولاً عند الله من المتقدم كما ان بنيمين حصل على اكثر اقبالاً عند اباه يعقوب من ساير اخوته. ثم من حيث تكريمنا القديسين مقترن غالباً بقصد الحصول على شفاعتهم لاقضا اعوازنا الروحية والجسدية فربما يظنون البعض انه قد فرغ او نقص قليلاً كثر النسم عند القديسين القدما وانه فايض ودائق عند الجدد . وانا ليس قصدي ما هنا البرهان في عظم شفاعة ماري انطونيوس القويه المأيدة (المؤيدة) الملتجيين اليه . لان ذلك واضح جلياً من المورخين القصص البيعيه ومن عدة الكنايس والهياكل المشيّدة في كل العالم من المومنين اكراماً لماري انطونيوس . ومن كثرة العجايب التي يجترحها باشفا المبتلين في الاسقام . والمتربين من ابليس اللعين شرقاً وغرباً ولم يجحدها الا خسيف العقل

« اما قصدي فهو اعراض هذه التسع تأملات وتقديمها اليك تكريماً لهذا القديس النفيس وافادةً لنفسك اذا تمسكت بعبادته الكريمة ولازمتها من صميم نيتك . قلتُ تكريماً له لانه بالحقيقه مستحق الاكرام الكلي لسمو قداسته . ولشرف فضايله التي تلالي جا (جاء) كالنور الساطع الموضوع على المنارة البيعية . وانار ابصار الناس الروحية . وفتح مدارس السيرة النسكيه . واضح سبيل العيشة الرهبانيه المدعوة من باب الصواب من ماري بطرس دميانوس مدرسة التعليم السماوي وتهذيب العلوم الالهية . قد تفقهوا فيها تلاميذ عددهم لا يحصى الذين تفاضلوا وبانوا الى قمة القداسه والكمال . نبينا عن اساميهم الشريفه التواريخ البيعيه

« وقلتُ افادةً لنفسك . بما ان سيرة القديسين هي كالصورة الاصليه امامنا لغرسم منها ان ردنا الخلاص وننسخ في قلوبنا تمثال الفضايل . ولا شك ان ماري انطونيوس صار بسيرته الملايكيه انموذجاً لنا لنقتدي به من حيث انه تسامى بمحبة الله والافراز واحتقار العالم والصلاه والتقشف والشجاعه في المجاهده عند التجارب الشيطانيه والانتصار عليها . فالقديس ماري اثاناسيوس استفر عن ذاته انه كان يستفيد جداً من تذكار ماري انطونيوس ويزداد قوةً لربح الكمال . فكم بالاكثر تستفيد انت اذا تأملت مراراً عذبيده تأملاً شافياً بحسن سلوك ماري انطونيوس وبشرف افعاله الفاضلة . فلاجل هذه الغايه قد وضعتُ لك هذه التسع تأملات مقترنة باخبار وامثال وتعاليم مختلفة ومخاطبات خشوعيه مع القديس نفسه لتحصل بقراءتها ومواظبه استعمالها على اصلاح خصايلك واتقان سيرتك بشفاعته ثم تبلغ صحبته الى دار الرب وتسبح اسمه القدوس الى دهر الداهرين . امين »(١

---

١) في مكتبة ديرنا مار قبريانوس كفيفان ، نسخة خطيّة من كتاب التأملات هذا . جاء في رأس الصفحة الاولى منهُ :

« كتاب تسعة تأملات روحية في سيرة القديس انطونيوس الكبير النسكية مؤسس الديارة الرهبانية ، ألّفها الاب فرنسيس غلوسيوس اليسوعي واستخرجها من اللغة الافرنجية الى العربية الخوري اندراوس اسكندر ابن المدرسة المارونية لافادة طلاب الكمال »

وجاء في آخر هذا الكتاب ما يلي :

ان هذا المخطوط الذي نحن في صدده، قد أغار عليه المرحوم الآباتي افرام حنين الديراني الراهب الحلبي اللبناني وانتحله وطبعه في تضاعيف كتابه الضخم «العيشة الهنيَّة في الحيوة النسكيَّة»[1]، في صفحة ١٨٠، الى آخر صفحة ٢٣٠، مُصحَّح العبارة بقلم احد الكتبة المجيدين، بعد ان أسقط منهُ الاب حنين اسم مؤلفهِ ومترجمهِ، وأهمل المقدمة والديباجة المذكورتين خشية ان تنمَّا عن مصنِّفهِ فتُفضح الفعلة ويُكشف الأمر...

ولنبدأ الآن بمقابلة النصَّين اثباتاً لهذه الحقيقة. بعد ذكر المقدمة والديباجة، يأتي فهرس هذا الكتاب المخطوط وهو :

« وقد ترجم هذا المؤلَّف المفيد من اللغة الايطاليانية الى العربية لافادة راغب الافادة على يد الخوري اندراوس اسكندر القبرصي تلميذ مدرسة الموارنة سابقاً وترجمان الكرسي الرسولي والمجمع المقدس حالاً وترجمهُ بطلب الآباء الافاضل رهبان مار انطونيوس الموارنة القاطنين في رومية في دير القديسين بطرس ومرشلّين قاصداً نمو عبادتهم نحو مؤسسهم الجليل وحسن دعائم ودعاء اخوتهم الكائنين في الامصار اللبنانية المفيدين جميع الطوائف الشرقية بحسن سيرتهم النسكية وامثالهم ورسالاتهم الروحية . والمجد لله دائماً

ثمَّ يأتي بعد ذلك :

« وقد كمل نسخ هذا الكتاب المبارك في الحادي والعشرين من شهر آب سنة الف وثمانماية واربعة وستين مسيحية بيد الفقير الاخ إقليموس الشبابي الراهب اللبناني بدير ماري قبريانوس كفيفان من بلاد البترون في جبل لبنان »

وهذا الكتاب منسوخ بالحرف العربي وبالحبر الاسود، واماَّ عناوينهُ فبالحبر الاحمر. يقع في ١٨٩ صفحة متوسطة الحجم، مجلَّد بجلد احمر منقوش

ويظهر ان هذا الكتاب كان للطيب الذكر قدس الاب لورنسيوس (يمين.) الشبابي احد رؤساء رهبانيتنا اللبنانية العامين سابقاً، بدليل كتابة اسمهِ في باطن دفَّة جلد الكتاب الاولى هكذا :

« هذا الكتاب لاستعمال قدس الاب لورنسيوس الشبابي اللبناني سنة ١٨٦٤ »

ونسخة دير كفيفان هذه قد صحح عبارتها الاب نعمة الله القدُّوم الكفري الشهير بالعلم والفضل كما هو مسطَّر تصحيحه بقلمهِ في كل صفحة من صفحاتها . وقد نسخها مصححة بقلمهِ وارسلها للاب لورنسيوس المومأ اليه وأبقى هذه النسخة الاصلية في يدهِ على ما افاد الاب الكفري في العبارة التي علَّقها تحت اسم الاب لورنسيوس وهي :

« تمَّ تعريبهُ وأُرسل لهُ، وهذا بقي لاستعمال محررهِ النفس نعمة الله كفري لبناني ».

١) المطبعة الادبية . بيروت . سنة ١٨٩٩، في ٧٤٢ صفحة، بقطعٍ كبير. قد الحق الاب حنين بكتاب « التأملات » هذا، تساعية القديس انطونيوس الكبير، التي تُتلى في التسعة الايام السابقة تذكار عيده الواقع في ١٧ كانون الثاني، المطبوعة بمطبعة دير قزحيا، بدون ان يذكرها او يشير اليها .

كتاب التأملات المخطوط

فهرس ما يحوي هذا الكتاب

التأمل الاول صفحة ٩

في عزم القديس ماري انطونيوس على ترك العالم

تامل يا قاصد الكمال المسيحي في ان القديس انطونيوس استعد من صغر سنه استعداداً حسناً الى تحصيل الكمال والقداسة التامه . لانه ابتدى من صغره برياضة الفضايل الحميده واينع ازهاراً صدرت منها اثمار الحياة الابديه وهي الورع . والطاعه . والعفه . والاحتشام ونظيرها . واغتذى بحليب العباده وواضب (وواظب) الصلاة في الكنايس والسيرة

كتاب التأملات المطبوع

(الفهرس)

تسعة تأملات روحية على حيوة القديس انطونيوس كوكب البرية صفحة ٧٢٣ من كتاب « العيشة الهنيّة »

التأمل الاول ص ١٨٠

في عزم القديس انطونيوس على ترك العالم

تأمل يا طالب الكمال المسيحي في ان القديس انطونيوس استعد منحداثته استعداداً حسناً الى تحصيل الكمال والقداسة التامة فانهُ قد ابتدأ مع صغر سنه في ان يمارس الفضائل الحميدة فاينعت في جنانه واتت بأثمار الحيوة الابدية ألا وهي الورع والطاعة والعفة والاحتشام ونظائرها قد اغتذى بلبان العبادة وواظب على الصلوة في الكنائس واعتاد السيرة

المخطوط

النشئه في بيته وتجنب اللعب والتزبه وكثرة الكلام . وجعل الاسلحة القويه حفظ نفسه وعاد سالماً من التوحل في سيان الادناس السيئة (السيئة) . يا ما تفيد برارة [١٠] السيرة لمن يرغب ربح النعمة الالهية . فقال عنه القديس ماري اثاناسيوس في الفصل الاول من سيرته . انه كان يسكن في بيته سالكاً في طريق البرارة بنوع انه لم يعرف سوى والديه وبيته . وبالحقيقة ان الصوف البكر هو قابل كل لون لامع وزريف (وظريف). والفضايل التي يروضها الطفل قبل ادراكه لشرتها فانها بمنزلة الفجر الدال على ظهر صاح. اريني نفساً غالقة باب جنينتها لكل حية تبخ-سمها المؤذي على بياض سوسانها فاقول لك انها جنةً مغمة ازهاراً مختلفة منتخبة تجذب برايحتها الزكية الملاك السماوي الى التردد فيها تردداً مؤبداً

اولا تامل يا هذا وانعجب (وتعجب) بحسن استعداد انطونيوس الشاب واحكم [١١] بالصواب انه بذلك صار عموداً متيناً في بنا الكنيسة المقدسة السري واكبر الكواكب في سماها . ثم راجع التامل بذاتك وبسيرتك هل انك صرفت سني طفوليتك وشبوبيتك صرفاً يرضي الرب الاله ويبلغك الى الصلاح. هل هيبت (هيأت) نفسك وزينت دار قلبك بديباج السيرة الفاضلة لتاوي فيها الملك السماوي خالقك . اهاً فربما الامر بعكس ذلك فيا لنباوتك اذا توحلت من صغرك في طين حماة (حمأة) النجاسه . فيصح عنك ما قاله داود النبي في مزموره الماشر : تدنست طرقه في كل زمان

افحص ضميرك لعلك حررت في سفر حياتك ايام السقوط انوف من ايام النهوض.

المطبوع

النشئة في بيته وتجنب اللعب والبطالة وكثرة الكلام فكان له ذلك كاسلحة حفظته من المثالب وَوَقتْه من التمرغ في حمأة السيئات والمآثم . ان برارة السلك تأتي بفوائد جمة لمن يرغب في نوال النعمة الالهية قال القديس اثناسيوس في الفصل الاول من حياة كوكب البرية انهُ كان يسكن في بيته سالكاً طريق البرارة وكأني به لا يعرف سوى والديه وبيته . وبالحقيقة ان الصوف في بدء اخذه هو قابل لكل لون جميل لامع كذلك الفضائل التي يعتادها الطفل قبل ادراكه هي كالفجر الدال على ظهور صباح بهي

من يريني نفساً وصدت ابواب جنّتها في وجه كل افعى تحمل فيها لتبث سمّها الزعاف في عروق سوسنها الناصع البياض ولم تنم فاقول الحق انها لجنّة مفعمة ازهاراً مختلفة منتخبة تجذب براحتها الزكية الملك السماوي الى التردد فيها تردداً مؤبداً

اولاً : تأمل يا هذا وتعجب من استعداد انطونيوس الشاب واحكم بالصواب انهُ بذلك صار عموداً متيناً في هيكل الكنيسة المقدسة السري واعظم كوكب في سماء جمالها . ثم ردّد التأمل بمسلكك وسيرتك هل صرفت سنيّ طفوليتك وشبوبيتك في مرضاة الرب الاله لتبلغ الى ارض الصالحين هل هيأت نفسك وزينت معاهد قلبك بديباج السيرة الفاضلة ليأوي اليها الملك السماوي خالقك . فسقياً لك ان كان الامر كذلك ويا لنباوتك ان كنت منذ الحداثة تمرغت في حمأة النجاسة فيصح فيك قول النبي داود في مزموره العاشر : وجميع افكاره انه لا اله

افحص ضميرك لعل صفحات حياتك ايام السقوط تزيد عن ايام النهوض لعلّك لم

المخطوط

لعلك فتشت على من يرشدك الى منهج الطهر والخلاص والا اسرعت كبهيم لا لجاماً لهُ وزجيت نفسك [١٢] في لجة الامك النير المنضومة (المنظومة) تابعاً انحراف طبيعتك البشرية وهاملاً انعامات النعمة الربانية. لعلك اتلفت شرف الجوهرة الانجيلية متمرغاً في طين القبايح البدنية من غير ان تبالي بتوبيخ ارميا النبي لشعب اسرايل حين مال الى ارتكاب كل صنف من اللذات اللحمية . . .

التأمل السادس صفحة ١٣٠
في تواضع ماري انطونيوس

تامل في ان القديس انطونيوس لم يعود مرعباً الشياطين الا بسبب تواضعه العظيم لانهم راوه متضعاً بقدر ما كانوا هم متكبرين اي متشرفاً بفضيلة مضادة محض لرذيلتهم . فكان القديس محملاً بمواهب روحية وموسوماً بعطايا طبيعية . وحاوياً استحقاقات جليله ومع ذلك لم يراه احد قط متشامخاً متنفخاً لاجل مواهب هذا عظم عددها ومقدارها . لكنه كان يقدم التواضع الروحي على المجد العالمي ويحسب ذاته احقر الناس وادناهم . بمنزلة القصبة الحاملة اثماراً شهية والمنحنية نحو الارض. فلم يعتبر نفسه اصلاً . ولا يقول او يفعل امراً الا ليعجب اعين الناس . او ليقتنص مديحهم . ومع انه كان ركن السيرة الرهبانية كان يرغب ان يظهر عادماً كل خير [١٣١] وفاقداً كل فضيلة مثل الكوكب القطبي الذي هو شريف بين كواكب السما ومع ذلك يظهر قليل الحركة والضيا . . . الخ

مخاطبة مع القديس انطونيوس صفحة ١٥١

ايها المتوحد الكلي التواضع الذي بقدر ما تساميت بالفضل والفضيلة بقدر ذلك وطيت

المطبوع

تفتش على من يرشدك الى منهج الطهر والخلاص وكنت كبهيمة جموحة لا لجام لها جمحت بك اهواؤك الى لجة الآلام لاتباعك اميالك البشرية واهمالك الهامات النعمة الالهية . اعلك اتلفت شرف الجوهرة الانجيلية بارتكاب القبائح البدنية دون ان تبالي [١٨١] بتوبيخ ارميا النبي لشعب اسرائيل حين مال الى ارتكاب كل صنف من اللذات اللحمية . . .

التأمل السادس صفحة ٢١٣
في تواضع ماري انطونيوس

تامل في ان القديس انطونيوس لم يك مرعباً الشياطين الا بسبب تواضعه العظيم لانهم رأوه متضعاً اتضاعاً يوازي كبرياءهم قد كان متسربلاً بالفضائل المضادة رذائلهم ومجملاً بمواهب روحية وموسوماً بسمات طبيعية قدسية ومالكاً على استحقاقات جليلة ومع ذلك لم يرَه احد متشامخاً كبراً وعجباً بل كان يفضل التواضع الروحي على المجد العالمي ويحسب ذاته احقر الناس وادناهم كالشجرة الحاملة اثماراً شهية والمنحنية نحو الارض فلم يكن يعتبر نفسه اصلاً او يقول ويفعل امراً ليعجب الناس فيكتسب مديحهم كلّا ومع انه كان ركن السيرة الرهبانية كان يظهر نفسه عادماً كل خير وفاقداً كل فضيلة كالكوكب القطبي اشرف كواكب السماء الذي يظهر قليل الحركة والضياء . . . الخ

مخاطبة صفحة ٢١٧

ايها المتوحد الكلي التواضع الذي بقدر ما تساميت بالفضل والفضيلة بقدر ذلك كنت متضعاً قد نلت المجد الخالد في السماء باتضاعك وخضوعك اني امتثك بما وصلت اليه وحصلت

المخطوط

ذاتك وحصلت على التعظيم عند الله [١٥٢] لمحبتك نحو الصغر والحقارة عند العالم اني اهنيك بالغاية لحصولك على جوهرة ثمينة هذا مقدارها وزينت بها اكليل الملك السرمدي في السما وانا اسألك ان تستمد لي انا الشقي نعمة احبب بها فضيلة الاتضاع كما انت احببتها مع انك كنت في محل الاعتبار عند الدال والدون . فانت عالم بشدة احتياجي انا المسكين على مسند التواضع ليايدني وينهج خطواتي بنعمته تعالى نحو السما . فان لا سبيلاً اليه من دون التواضع . اذا ما استطعت على ان اقدم للختن السماوي اثمار الاستحقاقات الساميه فساعدني يا صفي الله ان اقدم له هدايا الاتضاع الثابته في الوطاه عالمًا بان ايوب ايضًا [١٥٣] ارضى الله وهو مقيا في ادنى المواضع وهي المزبلة . انا من ذاتي لا قوة لي على ابراز شي الا اثمار الكبريا والتشامخ . فمليك توكلي واعتمادي لكي استحق بدعاك الرحمة الالهية بالخضوع والخشوع وانجو من نقمته تعالى الموانية المتكبرين

صلاة سهامية

لا لنا يا رب لا لنا لكن لاسمك اعطي المجد . الشعب التواضع تخلصه وتوطي اعين المتكبرين

انموذج

خبرنا كسيانوس عن القديس انطونيوس انه حين كان منفردًا الى الصلاه سمع صوتًا من السما يصرخ اليه يا انطونا اعلم انك لم تبلغ الى الان الى الكمال . ففاق به عليك الدباغ القاطن [١٥٦] في مدينة سكندرية . فانذهل انطونيوس اذ ذاك وراغبًا رسم كل فضيلة بنفسه بخير اعمال . تناول عصاته وتوجه نحو سكندريه وقصد دار الدباغ فتعجب

المطبوع

عليه وهو الجوهرة الثمينة التي ذينت (زينت) بها اكليل الملك السرمدي في السماء اسألك ان تستمد لي انا الشقي نعمة تحبب اليَّ فضيلة الاتضاع كما احببتها انت مع انك كنت في محل الاعتبار لدى الجميع من اي رتبةٍ انك عالم بشدة احتياجي الى الاتضاع فأيدني وثبت خطواتي بنعمة الله وافتح لي السبل التي ابلغ بها الى السماء ألا وهي سبيل التواضع يا صفي الله اذا كنت انا الحقير لا استطيع ان اقدم الى الختن السماوي اثمار الاستحقاقات السامية ساعدني لاقدم له هدايا الاتضاع والصبر نظير ايوب البار . لانني لا يمكني وحدي ان اجني سوى قطوف الكبرياء والتشامخ . فاليك اليك اهرع وعليك اتكل لكي بشفاعتك انال المددِ الالهي وانجو بنعمة الله من حبائل الكبرياء واتخلص من قيود الاثم

نافذة

لا لنا يا رب لا لنا لكن لاسمك اعطِ المجد . لانك تخلص الشعب البائس وتخفض عيون المترفعين (مز ١١٣: ١ ومز ١٧: ٢٨)

نموذج

خبرنا كسيانوس عن القديس انطونيوس انه حين كان منفردًا يصلي سمع صوتًا من السماء يقول يا انطونيوس انك لم تبلغ بعد الى الكمال فان الدبَّاغ القاطن الاسكندرية يفوقك كمالًا فاتذهل انطونيوس ورغب في الوقوف على فضائل هذا الانسان ليقتدي به فتناول عصاه وتوجه الى الاسكندرية وقصد ذاك الدبَّاغ فتعجب الدباغ عند نظره انطونيوس

المخطوط	المطبوع
الدباغ بالغاية بنظره انطونيوس آتيًا الى منزله لعلمه انه مشهورًا ومشهودًا بالتقوى والقداسة . وقال له مندهشًا : كيف يا انبا انطونيوس تنازلت واتيت الى حانوتي انا المسكين . اما انطونيوس اهمل كل مصاحبه واخذ يستفهمه قايلًا : انبيني يا حبيبي عن سيرتك وعما تفعله صباحًا ومسًا ولا تخفي عني امرًا . فهذا قصدي ولهذا الصدد انتشلت من البريه وسرت هذه المسافة البعيده وقدمت الى محلك . فأجابه الدباغ مخجولًا : [١٥٥] يا ابي انا عالم اني لم افعل شيئًا من الخير . فهذه عادتي عند الصباح ونهوضي من النوم وقبل ابتدي في شغلي . فاقول لذاتي : يا ويلي انا المسكين . . . الخ	آتيًا الى منزله لعلمه انه مشهورٌ ومشهودٌ له بالتقوى والقداسة وقال له مندهشًا يا أبت انطونيوس كيف تنازلت واتيت الى حانوتي انا المسكين اما انطونيوس فنبذ كل ما لا يجديه نفعًا واخذ يستفهمه قائلًا انبئني يا حبيبي عن سيرتك وعما تفعله صباحًا ومساءً ولا تخفِ [٢١٨] عني امرًا . فهذا قصدي ولهذا السبب جئت من البرية وسرت هذه المسافة البعيدة وقدمت اليك فاجابه الدباغ بخجولًا يا أبي انا عالم اني لم افعل شيئًا من الخير لكن لي عادة عند الصباح بعد النهوض من الرقاد وقبل ابتدائي في شغلي ان اناجي نفسي قائلًا ويلي انا المسكين . . . الخ

المخطوط الثاني

ان هذا الكتاب المخطوط يقع في ٤٨١ صفحة . طوله ٢٢ سنتمترًا ونصف السنتمتر . عرضهُ ١٦ سنتمترًا . مجلّد بجلد اسود منقوش الدفتين . جمعهُ وكتبهُ الاب نعمة الله النجّار البسكنتاوي[1] بخطه الجميل ، بالحروف السريانية الكرشونية

(١) وعدنا في مقالنا « انجيل خطي قديم منسوخ ١٥٦٦ » (المشرق ٤٦ [١٩٥٢] ٥٧٧) ان نأتي بكلمة عن الاب نعمة الله النجار جامع هذا الكتاب وناسخه ، فنقول :

وُلد هذا الاب في بسكنتا سنة ١٧٦٠ ، وانضوى الى رهبانيتنا اللبنانية ، وكان من الرهبان الفضلاء العلماء المشهود لهم بجودة الرأي والتدبير ، ومن ذوي المنزلة الرفيعة في الرهبانية والطائفة . وقد انتدب لدرجة الاسقفية فأباها زهدًا وتواضعًا . ووقف على طبع بعض كتب في مطبعة دير قزحيا وانها ، منها كتاب الانجيل (القداس الماروني) الذي تكلّمنا عنهُ في مقالنا المشار اليهِ ، وكتاب رسائل القديس بولس في سنة ١٨١٦ ، وكتاب فرض الاخوة الرهبان الموارنة المعروف « بشبيّة قزحيا » في سنة ١٨٠٩ ، بمعاونة الاب ساروفيم شوشاني وبيدنا نسخة من هذا الكتاب ، والطبعة الثانية للشحيمة في سنة ١٨١٩ . وعُيّن كاتبًا لاسرار البطريركية المارونية من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٧٨٥ ، على ما صرح هو نفسهُ في « تنبيههِ » الذي علّقهُ في آخر مخطوطهِ هذا ، وسيأتي نصّهُ . وكان مسجّلًا للمجمع الطائفي الملتئم بدير سيدة ميفوق (بلاد جبيل) سنة ١٧٨٠ ، بأمر المطران مخائيل الخازن النائب البطريركي ، وبحضور الاب دي مورتّا القاصد الرسولي (راجع الجزء الثاني من كتاب « الاصول المحجوبة » للعلّامة الاب ولس عبّود ، صفحة ٢٦٩ و٤٣٢) . وكان

الملفوظة بالعربية ، بالحبر الاسود وعناوينهُ بالحبر الاحمر ، على ورق عادي صقيل ، اذ كان كاتباً لاسرار البطريركيَّة المارونيَّة من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٧٨٥، ونقش هذا الاب بمنقاشهِ (بقلمهِ) نقشاً بديعاً حول عناوين بعض فصولهِ. والصفحة من هذا الكتاب حقلان منفصلان بخط طويل اسود . يتضمَّن رسالة الخوري انطون القيّالة البيروتي احد تلامذة رومة العظمى ، وقد مزّق بها تلك التُهَم والشُبَه التي قذف بها الأمة المارونيَّة القس يوحنا عجيمي الملكي الكاثوليكي في كرَّاستهِ ، وذلك في عهد السيّد ارسانيوس شكري مطران حلب الماروني. ويحتوي ايضاً هذا المخطوط، الخطاب الجدلي المحامي عن القديس يوحنا مارون، للمطران اسطفان عواد السمعاني، وغير ذلك من الردود للخوري ميخائيل فاضل البيروتي والخوري الياس الجميّل ، والبراءات المثبتة صحة معتقد الموارنة، وفهرس اسماء الاراطقة واراءهم والاجيال التي عاشوا فيها، وسلسلة البابوات والمجامع التبيلية وسلسلة بطاركة الموارنة التي تنتهي بالبطريرك يوسف اسطفان المُنتَخب سنة ١٧٦٦ .

عُرض هذا الكتاب المخطوط على العلَّامة المطران يوسف نجم النائب البطريركي فأجاز طبعهُ بعد ان طالعهُ ، بعبارةٍ كتبها بخط يدهِ بالعربي ، على الورقة الثانية البيضاء في اوله وذيَّلها بامضائه وخاتمهِ وهي :

« هذا الكتاب يتكلَّم في ايمان الموارنة وايمان القديس يوحنا مارون وليس فيه شيء يخالف قواعد الديانة . فلا مانع من نشرهِ

الحقير

في ١٦ ت ٢ سنة ١٨٩٤ (الختم) المطران يوسف نجم

هذا الاب من معاصري المطران يواصاف دبس البسكنتاوي . وقد انتخب مدبّرًا في مجامع عديدة ، واستمرّ متقلدًا وظيفة المدبّرية ٣٧ سنة . وكان زاهدًا ورعًا متقشفًا متقنًا للخط السرياني والعربي . وتوفي بدير مار موسى الحبشي (قضاء المتن) سنة ١٨٣٦ . واليك ما سُطّر عنهُ في روزنامة هذا الدير ننقلهُ عنها بحرفهِ الواحد :

« قد توفي لرحمتهِ تعالى الاب نعمة الله النجَّار البسكنتاوي بمرض القصر (الشيخوخة) لانهُ كان صار عمره ينيف عن الثمانين او الخمسة والثمانين . واستقام في وظيفة المدبرية سبعة وثلاثين سنة لحين وفاته ، في اول يوم من تشرين الثاني سنة ١٨٣٦ . وكان رجلًا غيورًا فاضلًا ناسكًا متقشفًا معلّماً ذا سيرة صالحة . وتوفي بميتونة جيدة ومتسلّح بكافة الاسرار الالهية . تغمّد الله نفسهُ بالرحمات ونفعنا بصلواته امين . وكان كذلك بآخر رياسة الاب مكاريوس وادي شحرور » (طالع النبذة الوجيزة التي كتبها عن الاب النجار، الخوراسقف بطرس حبيقه في كتابهِ « تاريخ بسكنتا وأُسرها » ص٧٥ .

وكتب احد رؤساء رهبانيتنا العامين، على قفا صفحة ٤٨١ من هذا المخطوط، هذه العبارة بخطه العربي ومهرها بخاتمه وهي :

« ختم قدس الاب العام تحت طائلة الحرم بان هذا الكتاب لا يخرج من اوضة المكتبة. صح صح » (الختم)(١

واليك التنبيه الذي كتبه الاب النجار، في صفحة ٤٨١ ، وهي الاخيرة من مخطوطه هذا، بحرفه الواحد :

« تنبيه »

« اعلم ايها الاخ القاري الحبيب هو انهُ انا المدوَّن اسمي بذيله، اذ كنتُ مقيماً باطجياً (يازجياً) اي كاتباً واميناً للسرّ) بخدامة الكرامي البطريركي من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٧٨٥ ، وبهذه المدّة قد انظهرت (اطلعتُ) على جملة كتابات محرّرة من الروم الملكيه قذفاً في طايفتنا الجليله المارونيه . فمن ثمّ قد انظهرت (اطلعتُ) ايضاً على جملة كتابات محرّرة ردّاً على تلك ، مؤلفه من ملتّسين محقين من ابنا طايفتنا . . واذ رأيتُ ان هذه الكتابات مفرّقة كل كرّاسة بمفردها، فقد اعتنيتُ اعتناءً كلّياً في ضمها الى بعضها ودوّنتها بكتاب واحد ، وذلك خوفاً من عدم الحصول عليها كل وقت . وثانياً لكيما اذا بغي القاري فكّ قضية في الكرّاسة الواحده ينظرهُ في الثانيه وغيرها . وقد اضفتُ على ذلك فهرس اسامي الباباوات وازمنتهم والمجامع التيلية وسبب التئامهم، واسامي روسا البدع وراياتهم ، واسامي بطاركتنا وأوقاتهم . وذلك ليسهل على القاري الاطلاع على تحقيق الشهادات وصدق ما هو محرَّر . وتمّ ذلك بيد كاتبه الحقير القس نعمة الله النجار بسكنتاني راهب لبناني ، في ١ شهر آب سنة (١٧٨٥) (١٧٨٥) مسيحية . وهو وقفاً مخلّداً الى رهبنتي اللبنانية . صح »

قد أغار الآباتي افرام حنين الديراني أحد مدبّري الرهبانيّة الحلبيّة المارونية، على هذا الكتاب إغارته على كتاب « التأملات » المعهود ، وطبعهُ برمّته تحت عنوان « كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم »[٢] بعد ان أهمل منهُ فهرس اسماء المبتدعين وسلسلة البابوات والمجامع التيليّة وسلسلة بطاركة الموارنة ، وبعد

١) ان هذا الختم نُقش فيه اربع كلمات وهي : « اب عام لبناني ١٧٦٧ » . أما اوضة (غرفة) المكتبة التي يشير اليها الاب العام ، فقد كانت في دير سيدة طاميش مقرّ الرؤساء العامين السابقين .

٢) بطبعة الارز ، جونية ، سنة ١٨٩٩ ، في ٥٣٠ صفحة . ومن العجب ان يُصدر الاب حنين كتابين ضخمين ، وهما كتاب الميئة الهنية وكتاب المحاماة ، في سنة واحدة هي ١٨٩٩ .

ان محا ومحق اسم جامعهِ وناسخهِ الحقيقي الاب النجار ، ونَسَبَ جمعَ مباحثهِ اليه . ومن المؤكد ان هذا الكتاب وصل ليدهِ بوساطتهِ ، من مكتبة ديرنا طاميش التي أغناها الرؤساء العامون بالكتب الخطيَّة النفيسة النادرة . وانتدب الابُ حنين لتصحيح عبارة هذا المخطوط ، ابن بجدتهِ اللغوي المحقق الشيخ سعيد الخوري الشرتوني صاحب معجم « اقرب الموارد » وقد صدَّرهُ بمقدّمة وخمسة مطالب من قلمهِ متينة المعنى والمبنى ، وأثبت في آخره بحثاً علمياً تاريخياً واسماً في « الملكيَّة والموارنة » للعلامة المحقق المدقق المثلث الرحمة البطريرك بولس مسعد ، أمرهُ بضمّهِ الى هذا الكتاب البطريرك يوحنا الحاج .

ومن غرائب الاتفاق اننا عثرنا على هذه النسخة الاصلية الوحيدة لهذا المخطوط في مكتبة مصححهِ الشيخ سعيد[1] في بيروت ، عند ابنتهِ الكريمة السيّدة أسما ، أرملة الوجيه المرحوم نعمان صالح نعمه ، وقد تكرَّمت بها علينا فاستحقَّت ثناءنا وشكرنا . وكأن الله اراد ان يعود هذا الكتاب بعد غيبتهِ الطويلة الى مالكتهِ الرهبانيَّة اللبنانيَّة وهو منبثق من تعب ونَصَب الاب النجار أحد ابنائها ، على ما أعلن في « تنبيهِ » وقد مرَّ بك ، وفيهِ يصرّح عن كتابهِ هذا بأنَّهُ : « وقف مخلّد الى رهبنتي اللبنانيَّة » . وهب ان هذا الكتاب كان لقطةً وقعت بين يدي الاب حنين ، أيجوز لهُ الاحتفاظ بها بعد معرفتهِ لمالكها — واللقطة تصرخ ابدًا نحو صاحبها !؟ ولا ندري كيف سوَّغ لنفسهِ نسبة جمع مباحث هذا المخطوط اليهِ !؟ ذلك ما لا نستطيع فهمهُ ، ولا يدركه إلَّا الراسخون بالامانة للعلم والتاريخ !!

والى قرّاء مجلّة « المشرق » أمثلة من معارضة نص هذا الكتاب المخطوط ، بنص كتاب « المحاماة » المطبوع . وقد نقلنا بعض صفحات من هذا المخطوط ومن مخطوط « التأملات » ايضاً على الزنكوغراف :

---

١) طالع مقالتنا عن الشيخ سعيد الشرتوني وشقيقهِ رشيد ، في (مجلة « الورود » البيروتية ، الجزء العاشر من سنتها الاولى ، حزيران سنة ١٩٤٨ ، ص ٨ ، الجزئين الحادي عشر والثاني عشر ، تموز وآب ، من السنة نفسها ، ص ١٠)

مخطوطة الاب النجار

فاتحة بصيغة رسالة صفحة ١

الى السيد الكلي شرفه والجزيل احترامه ارسانيوس شكري مطران حلب

ايها السيد الجليل

من بعد قبلة اياديكم المقدسة بكل احتشام واوقار . ربما لم خفي علمكم الشريف بان قدس سيدنا المطران ميخايل الخازن النايب البطريركي الانطاكي الكلي الشرف والغبطه . حين كان جايلًا في رعية بلاد جبيل والبترون انعرضت عليه كراسه بصيغة رساله منقوده من القس يوحنا عجيمي الكاثوليكي تلميذ المدرسه الاوربانيه الى الخواجا الياس عبده الكاثوليكي الحلبي . فلما قدسه قراها وتحقق بانها مهيجة ومآثره (ومؤثرة) في عقول الكثيرين من السذج . وان الطايفه المارونيه لم تزل متالمة من تهييرات الاضداد وهزوهم اليومي [٢] بها من قبل الكراسة المذكورة . التي هي مشحونه افترا وثلب وتهم باطله ضد الطايفه المارونيه وقديسها يوحنا مارون اول بطاركتها الانطاكيين . حينئذٍ قدس السيد المشار اليه طلب مني بحثٍ بأن ارد عليها . فانا طاعةً وامتثالًا للامر المطاع حررت الجواب الحاضر . واضفة (وأضفتُ) اليه تلك الشهادات التي بحسب ضعفي وقصر الزمان امكنني اجدها عند البعض من المورخين المقبولين في بيعة الله المقدسه . الذين تعاطوا فيما يخص قصص واصل الطايفه المارونيه اكثر من غيرهم . واتخذت لي بمنزلة سندًا ومرشدًا بهذا الصنيع ما قد حرره ونطق به بهذا الصدد الاحبار الرومانيين السعيدي الذكر خلفا بطرس هامة الرسل السليحين

وبما ان سيادتكم الشريفه في كل اوان

كتاب « المحاماة » المطبوع

رسالة للطيب الذكر الخوري انطون القبالة البيروتي تلميذ رومة

فاتحة بصيغة رسالة صفحة خ

الى السيد الجزيل الشرف ارسانيوس شكري مطران حلب

ايها السيد الجليل

ربما يكون قد اتصل بكم ان السيد المطران ميخائيل الخازن النائب البطريركي قد عُرض عليهِ وهو في زيارة الرعية ببلاد جبيل [د] والبترون رسالة من تأليف القس يوحنا عجيمي الكاثوليكي تلميذ المدرسة الاوربانية بعث بها الى الخواجا الياس عبده الكاثوليكي فتصفحها السيد المشار اليه فوجدها جامعة لمثيرات الاضطراب سيئة التأثير في عوامّ الناس وقد لحق الامة المارونية بانتشارها العار والخزي. فان الرسالة تلك مشحونة بشبهٍ لا يُستطاع اثباتها وتُهمٍ باطلة للطائفة المارونية وبقديسها صفي الله يوحنا مارون اول بطاركتها الانطاكيين فامرني المطران ميخائيل المومإ اليه ان اردّ عليها فانتشرت امره وانشأت هذا الردّ وعززتهُ بما اتصلت يدي اليه على قصر الزمن من شهادات المؤرخين المقبولي الكلام في بيعة الله المقدسة ممن تقصّوا البحث عن اصل الطائفة المارونية بل ممن اشتهروا بالتبريز على من سواهم في كشف القناع عن وجه هذه المسألة . وقد استندتُ فيما سلبتُ واوجبتُ الى ما نطق بهِ وكتبه في هذا الصدد اعلم الناس بالمسألة المشار اليها اي الاحبار الرومانيون رؤساء البيعة البطرسية ورعاة الامم الكاثوليكية

هذا ولما كنت ايها الحبر النبيل قد اظهرتَ عند كل داعية الحميّة والانفة للنض

الكتاب المخطوط

وحين تظاهرتم بالغيرة والحماية نحو الطايفه المذكوره وقديسها يوحنا مارون ليس فقط بل اظهرتم ذواتكم سندًا وملجا لكل من اقتدى بغيرتكم ومحاماتكم هذه الحميدة . . . الخ(١

الخطاب الجدالي صفحة ٩٧

المحامي عن القديس يوحنا مارون السرومي البطريرك الاول على الموارنه

طبع في مدينة روميه العظمى باذن الروسا سنة الف وسبعمايه وتسعه وستين . في مطبعة بولس جونكي خليفة بيزاريني كومار كوس ومكفي وطابع كتب المكتبة الواتيكانية . وقد اذن بطبعه حضرة السيد البطريرك جردانو البطريرك الانطاكي نايب قدسه . والمعلم توما اغوسطينوس ريكينيوس راهب من رهبنة الواعظين . ومعلم البلاط الرسولي المقدس

الخطاب الجدالي

المحامي عن القديس يوحنا السرومي المكنى بمارون البطريرك الاول على السريان الموارنه

حاشيه لفظة سريان تعني عن لقب اهل بلاد سوريا كقولك عن سكان بلاد ارمينيه ارمن . وعن سكان بلاد فرنسا فرنساويين . وعن سكان بلاد اسبانيا سبنيوليين وهلم جرا

النص ضد الاقوال الكاذبة الملفة (الملفقة) من اونيخيوس [٩٨] البطريرك الاسكندري المشاقق وغيره من المورخين الذين تبعوه

قال بولس الرسول في رسالته الثانيه الى تلميذه تيموثاوس

كتاب «المحاماة» المطبوع

من كرامة الطائفة المارونية وقديسها يوحنا مارون بالتهم الباطلة بل جعلت من نفسك سندًا لكل من اقتدى بغيرتك ومحاماتك . . . الخ .

الخطاب الجدلي صفحة ١٠٣

المحامي عن القديس يوحنا مارون السرومي البطريرك الأوّل على الموارنة

قد طُبع في مدينة رومية العظمى باذن الرؤساء سنة ١٧٦٩ تسع وستين وسبعماية والف في مطبعة بولس غونكي خلف بيرازني كومار كوس ومُتمّ وطابع كتب خزانة الواتيكان . وقد اذن في طبعه السيد جردانو البطريرك الانطاكي نائب قدسهِ والمعلم توما اغوسطينوس ريكينيوس احد رهبان رهبانية الواعظين ومعلم البلاط الرسولي المقدس

الخطاب الجدلي صفحة ١٠٤

المحامي عن القديس يوحنا السرومي المسمى مارون البطريرك الاول على السريان الموارنة (٢

وهو في نقض الاقوال الباطلة التي وضعها اوطيخيوس البطريرك الاسكندري المشاق ومن تبعهُ من المؤرّخين . قال بولس الرسول في رسالته الثانية الى تلميذه تيموثاوس : « بل على وفق شهواتهم يكدسون معلّمين فوق معلّمين بسبب استحكاك آذانهم .

١) ان رسالة الخوري الفيّالة تقع في الكتاب المخطوط في ٩٥ صفحة ، وفي كتاب « المحاماة » المطبوع ، في ١٠٣ صفحة

٢) اعلم ان لفظة سريان تطلق على سكان سورية كما يطلق الارمن على سكان بلاد ارمينية والاسبانيول على سكان اسبانيا والفرنج او الفرنسيس او الفرنساويين على سكان فرنسا .

الكتاب المخطوط

بشهواتهم يجتذبون لانفسهم معلمين باهتياج سمعهم. ويصرفون اذانهم عن الحق ويميلون الى الخرافات اصحاح ٤ عدد ٣ و٤ .

اولاً

ان الطايفه المارونية من زمان مديد تحتمل جراة بعض اشخاص من غير طوايف شرقية . لا سيما البعض من طايفة الروم الملكيه . عند استماعها الاقوال التي كانت تنبث من المذكورين في توطي شانها . وهذه الاقوال ليس كانت تقلل شرف هـذه الطايفه فقط بل وشرف نيرات كنيستها الاكثر سموًا ايضًا . لانه من الدقيقـة التي ظهرت ارطقات نصطور وديوسقوروس واوطيخا وانشتوا مسيحيون بلاد سوريا الى اراء مختلفة .. وكل منهم تبع الراي الذي اضله . فجميعهم اخذوا يضطهدون هذا القطيع الصغير الذي حفظ بكل نقاوة وبغير فساد التعليم الرسولي الذي قبـله من الرسل مع الذين بقيو من السريان . . الخ(٢

فهرس السندات صفحة ١٦٣

الاول

رسالة المطران ارسانيوس شكرى مطران الموارنه بحلب . تتضمن الفتن التي حدثت بخصوص العباده والاوقار الواجب للقديس يوحنا مارون

يسال هل هو اراتيكي ام قديس يوحنا مارون البطريرك الاول على الطايفه المارونيه . الذي كرسه بطركًا انطاكيًا على هذه الطايفة

كتاب «المحاماة» المطبوع

فيصرفون مسامعهم عن الحق ويعدلون الى الخرافات» (٢ تيمو ٤:٣ – ٤) (١

اولًا صفحة ١٠٥

قد اتى على الامة المارونية ازمان متطاولة وهي تُغضي على ما يمسّ كرامتها ويغض من قدرها من الاقوال التي يبثّها اشخاص من بعض الطوائف الشرقية ولا سيا طائفة الروم الملكية ولم يكن اثر تلك الاقوال قاصرًا على دهماء الامة المارونية بل متعدّيًا الى اكابر علمائها واعاظم رؤساء كنيستها

ألا وانهُ منذ الدقيقة التي ظهرت فيها بدعة نسطور وديسقورس واوطيخا واختلف مسيحيو سورية وذهبوا مذاهب متباعدة وتبع كلٌ الرأي الذي أضلَّهُ شرعوا جميعهم يضطهدون هذا القطيع الصغير الذي حفظ بالصحة والنقاوة التعليم الرسولي الذي قبلهُ من الرسل مع الذين بقوا من السريان . . . الخ .

فهرس الاسناد صفحة ١٨٢

السند الاول

رسالة المطران ارسانيوس شكري مطران الموارنة بحلب وهي تتضمن احاديث ما جرى من الفتن في شأن الاكرام الواجب لصفي الله القديس يوحنا مارون عليه السلام

يُسأل أمبتدع ام قديس يوحنا مارون البطريرك الاول على الامـة المارونية الذي كرّسهُ بطريركًا انطاكيًا عليها الطيّب

---

١) ان الشيخ سعيد الشرتوني اخذ آية القديس بولس هذه ، عن طبعة الكتاب المقدس للاباء اليسوعيين الذي صحح عبارتهُ الشيخ ابراهيم اليازجي .

٢) ان هذا الخطاب الجدلي ، الذي هو من تأليف اسطفان عواد السماني ، يبتدىء من هذا الكتاب المخطوط من صفحة ٩٧ الى صفحة ١٦٣ ، وفي كتاب المحاماة من صفحة ١٠٣ الى صفحة ١٨٢ .

الكتاب المخطوط

البابا سرجيوس الحبر الروماني الصالح الذكر . هذا القديس الذي من اجل هذا السبب مضى الى روميه لمشاهدة الحبر [١٦٣] الاعظم المذكور . مع ان مؤلفاته ووعظه ومجادلاته ضد اراطقة عصره تشهد بقداسته . وهذه التصانيف محفوظة في المكتبة الواتيكانية . وقد حرر سيرته المنسنيور السمعاني الكلي العلم . لا سيما في تواريخ الكنيسة الشرقية . وهذه السيرة قد طبعة (طبعت) باسم الحبر الاعظم اكليمنضوس الحادي عشر في مطبعة انتشار الايمان بفصاحة بلينة . . . الخ(١

عبودية ومختصر صفحة ١٧٣

الى مجمع الرتب المقدسه

الى حضرة الكلي السمو والاحترام الكردينال كولونا بونونتي . بخصوص العباده المشتهرة بالقدمية القديس يوحنا السرومي المكنى بمارون البطريرك الانطاكي

وهذه العبوديه مع المختصر قد تقدمت الى المجمع المذكور اعلاه . من حضرة المطران اسطفان عواد السمعاني وباسم البطريرك والاساقفة والاكليروس والشعب الماروني . وقد طُبعت في مطبعة بيرنابو في سنة الف وسبعمايه واحدى وسبعين

مختصر الكتاب

يشتمل على ضمن السندات التي قُدمت من حضرة المطران اسطفان عواد السمعاني . لدى السادات الكردينالية الكرام الكلي السمو والاحترام . المتقلدين بوضيفة (بوظيفة) الوكالة على مجمع الرتب المقدسة

كتاب «المحاماة» المطبوع

الذكر البابا سرجيوس الحبر الروماني . موليّ الله هـذا يـمّم رومية زائراً الحبر الاعظم المذكور للسبب المشار اليه اي لرد مقالة من يتهم بالابتداع وان كانت تآليفهُ ومواعظهُ ومناظراتهُ في تفنيد مقالات الخوارج في عصره تنطق بقداسته وتلك التآليف محفوظة في خزانة الواتيكان [١٨٤] وقد ترجمهُ باعلى البلاغة السيد السمعاني الواسع العلم ولا سيما في تواريخ الكنيسة الشرقية اكليمنضوس وكلمنس واكليمنت وقد طُبعت هذه الترجمة باسم الحبر الاعظم قليمس الحادي عشر في مطبعة انتشار الايمان . . . الخ .

عرض حال مختصر صفحة ١٩٣

الى مجمع (الطرائق) الرتب المقدّسة

الى حضرة السامي المقام والاحترام الكردينال كولونا بونونتي في شأن الاكرام القديم المهد للقديس يوحنا السرومي الملقب مارون البطريرك الانطاكي

وقد رفع هذا العرض مع المختصر الى المجمع المذكور المطران اسطفان عواد السمعاني باسم البطريرك والاساقفة والاكليروس [١٩٦] والشعب الماروني . وقد طُبع في مطبعة بيرنابو سنة ١٧٧١ احدى وسبعين وسبعمائة والف للمسيح

مختصر الكتاب

يشتمل هذا الكتاب على ما قدّمهُ من الاسناد حضرة المطران اسطفان عواد السمعاني لدى السادات الكرادلة الكرام السامي المقام المتوكلين على مجمع الرتب

---

١) ان فهرس الاسناد هذا في الكتاب المخطوط من صفحة ١٦٢ الى صفحة ١٧٣ وفي كتاب المحاماة المطبوع من صفحة ١٨٣ الى صفحة ١٩٣

الكتاب المخطوط

بخصوص الفحص عن قداسة يوحنا المكنى مارون البطريرك الانطاكي الاول على الطليفة المارونية . بما ان قدس سيدنا الحبر الاعظم قد اقامهم على هذا الفحص بمساعدة البعض من العلماء اللاهوتيين السامي فظلهم (فضلهم)

ايها السادات الكليو السمو والاحترام صفحة ١٧٤

اولًا لم يخفى من سعادتكم انه منذ سنة الف وسبمايه وخمسين . قد اشتهرت مجادله في خصوص العباده للتديس ماري مارون الناسك . الذي ارخ سيرته الفاظل (الفاضل) ثاودوريطوس . ومزق ايقونته كيرللس البطريرك على طايفة الروم الملكيين .

اما الحبر الاعظم بناديكتوس الرابشر (الرابع عشر) الصالح الذكر قد اوجب الحكم بتأييد قداسة هذا القديس الناسك بمنشوره النافد في اليوم الثامن والعشرين من شهر ايلول سنة الف وسبمايه وثلاثة وخمسين الذي ابتداه (من جملة غير امور) وبه يامر البطريرك المذكور ان يناقض ما ابداه . ولا يعود يتجاسر ان يبطل عن الطوباني مارون الناسك العباده المشهره . . . الخ(١)

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد امين صفحة ١٩٩

نبتدي بعونه تعالى وحسن توفيقه في بيان وتثبيت الاكرام المقدم للقديس يوحنا السرومي المكنى مارون اول بطاركة الملة المارونية على الكرسي الانطاكي

كتاب «المحاماة» المطبوع

(الطرائق) المقدسة في شأن البحث في قداسة يوحنا الملقب مارون البطريرك الانطاكي الاول على الطائفة المارونية اذ ان سيدنا الحبر الاعظم قد وكل اليهم هذا البحث مع جماعة من افاضل اللاهوتيين .

ايها السادات العالو المقام

اولًا : لم يخفَ عليكم انهُ وقعت سنة ١٧٥٠ خمسين وسبمائة والف مجادلة في شأن اكرام القديس مارون الناسك الذي دوَّن سيرتهُ الفاضل توادوريطوس ومزَّق صورته كيرلّلوس بطريرك طائفة الروم الملكيين .

اما الحبر الاعظم بناديكتوس الرابع عشر الصالح الذكر فقد ايَّد الحكم بقداسة هذا القديس الناسك بمنشوره [١٩٥] الصادر في الثامن والعشرين من شهر ايلول سنة ١٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبمائة والف الذي بدءه «من جملة امور أخر» . وقد أمر به البطريرك المذكور ان ينقض قولهُ ولا يتجاسر فيما بعد ان يبطل ما يقدَّم للطوباوي مارون الناسك من الاكرام . . . الخ

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد ص ٢٢٣ .

نبتدئ بعونهِ تعالى وحسن توفيقه باثبات الاكرام للقديس يوحنا السرومي الملقب بمارون اوَّل بطاركة الامة المارونية على الكرسي الانطاكي

مقدمة

في السبب الداعي الى اقامة هذا الاثبات

لما اخذت بدع نسطور وديوسقوروس واوطيخا تنفور اواخر القرن الرابع واوائل

---

١) ان هذا العرض حال المختصر يبتدئ في الكتاب المخطوط من صفحة ١٧٣ وينتهي الى صفحة ١٩٨ . وفي كتاب المحاماة المطبوع من ١٩٣ الى ٢٢٣

الكتاب المخطوط

مقدمة

تشتمل على السبب الداعي لاقامة هذا البيان

انه لما ابتدت بدع نسطور وديوسقورس واوطيخا ان تفور اواخر الجيل الرابع واوايل الجيل الخامس ممتدة في بلدان سوريا. فنهظ(١) (فنهض) الى مقاومة المبدعين المذكورين كثيرون من المسيحيين لسيا (لاسيا) اهل جبل لبنان المتمسكون اشد تمسكاً بايمان اجدادهم القديم . الذي كانو (كانوا) تسلموه من الرسل الاطهار . وبهده جداية الانبا مارون وارشاده الفاضل استمروا سليمين ليس من كل غلط ومعيب فقط . بل متبعدين ايضاً من كل تهمة سية (سيئة) ومن كل سو (سوء) مظنون جم يشين حسن اعتقادهم . وقد كان هذا الرجل لفضله الكلي وقداسته انشى (انشأ) ديرًا شهيرًا في سوريا الثانية بالقرب من نهر العاصي . . . الخ

القسم الثالث صفحة ٢٧٣

في ان القديس يوحنا مارون هو خالي ومتبعد باي نوع كان وحتى بالوهم من ارطقة القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

الفصل الاول

في ان القديس يوحنا مارون لم يكن اول من ابدع ارطقة القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

قد زعم البعض من الذين قذفوا بالملة المارونية بان يوحنا مارون ليس كان اراتيكيًا

كتاب «المحاماة» المطبوع

القرن الخامس متفشية في انحاء سورية تصدَّى لمناهضة اولئك المبتدعين ووقف في وجوههم كثير من المسيحيين ولا سيا اهل جبل لبنان الحراص على دينهم الذي زرعهُ في صدور اجدادهم الرسل الاطهار فهؤلاء بحوله تعالى وبارشاد الفاضل يوحنا مارون(٢) استمروا على ذلك الدين سليماً من كل غلط بريئًا وذلك لتباعدهم عن كل ما يدخل كلفًا على نقاء معتقدهم . وكان ذلك الهمام الفاضل قد انشأ ديرًا عظيمًا بسوريَّة الثانية على مقربة من العاصي . . . الخ

القسم الثالث صفحة ٣٠٦

في ان القديس يوحنا مارون هو أبعد من ان يتوهم بوجهٍ ما انهُ من القائلين بمشيئة واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

الفصل الاول

في ابطال ان القديس يوحنا مارون هو أوَّل من ابتدع القول بمشيئة واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

قد زعم جماعة ممن قذفوا الامة المارونية بان يوحنا مارون لم يكن هرطوقيًا فقط بل كان إمام القائلين بوحدة المشيئة والفعل في السيد المسيح وأوَّلهم . وكان الروم الملكيون قد تحيَّلوا لان يقذفوا القديس مارون الرئيس بهذه التهمة الشنيعة كما مرَّ بك في مقدمة الكتاب لكن الحبر الاعظم بناديكتوس الرابع عشر ابطل تهمتهم هذه [٣٠٧] ابطالاً

---

١) ان الضاد يكتبها الناسخ بالسريانية ظاء ويلفظها بها على ما رأيتَ قبلًا .

٢) والصواب : الانبا مارون كما هو مثبت في المخطوط .

فقط . بل راس القايلين بوحدة المشية والفعل في السيد المسيح واولهم . وقد كان احتال الروم الملكية على انهم يشينوا القديس مارون الريس بهذه التهمة الشنعة كما يتضح مما اوردناه في مقدمة هذا الشرح . لكن الحبر الاعظم بناديكتوس الرابعشر (الرابع عشر) دحض تهمتهم هذه دحضاً مبيناً في منشوره المورد منا في العدد الثاني بقوله التابع .

اذا كان غلط القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في المسيح . ابتدى (ابتدأ) في عصر هرقل الملك كما هو معلوم عند الجميع . فكيف يمكن انه يكون انتشى (ابتدأ) على عهد موريقيوس الملك . انتهى . . .

(صفحة ٣٧٤) . . . قولهم سنة سبعمايه وعشرة . ويتضح ذلك من جهة اخره (أخرى) اي من انه اقيم الموارنه بطريركاً على الكرسي الانطاكي نحو سنة ستمايه وخمسه وثمانين . او سنة ستمايه وسبعه وثمانين . فان كانت بدعة المونوطيليطين ثبتت نحو سنة ستمايه وثلاثه وثلثين . أن ذا لا يرى ناتجاً . ان يوحنا مارون لم يكن حينئذٍ في الوجود . ام انه كان طفلاً صغير لا يفقه ولا يدرك . وبالنتيجة غير مستطيع ان يبدع او يعلم او يفهم ويدرك ارطقة القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في السيد المسيح . فكيف اذاً يزعم المفتريون انه كان اول مبدع الارطقة المذكورة وانه كان راس وزعيم وقايد المونوطيليطين .

وتزيد على هذا القياس برهاناً آخر وطيداً وأكيداً بالكفاية لاستناده على شهادة كتب قويمة مثبوتة قد صُنفت في ذلك العصر نفسه بكل حرص وامانة حيث يذكر فرداً فرداً جميع الذين ابدعوا ارطقة المونوطيليطين وحاموا عنها وانتصروا لها . ولم يُذكر بينهم يوحنا مارون او مارون آخر سواه قط . كما

في منشوره الذي ابتناه في العدد الثاني وذلك بقوله :

« ان غلط القائلين بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح قد ابتدأ في عصر هرقل الملك كما هو معلوم عند الجميع فكيف يصح انهُ يكون قد ابتدأ في عهد موريقيوس الملك » . اهـ . . .

(صفحة ٣٠٧) . . . قولهم سنة ٧١٠ عشر وسبعمائة ويعلم ذلك من انه اقيم بطريركاً على الكرسي الانطاكي نحو ٦٨٥ خمس وثمانين وستمائة او ٦٨٧ سبع وثمانين وستمائة فان كانت بدعة القائلين بوحدة المشيئة والفعل قد نبتت نحو سنة ٦٣٣ ثلاث وثلاثين وستمائة فمن ذا الذي لا تراهُ مستنتجاً ان يوحنا مارون اما انهُ لم يكن في الوجود حينئذٍ واما انهُ كان طفلاً صغيراً لا يفقه ولا يدرك والخلاصة انهُ لم يكن في الامكان ان يُبدع أو يعلم أو يفهم بدعة القائلين بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح فما بال المفترين يزعمون انهُ هو مبتدع هذه البدعة وانهُ [٣٠٨] كان رأس اصحابها وزعيمهم وقائدهم

ونضيف الى هذا القياس البرهاني حجة متينة معززة بشهادة كتب قديمة مثبتة قد صنفت في ذلك العصر نفسهِ بغاية ما يستطاع من التدقيق وتحري الصدق اذ تورد اسماء مبتدعي تلك البدعة وانصارها واحداً واحداً ولا تذكر بينهم يوحنا مارون ولا ماروناً آخر . فراجع كتاب المجمع السادس المسكونيّ الملتئم في قسطنطينية سنة ٦٨٠

الكتاب المخطوط

يتصرح من اعمال المجمع السادس المسكوني الذي التيم في القسطنطينية سنة ستمايه وثمانين . لهذا القصد خاصةً اي ليكشف اصحاب هذه البدعة ويحرمها . ففي بدي الجلسة او العمل الاول خاطب قصاذ الكرسي الرسولي للملك على هذا المنوال

من حيث انه منذ سته واربعين سنة اقل ام اكثر . قد ادخل بعض الفاظ جديدة تضادد الامانة الارثوذكسية اوليك الذين كانوا روسا في مدينتكم الملوكية المحروسة من الله اعني سركيس وبوليص وبيروس وبطرس وكوروس الذي كان سابقاً ريس مدينة اسكندرية . . . الخ(١)

كتاب «المحاماة» المطبوع

ثمانين وستمائة للميلاد ابتغاء ان يكشف اصحاب هذه البدعة ويحرمها ففي الباب الاوَّل من كتاب هذا المجمع صورة خطاب قصاد الكرسيّ الرسوليّ للملك واليك نصهُ :

« من حيث انه منذ نحو ست واربعين سنة قد ادخل الفاظاً جديدة تضاد الامانة الصحيحة اولئك الذين كانوا رؤساء في مدينتكم هذه الملكية المحروسة وهم سركيس وبولس وبيروس وبطرس وكوروس الذي كان قبلاً رئيس مدينة الاسكندرية . . . الخ

هذا ما رأينا ان ننقلهُ من نصّ هذين الكتابين المخطوطين ، ونعارضهُ بنصّ كتابين مطبوعين انتحلها الاب افرام حنين. الاول كتاب «تسعة تأملات روحية في سيرة القديس انطونيوس النسكيَّة» ، وضعهُ باللسان التلياني الاب فرنسيس غلوسيوس اليسوعي ، ونقلهُ الى اللسان العربي الخوري اندراوس

---

١) ان اثبات الاكرام للقديس يوحنا مارون يشتمل على ثلاثة اقسام ، وكل قسم منها يتفرَّع الى فصول . يبتدئ في الكتاب المخطوط من صفحة ١٧٣ الى آخر صفحة ٢٠٦ . وفي كتاب «المحاماة» من صفحة ٢٢٣ الى صفحة ٢٦٣ . ثم يأتي خطاب البابا بناديكتوس الرابع عشر ، في المخطوط صفحة ٣٩١ وفي «المحاماة» صفحة ٢٦٣ الى آخر صفحة ٢٥٨ . ثم الاجوبة السنيَّة عن الطائفة المارونية للقس ميخائيل فاضل والقس الياس الجميّل . في المخطوط صفحة ٢٠٥ الى ٢٣١ . وفي كتاب «المحاماة» صفحة ٢٥٩ الى ٢٩٢ . ويليها في المخطوط فهرس اسماء الباباوات والاجيال التي عاشوا فيها من ٢٣١ الى ٢٦٣ . ثم فهرس اسماء الاراطقة والاجيال التي ظهروا فيها من صفحة ٢٦٣ الى ٢٧١ . ثم فهرس المجامع التيلية المقدسة صفحة ٢٧١ الى ٢٧٥ . ثم سلسلة بطاركة انطاكية صفحة ٢٧٥ الى صفحة ٢٨١ ، وهي الاخيرة من هذا الكتاب المخطوط . وقد سطر ناسخهُ الاب نعمة الله النجار فيها تنبيهاً مرَّ ذكره .

اشرنا الى ان الاب حنين طبع هذا الكتاب المخطوط برمتهِ بعد ان حذف منه فهرس اسماء الباباوات .

اسكندر القبرصي الماروني . والثاني كتاب « المحاماة عن الموارنة وقدّيسيهم »، جمع موادهُ ونسَّقها بخطهِ ، الاب نعمة الله النجّار البسكنتاوي الراهب اللبناني، كما بيّنا ذلك باسهاب . وقد تبسّطنا في الامر خشية ان يظن بنا اننا اردنا التحامل على الاب حنين وقد أمسى في عداد الأموات ، ونحن أبعد من ان نفتكر بالتطاول او الافتئات على الكرامات ، ولكن هي الحقيقة يجب ان تُقال بدون مداراة ومماراة . ولو لم يكن الاب النجّار من ابناء رهبانيتنا ولا ينبغي ان يُطوى اسمهُ ، ويُهضم حقُّهُ ويُعدم أجرهُ ، لما تعرّضنا لمثل هذا الكشف والمعارضة مكرهين ، والله من وراء النيّات وهو فوق كل ذي علمٍ عليم .

ولا يسعنا في هذا المقام إلّا ان نثني الثناء العاطر على يراعة وبراعة الكاتب اللغوي الألمعي الشيخ سعيد الخوري الشرتوني الذي هذّب عبارة كتاب «المحاماة» وأبقى معناها على صبغتهِ ورميتهِ ، وتلك مقدرة ندر ان يجاريه بها كاتبٌ مجيد . وقدّر المولى ان انتهى الكتاب اليه ، فأخرجهُ قلمهُ البليغ من تحت ملزم الطبع مختالاً ببردهِ القشيب الحبَر ، سليماً من التصحيف والتحريف .

واننا في كلّ حالٍ نستغفر الله عما طغا به القلم أو زلّت القَدَم ، انهُ لاجابة كفيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تيارا فلسفة الحقوق (تابع)

المبادئ الفردية والاجتماعية

بقلم الاب فليكس سوانيون اليسوعي

٨ — التيار المزدوج في الفلسفة الكاثوليكية الحديثة

يدين مذهب ديكارت بما كان له من حظ لغياب الفلسفة التقليدية وفلسفة كنت ، ولا يعنيني هنا ان اذكر اسباب انحجاب فلسفة القديس توما ذلك الانحجاب الطويل .

ففي القرن التاسع عشر مع ده بونالد (١٧٥٤—١٨٤٠) (de Bonald) ومع لامنه (١٧٨٢—١٨٥٤) (Lammenais) ساد المذهب الذي يرجع اصل المعارف الى الايمان ومن ثم وعلى اثر روسميني (١٧٩٧—١٨٥٥) (Rosmini) راجع المذهب الانتولوجيسم وكان هذان المذهبان سدين ضعيفين امام الفلسفتين الوضعية والمادية .

ولقد قال البابا لاوون الثالث عشر « اذا رأت فلسفة (بعض الكاثوليك) نفسها احياناً انها لا تملك القوة الكافية لصد هجمات العدو فعليها ان لا تنسب سبب ضعفها وخطائها الا الى ذاتها » (Léon XIII. Encyclique Æterni Patris) وفي الحقيقة اننا لا ننفك عن متابعة ديكارت آراءه بدون معرفتنا وبدون ارادتنا وهذا ما ينبغي لنا ان نأخذه بعين الاعتبار :

فالامر الاشد فائدة في المنهج الفلسفي ليست النظريات وانما روح هذه النظريات .

ولقد ظلت روح بيرون (Pyrrhon) قائمة بعد اندثار فلسفته وتغلغلت شيئاً فشيئاً في الندوة العلمية وزعزعتها وكذلك عاشت روح ديكارت بعد موت نظرياته وما برحت تشل حتى في يومنا التائم نهضة فلسفتنا المدرسية .

وفي غضون الثلثين الاولين من القرن التاسع عشر برز على المسرح آية من

آيات الساعة هو تاباركي دازغليو (١٧٩٣—١٨٦٢) (Taparelli d'Azeglio) احد مؤسسي الا (Civilta Cattolica) مجلة الآباء اليسوعيين الايطاليين الشهيرة . ولقد تكلفوا اولًا ان لا يروا فيه الا عالمًا « ايديولوجيًا » خياليًا نوعًا ما ، وفي الواقع لقد كان سابقًا لعصره واوشك ان يكون نبيّ علم الاجتماع وها هوذا التطور الفكري يقيم الدليل على ذلك وها هي ذي تجارب القرن العشرين تفصح كل الافصاح ان « جامعة امه » (Ethnarchie) لم تكن وهمًا من الاوهام ولكن واجبًا . اما كتابه « نظريات الحقوق الطبيعية المستندة الى الوقائع » فقد تُرجم الى الفرنسية ، الطبعة الثانية سنة ١٨٧٥ .

وكان اليوم الرابع من آب سنة ١٨٧٩ يومًا مشهودًا في تاريخ الفلسفة بالبراءة (Æterni Patris) التي بعثت بعثًا حاسمًا نهضة فلسفة القديس توما ولم تلاش جميع الاختلافات وجهات النظر ولا ادعت انها تريد ملاشاتها لان تعلم الفلسفة ليس ببساط السلطة ولان الحرية ضرورية للمفكرين ولكن ضمن نطاق العقل الرشيد ووفق الصراط الديني القويم . نعم انها ضرورية للمفكرين حتى حرية التردد والضلال كما اعلن ذلك في احد الايام البابا لاوون الثالث عشر للمنسنيور دولست (Mgr d'Hulst) . راجع : (La vie de Mgr d'Hulst, par Mgr Baudrillart, tome I, p. 456).

واننا ما برحنا نلحظ قبل البراءة وبعدها — ولو بشكل نزعة — التيارين الفردي والاجتماعي . وحيال الضلال الحديث لا يزال كثير من الكاثوليك يحتفظون بموقف يوشك ان يكون موقف دفاع فقط واذا ما اقدموا على ردة فعل كان اقدامهم في تبني المعارضة .

فاذا ما علّل روسو اصل المجتمع قائلًا انه قد تألف بمعاقدة حرة فينكرون ان يكون للارادة اي نصيب في ذلك ، واذا جعل مصدر السلطة الشعب وحده فيقولون ان الشعب ليس له فيها اي عمل . واذا قال كَنت (Kant) ان الواجب يقرره العقل الانساني المستقل ، انكروا كل استقلال للارادة وحللوا الوازع الاخلاقي بارادة الله وحدها . واذا شرع اولو النظرية العضوية الذين يرجعون الفرد الى حالة الخلية في الجهاز الاجتماعي يتوسلون بمقارنات وهمية من بنات خيالهم الطليق فيقولون مثلًا : عاصمة = رأس ، دماغ = حكومة ، قلب = كيس ، خلية

تمتص الاغذية = شرطي، النسيج الشحمي = كبار اصحاب الدخل، انكروا كل مقارنة ومقايسة. واذا ضحّى هيجل (Hegel) بالاستقلال الفردي في سبيل الدولة المطلقة وهي الجسم الوحيد المستقل وموضوع الحقوق الوحيد انكروا مكانة الاجتماعية الرفيعة وانكروا الكائن الاجتماعي في سبيل الحفاظ حفاظاً افضل على الشخص الانساني وطوّبوا الحقوق الفردية وقدّسوها وجعلوها محور الفلسفة الاجتماعية.

واراني لست مبتدعاً شيئاً في ما قلته : وها هي ذي تأكيدات مضبوطة في هذا الباب : المجتمع هو حالة أشياء. وليس شيئاً وهو غط كيان وليس كائناً.
(Deploige, dans *le Conflit de la morale*, p. 193)

ان المجتمع « شيء مجرد ... فهو موجود فقط في عقلنا وجوداً متميّزاً عن الافراد الذين يؤلفونه ». (Bayaert, dans *Trois leçons*, p. 16, 17)

ان الشخصية المعنوية ليست « حقيقة واقعية ولا وهماً ولكنها مفهوم ».
(Renard, dans *le droit, la justice et la volonté*, p. 68)

« ان الضمائر الفردية هي الحقائق الواقعية الحية وحدها » .
(Bureau, dans *Introduction à la méthode sociologique*. p. 199)

الحقيقة الواقعية الاجتماعية ؟ ؟ « انها غول من بخار » « انها قصة رمزية جرمانية » . . .

ولماذا لم يحتفظوا بالتعريف القديم الذي على الاقل كان له الفضل في ان يكون واضحاً : وهو « ان المجتمع إضمامة اصطناعية » وذلك ما لم نفضل تعريف تارد (Tarde) ومفاده « ان المجتمع هو جملة من الناس الذين يحتذي بعضهم ببعض » .

واطلقوا على نظرية الكائن الاجتماعي هذه اسم «نومناليسم» (Nominalisme) اي اسم بلا مسمى لان المجتمع في نظرهم عبارة مشتركة لا يقابلها شيء غير مجموعة افراد .

وبالاستناد الى هذا الغرض ما يكون مصير الحقوق ؟

ومما هو مشترك بين الفلسفة القديمة وفلسفة العصور الوسطى الفردية ان الحقوق هي

امر اجتماعي. اما ذوو مذهب «النومناليسم» فيقولون ان اساس الحقوق يقوم على سلطة الارادة وموضوعها الفرد وحده.

(cf. Chénon, dans *le rôle social de l'Eglise* p. 174)

واذا ما جعلوا محلًا للحقوق الاجتماعية فانهم يجعلونه في نطاق ضيق كل الضيق او بالحري نافل.

وتمت مؤلفات ما زالت قيد التعليم فيها وهي من مستوجبات الفردية، الى جانب هذه الفلسفة المدرسية المزعومة تقوم فلسفة القديس توما الحقيقية المشروعة التي تفرض نفسها بازدياد وذلك في الجامعات نفسها.

وفلسفة القديس توما بدلًا من ان تنحاز بعنف الى تبني الجبهة المعارضة لتعاليم الخصوم تعمد الى وزنها وكشف قناعها وتسلخ ما حوته جميع ضروب الالحاد من الحقيقة.

ولقد اعرب القديس اوغسطينوس خير اعراب عنها بقوله:

« *Philosophi autem qui vocantur, si qua forte vera et fidei nostrae accomodata dixerunt... non solum formidanda non sunt, sed ab eis etiam tanquam iniustis possessoribus in usum nostrum vindicanda* » (*De Doctrina Christiana*, L, II, ch. 40 ; P.L., tome 34, col. 63).

ولم اشأ ان اعرض هنا كل تعاليم القديس توما الاجتماعي وانما سأتصدى فقط الى ذكر بعض المبادئ المتافيزيقية التي تقوم على اساسها. ولن نقتنع على شاكلة معظم الخصوم بان نجزم بقوة بصحة النظريات التي نرتاح اليها ولكننا سنقيم الحجة على صحتها:

١ — ان الوحدة صفة الكائن الجوهرية وعلى قدر تفاوت درجات الكائن تتفاوت درجات الوحدة.

٢ — كل كائن في العالم هو نظام واحد ومتعدد ومركب من اجزاء.

٣ — ان مبدأ الوحدة الاشد فعالية ليس الاستقرار المادي الذي ليس الّا استقرارًا ظاهرًا في الكائن المركب. فالذي يوحد الاجزاء بقوة اعظم هو الغائية الباطنية تبدع تنوع الاجزاء واكمالها بعضها ببعض..

٤ — ان وحدة الاجزاء الداخلية وحتى استقلالها النسبي ليس عائقًا في سبيل تركيبها.

٥ – ان العفوية وحتى الوجدان ليسا عاملي تقسيم ولكنهما واسطة لتحقيق وحدة نظام اسمى .

٦ – ان الوحدة العليا تتمّ بالمعرفة والمحبة .

ولقد اخذت الراسمالية الحرة بالاحتضار أما الفردية فلا تموت . ولذلك فانا لا اتحدث عن عبادة القيم الفردية المشروعة وعن احترام الشخص لانهما جوهريان ولها مكانتهما في اجتماعية معقولة . وانما اتكلم على عبادة الفرد عبادة الصنم وتفضيل « اتانيته » المفعمة بنزعات الاثرة ونسيان المجتمع والخير العام والهمّ بان لا يتعاون مع احد الا في سبيل منافعه الخاصة . . . ومن نكد الدهر لقد اصبحت جميع هذه الامور طبيعية منذ الفردوس الارضي .

ولا تستطيع الفردية كتعليم الا ان تعيد نفسها . والتعليم يجد ذاته بسيط لانه يطرح من الحقيقة الواقعية والمثل الاعلى الانسانيين اسمى ما فيهما من روحي وارفع ما يحويانه من اسرار بيد ان شروط الحياة المتقلبة لا بد لها من ان تفرض دائماً اشكالاً جديدة كما رأينا ذلك في الماضي . فالاجتماعية نفسها قد تقدمت سواء أكان تقدمها من حيث التعليم ام من حيث الحياة ولن تنفك عن التقدم . فالعالم اليوم في اختبار ونضج . وعلى ما في نظرية اجتماعية الدولة والشيوعية ذاتها من تطرف فانها يديان اندفاعاً نحو الوحدة كما يتوق العالم الديني اليها .

ويعترف ذوو الارادة الحسنة الآن بان انفصام الوحدة المسيحية قد كان آفة عليها وهم يسعون الى ان يعيدوا اليها تماسك اجزائها .

وفي داخل الكنيسة الكاثوليكية ذاتها قد تعمق معتقد الوحدة وقد نما تعليم الجسد السري في كل الاتجاهات كما نما علم الاجتماع .

ولا مجال يدعو الى الاستغراب فان التعليم الانجيلي الادبي لا يعارض التعاليم الادبية العقلية وانما هو يستوعبها ويكملها . والمحبة الفائقة الطبيعة التي نُفخت فينا تتمم المحبة الطبيعية المكتسبة . وهبات النعمة تتجاوز عامة الطبيعة تجاوزاً لا حدود له وانما لا تهدمها بل تفرض قيامها دائماً .

ولا غرو ان ينسجم هذا التقدم في كلتا الناحيتين وان يتبادلا التأثير .

ومن المحتمل ان يكون درس الجسد السري اللاهوتي قد استفاد من تقدم علم الاجتماع وانه لواضح ان عقيدة الجسد السري هي عون ثمين لنا لنفقه الطبيعة الاجتماعية .

(cf. *Corps mystique et humanité contemporaine* par le R.P.Mersch, dans *la Nouvelle Revue Théologique*, Mars 1935, p. 225 sq.)

وحيال هذا التقدم المزدوج نستبيح لنفسنا ان نرى قيام جمعية انسانية موحدة سياسيًا لا عن طريق الفناء الوحدات القومية بل باتحادها المتحقق . اما هذا الاخاء الطبيعي العظيم فلا يتمّ طبعاً الّا بالنعمة التي تبنّاها المسيح برمتها لتؤلف من الناحية الدينية حظيرة واحدة تحت حماية راعٍ واحد .

القديس فرنسيس كسفاريوس

بقلم الاب جبرائيل عقيقي اليسوعي

الدعوة

عجيب أمر مواطنه ذلك الشريف الزاهد اغناطيوس دي لويولا ! ما حمله أن يقاسمه داره ويلازم صحبته رغم ما يلقى من نفوره ويرى من ازدرائه برثاثة مظهره .

ما أشدّ ما بينهما من الاختلاف وما بينهما من الاتفاق ؛ كلاهما ذو أصل شريف ، وكلاهما طالبان ، جمعهما في جامعة باريس طلب العلم كما جمعتهما الفاقة ، غير أنّ اغناطيوس راضٍ في فقره ، يخدم الطلاب ويستجدي قوت يومه مسروراً ، وفرنسيس ثائر على ما نكبت به أسرته من الفقر ، يحاول المحافظة مع عزة نفسه وشرف أصله .

يدعوه اغناطيوس الى الزهد في الدنيا وهو راغب فيها ، طامع من كرامتها ، مولع في مجالس أهلها . يقول له : « يا فرنسيس ، ما يفيد الانسان ربحه الدنيا اذا خسر الأخرى ؟ » ويرى فيه النفس الكبيرة والرجل الكفء لعظائم الأمور ؛ وما زال به حتى أنس إليه ؛ وعرف فرنسيس ما عند رفيقه ومواطنه دي لويولا من الفهم والحزم والإقدام ، مع الخبرة في أمور الدنيا والدين ، فوثق به وتتلمذ له ، ومارس رياضته أياماً كان في خلالها يميت نفسه بمختلف ضروب الإماتة . لبث بولس الرسول قبل اهتدائه ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب ، وصام فرنسيس أربعة ايام لا أكلاً ولا شرباً ، فانجلت له في تلك الايام ، على أنوار النعمة أسرار الحياة وشعر بما في الاتصال بالله من نشوة الفرح وبما في خدمته من الشرف والسعادة فانضمّ الى مرشده القديس اغناطيوس مؤسس الجمعية اليسوعية وكان هو وأربعة آخرون نواة دوحتها الوارفة ، يوم نذروا في معبد مونمارتر النذور الثلاثة ١٥ آب ١٥٣٤ وأضافوا اليها نذر الطاعة

للحبر الاعظم ، على أن يوجّههم الى أيّ صقع من أصقاع الارض ، بين الضالّين والكفار وغيرهم .

وكانت الهند حينئذ أرحب الاصقاع وأحوجها الى من ينادون فيها بالانجيل ، وقد صارت محط الانظار منذ نزل فيها الاسبان والبرتغاليون ، رحالةً وتجاراً وجنوداً . فطلب ملك البرتغال من اغناطيوس ان يرسل الى تلك الديار اثنين من جمعيته وشاءت العناية ان يكون فرنسيس اول رسول منها الى الشرق .

رسول الهند

فرنسيس سفير الحبر الروماني في الشرق الاقصى ، يسافر من لشبونه في ٧ نيسان ١٥٤١ مع نائب الملك ، ولا خادم معه ولا ثوب يبدّله ، بـل كان هو الخادم لجميع المسافرين . فيصل بعد ثلاثة عشر شهراً الى جاوه عاصمة امبراطورية البرتغال ، فتقصد الجالية الى الميناء لتحتفي بقدومه فاذا هو قد ذهب الى المستشفى ، يؤاسي المرضى ويمنح الاسرار . ثم هو يمضي الى السجون ليُعنى بمن تكدّس فيها من العبيد والسود والهنود ويُقدِم على خدمة المجذومين في معتقلاتهم لا يرهب العدوى ولا ينفر من مخالطة البؤس والشقاء . غنيٌّ بنفسه موشّح بقداسته ، يفعل منظره في النفوس ما لا تفعله خطب أبلغ الواعظين .

موانئ الهند ومدنها وجزائر محيطها ، أكثرها من جاوه الى ترافنكور ، الى مليابور الى ملقا وجزائر الصيادين ، الى مور ومولوك وسيلان وغيرها ، طاف فيها جميعاً ، وبشّر وعمّد عشرات الالوف من بينها حتى كانت يده تخدر من كثرة التعميد . وقد أضرم نار العبادة في قلوب الجميع ، فمات الالوف منهم شهداء حبّاً لله كما كان الالوف يموتون في بداية النصرانية وعهد الرومان فرحين مغتبطين .

من أحصى كل من هدى الى معرفة الله في كل مركب سافر فيه وكل بلد دخله من مغرب الشمس الى مشرقها ؟ لقد ردّ في شهر واحد في ترافنكور من النفوس ما لم يردّ مثله جميع مرسلي البرتغال في ثلاثين عاماً .

كان يوجّه جلّ جهده الى الفقراء والبائسين والمنبوذين وكان له في ارتدادهم تعزية وفرح كثير ، أما اغنياء المستعمرين من برتغاليين وغيرهم فقد كان يحزنه بعدهم

عن الروح المسيحي فيما كانوا يعاملون به اهل تلك الديار المساكين، من العنف والظلم والغش ، إذ يبادلونهم الجواهر والذهب والعاج بأحقر صنوف النسيج والسلع الزجاجية ، فكان يوبخهم ويشكوهم الى الحكام ليخففوا من جشعهم وشغفهم بالمال .

رسول اليابان

جاءه وهو في ملقا تاجر ياباني اسمه أنجر ، يطلب منه أن يزيل ما في نفسه من الوساوس والأوهام ، فوعده القديس بالشفاء إن هو آمن واعتمد ، فرضي الرجل ، فأرسله الى مدرسة الآباء اليسوعيين في جاوه ليتعلم هو وخادمان له التعليم المسيحي، ثم عمّده هو وخادميه فشفي التاجر وزال ما كان به من القلق، وتاق من نشوة فرحه ان يشرك بسعادته كل اهل بلاده ، فجعل يرغّب الاب المحسن اليه في الذهاب الى اليابان ويذكر له ما عند أهلها من لين الطباع وحسن الاخلاق وأنّ عندهم ديورة وصوامع يختلفون اليها ويختلون فيها ، وان فيهم تخشناً وتعففاً من الحياة ، فمالت نفسه الى ذلك وشعر أنّ الله يدعوه إلى القيام بهذه الرسالة ، غير أنّ اليابان كانت حينئذ بركاناً هائجاً من الثورة بعد خلع الميكادو وانتشار الفساد والقتل بين أفرادها وأحزابها وتعصب رجال الدين فيها ...

هذه الاخطار على شدّتها لم تمنع الرسول من المضيّ الى هاتيك الديار ، فركب البحر اليها في ٢٤ حزيران ١٥٤٩ ، يصحبه تلميذه أنجر ونزل في داره بمدينة كاغوشيما عاصمة ساكسوما ، ولما علم ملكها بقدومه اليها رحّب به وسرّ بما قدم له من هدايا ، سيّما صورة العذراء وابنها . فاستطاع القديس أن يدخل هو وترجمانه صاحبه منازل اليابانيين ويتّصل بكهنة بوذا في كاغوشيما وبونغو وياماغوش ويبشّر في كل مكان فتسمع منه بلاد الشمس المشرقة ، لاول مرة اسم يسوع المسيح ، ويأتي فيها بالمعجزات فينقاد لتعليمه ملوك ورؤساء وجند وعامّة وكهنة أصنام ، آمنوا جميعاً واعتمدوا ، وقد ثبتوا في ايمانهم رغم ما لقوا في سبيله من اضطهاد ، وظل بنوهم من بعدهم متمسكين بعبادة المسيح ثلاثة أجيال وهم منقطعون عن العالم المسيحي الانقطاع كلّه ، كما ظلّ ذكر

رسولهم راسخاً في أذهانهم وحبه في قلوبهم .

وكان القديس مشتاقاً ان يدخل كيوتو عاصمة اليابان ومركز الثقافة فيها ، ويتصل بجامعاتها الخمس وطلابها أربعة الآلاف ، فيلقي في ذلك الحقل الخصيب بذار الخلاص ؛ غير انه لمّا دخلها في كانون الثاني ١٥٥١ كانت الثورة قد اجتاحتها فهدّمت قصورها ومعابدها وتركتها طعمة للنار والخراب. فلم يبقَ له الّا أن يوجّه نظره نحو الصّين. فعاد الى الهند ونظّم فيها شؤون الآباء والرسالات وهمّ بالسفر .

وانه ليعزم عليه إذ قامت في سبيله وفي سبيل الوصول الى الصين مصاعب وأخطار لا يتوهّمها الفكر ولا يصبر على مضضها الّا قديس مثله : فمن والي عاتٍ الى ملّاحين قساة الى بحر عنيد ، الى أصدقاء مُشفقين الى كل ما يسمع من الأخبار عن تعصّب الصينيين وعن فتكهم بكل من تحدّثه نفسه أن يطأ أرضهم من الاجانب. تحالف كل هؤلاء عليه فلم يثنوا عزمه عن قصده، فسافر وانتهى بعد احتمال كل ما هدّدوه به من الاهوال ووصل الى مدخل الصين الى جزيرة سنسيناتو قبالة كانتون .

لقد بلغ الغاية ، انما خانته الصحة ، فوهن جسده ووهت قواه ، فانطرح على الشاطئ في كوخ حقير تخفق فيه الرياح من كل جانب ، وأخذ يعالج سكرات الموت وعيناه تنظران الى تلك الارض التي أحبها ، والشمس تطلع عليها وتغيب فيودّ لو تكون روحه بين أشعّتها فيغمرها بحبه كما تغمرها بنورها.

إحملي يا شمس وجدي وانثري ... في ثنايا النور طيب المحمل
أشتهي أن أملأ الصين جوًى ... هل سوى النور له من رسل
خبّري كلّ بنيها أنهم ... من ضلوعي في المحلّ الأفضل
واذكري يا شمس ما أنتِ سوى ... رمز روحي صورة الله العلي
ليس وجدي ذا حدود ينتهي ... إنّه من أكمات الأزل

بهذه العواطف فاضت نفس روح رسول الهند ابن القديس اغناطيوس في اليوم الثاني من كانون الثاني ١٥٥٢ وهو وحيد لا أحد حوله الّا صليبه مضموماً الى صدره وعمره ست وأربعون سنة . فانطفأت بموته تلك الشعلة الزكيّة ، بعد أن أضاءت المشرق وأشعلت حرائق من الحب الإلهي في كل بقعةٍ من بقاعه.

من ذا يردُّ النارَ بعد خمودها ضَرَماً وقد دفنت بها أجلّاسُها

هوذا القديس فرنسيس كسفاريوس الرسول الذي حقق ما كان يريده مؤسس جمعية يسوع من ابنائه؛ يريد ان يكون اليسوعي منهم راهباً متأملاً وعاملاً متأملاً، يجمع بين الكمالين كمال الحياة الرهبانية المتأملة وكمال الحياة الرهبانية العاملة؛ فلا يكون للعمل أن يفقده التأمل والاتحاد بالله ولا للتأمل والاتحاد بالله أن يفقده حسن السياسة وإتقان الادارة ذلك ما قام به رسول الهند خير قيام: يعتزل حيناً في منسك من المناسك يناجي فيه الله ويزداد له حباً بل يذوب به وجداً حتى يقول: « حسبي يا ربّ حسبي.» ثم لا يلبث ان يخرج من عزلته فيصحب الجنود إلى ساحات الحرب ويزور المرضى والسجناء. ويدبّر الرسالات ويرشد المرسلين. وأينما حلّ بذر العجائب والمعجزات براً وبحراً، يتعب ويتعذّب ولا يعبأ بالتعب ولا بالعذاب، فهابته الطبيعة جميعها: البحر الهائج والملوك الطغاة والخطأة المزمنون والمرض والموت نفسه فسكّن هياجهم وأنقذ الفرائس من بين براثنهم. كان قوّةً فوق الطبيعة تتغلّب على جميعِ المصاعب والمخاطر الطبيعية.

فحقّ للكنيسة ان تعظّم على الدهر فضائله وحقّ للاجيال أن تحفظ ذكره وتحييه في مطلع كل تذكار مئوي كما نحييه في هذا التذكار المئوي الرابع ٢ ك٢ ١٩٥٢ ونقول له:

وزّعت روحك كالعبير على النفوس لكي تطيب الى المدى انفاسُها

اخبار العالم

اخبار دينية

المجمع المقدس : في اجتماع الكرادلة الذي ينعقد في ١٢ كانون الثاني المقبل سوف يعيّن قداسة البابا بيوس الثاني عشر اربعة وعشرين كردينالاً جديداً . هذا التعيين هو الثاني الذي يقوم به قداسته منذ نودي به حبراً اعظم وكان الاول في ١٨ شباط سنة ١٩٤٦ فيه عُيّن اثنان وثلاثون كردينالاً ينتمون الى تسع عشرة امة . والكرادلة الجدد ينتمون الى اثنتي عشرة امة منهم احد عشر ايطالياً وافرنسيان واسبانيان وبرازيلي وايكوانوري وارلندي ويوغوسلافي وبولوني واميركي وكندي وكولومبي والماني .

يمتاز التعيين المقبل بحادثين ارتج لهما الرأي العالمي إعظاماً وحكومات وراء الستار الحديدي سخطاً . اولهما تعيين قداسته كردينالاً للسيد استيناك رئيس اساقفة زغرب (يوغوسلافيا) سجين كراسيك وشهيد الايمان الشهير فقد بلغ استياء تيتو لهذا التعيين اشدّه وحمله حنقه الى قطع العلاقات الرسمية بين حكومته وحكومة الفاتيكان .

والحادث الثاني تعيين السيد فيشنسكي رئيس اساقفة كينزنو وفرسوفيا وجثليق بولونيا فانه اليوم محور الحيوية الدينية في وطنه الكاثوليكي .

— لما كان عدد الكرادلة السابقين الذين هم في قيد الحياة ستة واربعين فسيبلغ بالتعيين الجديد عدد الكرادلة سبعين وهكذا يكمل عدد اعضاء المجمع المقدس : ٢٧ ايطالياً و ٧ افرنسيين و ٤ اميركيين و ٤ اسبانيين و ٣ برازيليين وبرتوغاليان وارجنتيان والمانيان وكندیان وسوریاني وارمني ونمسوي واوستراليا وبلجيكي وشيلي وصيني وكوباني وانكليزي وهولندي وتشيكي وبيروي ويوغوسلافي وايكوانوري وايرلندي وبولوني وكولومبي .

الفاتيكان : في ٣ كانون الاول اصدر الاب الاقدس رسالة الى اصحاب النيافة الكرادلة موضوعها الثياب الكردينالية هذا اهمّ ما جاء فيها : اولاً عدم زيادة ذيل على السوتانة القرمزية او البنفسجية . ثانياً الاكتفاء الذيل الحلة الكردينالية من الان فصاعداً بنصف قياسها الحالي وعدم نشره فيما بعد لا في المعابد ولا في الاجتماعات البابوية . ثالثاً ان تكون السوتانة من قماش صوفي . اما الكرادلة الذين يملكون الان سوتانة حريرية فيسمح لهم باستعمالها .

ومن اهمّ الاسباب التي دفعت قداسته الى سنّ هذا القانون الامتثال لمطاليب الاحوال الصعبة التي يُعانيها العالم في هذه الازمة بممارسة القناعة والخضوع لاحكام الظروف القائمة .

اضطهاد الكنيسة في الصين : لا تزال حكومة الصين الشيوعية تضطهد الكنيسة الكاثوليكية بشدة وإصرار تستعمل كل اصناف العنف والخبث والاقناع للتوصل الى إفنائها .

اما الكاثوليكيون هناك شعباً وكهنة فلا يزالون صامدين امام العدو ثابتين غير هيّابين مستعدين لفقدان مالهم وحريتهم وحياتهم عينها دفاعاً عن ايمانهم . وقد امتاز فيهم الشبان وخصوصاً طلاب المعاهد العليا منهم تلاميذ كلية الاورور (الفجر) في مدينة شانغاي فانهم في تفنيدهم لحجج خدَمَة الشيوعية وفلاسفتها قد اظهروا من الشجاعة والمهارة ما اذهل الصينيين من مسيحيين وغير مسيحيين وهم اليوم موضوع اعجاب العالم المسيحي كله .

وحرب الشيوعية في الصين ضد الكنيسة تفتك خصوصاً بالاكليروس لا فقط الاجنبي بحجة انه اجنبي لكن بالوطني ايضاً فان هدفها هو اهلاك الدين لا ملاحقة اشخاص فالدين هو عدوّها الحقيقي . يشهد بذلك عدد الكهنة الصينيين ضحاياها : منذ سنة ١٩٤٦ الى اليوم بلغ عدد الضحايا من الاكليروس الوطني مئة وخمسة كهنة ماتوا في سجون الصين المهولة او قُتلوا قتلًا اما المُتبقّون بعد منهم احياء في هذه السجون فمئتان . وكلهم لا ذنب لهم الا تعلقهم بديانتهم الكاثوليكية .

ليس في الاضطهاد ما يخيف كنيسة المسيح فان خصوبة دماء شهدائها هي اعظم من عمل مرسليها في التبشير وانمائه : دم المسيحيين بذار فيه للكنيسة عربون نموّها ومجدها .

دولة السويد : في مجلة اسبوعية اسمها فاركيركا هي لسان حال الكنيسة اللوثرية السويدية تظهر في ستوكهولم . نشر احد محرّريها المدعو غونر ارمستد مقالًا بحث فيه مسألة انشاء علاقات رسمية بين حكومة السويد والكرسي الرسولي : هذه المرة هي الاولى تتطرق فيها نشرة سويدية الى هذا الموضوع . ومما يلاحظه صاحب المقال انه يوجد اليوم لدى اكثر دول العالم ممثلون رسميون لدولة الفاتيكان وقد بلغ عدد الدول التي لها في هذه الدولة ممثل رسمي واحدة واربعين ، منها ست اغلبية اهاليها غير مسيحيين واربع اخرى معروفة بانتمائها الى البروتستانتية وهي انكلترا وهولندا وليبيريا وفنلاندا ، لذلك يطالب المحرر الحكومة السويدية باقامة علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان ويلاحظ ان للسويد ممثلين في كل جمهوريات اميركا الجنوبية فما تكون اهمية هذه الجمهوريات بالمقابلة مع مكانة الكرسي الرسولي ونفوذه في العالم باسره .

٥

اخبار عالمية

الولايات المتحدة : جرت في ٤ تشرين الثاني الانتخابات لرئاسة الجمهورية الاميركية كان فيها الفوز للجنرال ايزنهاور على السيد ستفنسن بواحد وثلاثين مليونًا وثمانية وثلاثة وتسعين الفًا ومئتين وخمسة وسبعين صوتًا اي باكثر من خمسة وخمسين صوتًا بالمئة وحاز منافسه على ٢٦ مليونًا و ٦٦٨ الفاً و ٤٦٠ صوتاً : فيكون الفرق بينهما اكثر من ستة ملايين من الاصوات . فقد كانت اغلبية الاصوات للجنرال في ثماني وثلاثين ولاية اتحادية وحصل على ٤٣٩ صوتاً من ٥٣١ مقترعاً .

حالًا بعد اعلان نتائج الانتخاب وحسب التقاليد الاميركية ارسل السيد ستفنسن الى

خصمه المنتصر رسالة برقية فيها يهنئه لفوزه ويقول بانه بطيبة خاطر يرضى بحكم الشعب الاميركي . وهذا جوابه لحزبه القائل : ان ما يربطنا بعضنا ببعض نحن الوطنيين الاميركيين هو اسمى مما يفصل بيننا كاحزاب سياسية وقد ألفنا في اميركا ان نناضل بعنف قبل الانتخاب اما بعده فمن تقاليدنا ان نكون صفًا واحدًا .

اهمّ اسباب انتصار الجنرال ايزنهاور في الانتخاب الاميركي شخصيته الرفيعة هو القائد الاعلى لجيوش الحلفاء الظافرة في الحرب الاخيرة والبطل الممتاز بشجاعته ونزاهته حتى وجيشه . سوف يكون دخوله الى البيت الابيض في ٢٠ كانون الثاني المقبل ومعه يرجع الى الحكم الحزب الجمهوري الاميركي بعد ان يكون قد تركه للحزب الديموقراطي عشرين سنة متتابعة .

مصر : في ١٣ ت٢ اصدر مجلس الوزراء المصري قرارًا به يخوّل الزعيم نجيب السلطات المطلقة لستة اشهر : حتى يتمكن من المحافظة على الامن في البلاد : بعد هذا القرار اخذ ذوو الآراء يتحدثون عن احتمال تعديل الدستور المصري . ثم في خطاب القاه الزعيم في ١٦ تشرين الثاني في كلية القاهرة الاميركية اعلن بانه من المحامين عن الدستور على شرط ان يكون سليمًا محترمًا لارادة الامة . وهذا هو ايضًا رأي رئيس الوزارة القديم السيد علي ماهر اذ اعرب عن اعتقاده الشخصي في الحكم على الدستور الحالي إرث جاء مصر من فاروق . وقد اتخذت هذا الرأي نفسه بعض صحف مصر منها اخبار اليوم مطالبة بدستور جديد مؤسس على دعائم جديدة يتفق مع مصلحة الامة .

ولم يمض شهر بعد هذه الاحاديث إلا وابتُدئ رسميًا بالبحث في تعديل الدستور ثم تقرر نسخه وشاع خبر يقول باستفتاء الامة المصرية في امر ابقاء الحكم الملكي او ابداله بآخر .

العراق : في ٢٢ و٢٣ تشرين الثاني السبت والاحد قامت في بغداد مظاهرات شديدة دامية بلغ عدد المتظاهرين فيها عشرين الفًا وعدد الموتى عشرة والجرحى نحو ٦٠ فاستقالت وزارة العمري ودعا الوصي عبد الاله اولًا السيد جميل المدفعي الى تأليف وزارة جديدة تقوم بتهدئة الثورة فلم تنجح فسلّم عندئذ حكم البلاد الى الجنرال محمد نور الدين رئيس اركان الجيش العراقي وخرج الجيش الى الشارع بصفحاته فقمع الفتنة بسرعة واعاد السلام .

وهذه المظاهرات سياسية في غايتها اكثر منها اصلاحية داخلية هدفها معاداة الانكليز والاميركان خصوصًا . وقد بدأت اولًا باعتصاب الطلاب فلما خرجوا التظاهر تخلّل صفوفهم عدد كبير من المشاغبين وحدثت الفتنة .

يوم الاثنين غداة المظاهرات قررت الحكومة العسكرية حل الاحزاب السياسية كلها وعطّلت صحفها وحرّمت المظاهرات السياسية وأمرت بتوقيف عدد من الشخصيات السياسية معتبرة اياها مسؤولة عن الشغب الذي حدث . وبعد استتباب الهدوء شرعت بتنفيذ اصلاحات طالما طالبت بها المعارضة منها تعديل قانون الانتخاب وجعله على درجة واحدة ثم قررت دعوة الامة الى الانتخاب في شهر كانون الثاني المقبل .

مطبوعات شرقية

الإسلام والمسيحيّة في لبنان

تأليف هاشم الدفتردار المدنيّ ومحمد علي الزعبي
المدرّسين في كلّية فاروق الأوّل الشرعيّة في بيروت

١٦٠ ص ١٤ × ٢٠ ½ سم؛ دار الانصاف، بيروت؛ ١٩٥٢

ممّا لا شكّ فيه حسن نيّة مؤلّفي هذا الكتاب. وقد أرادا به الدفاع عن «الدين» ضد المادّيين عموماً والوجوديّين منهم خصوصاً. وقد يتلخّص الكتاب في آخر مقطع منه:

«والكلمة التي نرجو أن تظلّ في أنفس قرّائنا هي أن يدركوا أنّ بلاء الانسانيّة، منذ أقدم العصور إلى اليوم، لا يرجع إلى الأديان أبداً، كما يذيع ذلك الملحدون والمجدّفون في هذا العصر، وانّما يرجع إلى عدم الإيمان الصادق أو الفهم الصحيح.»

بيد أنّ الكتاب يفتقر إلى الاسلوب العلمي الدقيق وإلى المعرفة والفهم الصحيحين لعقيدة الكنيسة الكاثوليكيّة وتاريخها. فمثلاً، في المقطع عن أبناء الكنيسة الكاثوليكيّة من الطقس المارونيّ (٦١–٦٢) نقرأ: «لم يكونوا من الارثوذكس لأنّ دولة الروم البيزنطية الارثوذكية كانت تضطهدهم كلّ اضطهاد»، ويظهر أنه فات المؤلّفين أنّ كلمة «أرثوذكس» لم تكن تعني ما تعنيه اليوم من كنيسة غير الكنيسة الكاثوليكيّة، والانفصال لم يحصل إلّا سنة ١٠٥٤. ثمّ يقول المؤلفان: «والذي نتحقّقه أنّ مذهبهم كان كاثوليكيّاً إلّا في بعض الطقوس، لذلك سهل عليهم أن ينضووا فيما بعد تحت جناح روما...» أمّا الكنيسة الكاثوليكيّة، فأساسيا إيمانيّ لا طقسيّ، وفيها عدّة طقوس منها ستّة في لبنان (المارونيّ، البيزنطيّ، السريانيّ، الكلدانيّ، الأرمنيّ، اللاتينيّ). وفي ص ٧٢ نقرأ أنّ الأرمن «وافوا لبنان نساطرة وارثوذكس ثمّ تذهب بعضهم بالكاثوليكيّة والبروتستانتيّة» — بينما المعروف أنّه لا يوجد بين الأرمن نساطرة بل غريغوريون لا تطلق عليهم كلمة «أرثوذكس» بمعناها العاديّ الحاليّ (أي بمعنى أتباع الكنيسة التي انفصلت عن الكنيسة

الكاثوليكية سنة ١٠٥٤). وكثيراً ما يستشهد المؤلفان بآيات من الكتاب المقدس وقد راجعنا بعضها في الترجمة الكاثوليكية العربية، فوجدناها غير مطابقة تماماً. وقد كان عليهما، على أساس الاسلوب العلمي الذي يريدان اتباعه، ذكر الترجمة العربية للكتاب المقدس التي يستعملونها.

ويدعو المؤلفان إلى نبذ «الطائفية اللئيمة القبيحة الشوهاء» والتآخي بين جميع أبناء لبنان على اختلاف أديانهم — كما هي الحال في أميركا مثلاً حيث «تمجد الفرق اليهودية والمسيحية والاسلامية والوثنية» (راجع ص ٩٤ و٩٥). وقد يُفهم من روح الكتاب أنّ هذه الدعوة الكريمة مبنية على اعتبار كلّ الاديان متساوية، لا سيّما ما يسمّيه «السماوية» منها. بيد أنّ التآخي القومي بين أبناء أمة ما (الأمة الأميركية أو الفرنسية أو المصرية أو اللبنانية، الخ.) أساسه إيجابي لا سلبي، وقومي لا ديني. فالتآخي المنشود بين أبناء أمتنا اللبنانية يكون بجمع كلمة اللبنانيين حول لبنان، لا غير. ولا داعٍ مطلقاً إلى مزج الديني والقومي، واللجوء في سبيل التفاهم القومي إلى نظرية تحمل في طيّها تناقضاً بيّناً مثل نظرية تساوي الأديان، وحتى «الأديان السماوية». والكنيسة الكاثوليكية إذ تعلّم أنها وحدها حاملة الحقّ كله تطلب من أبنائها احترام الأشخاص الغير الكاثوليك وعدم الحكم عليهم، بل محبتهم والتعاون معهم في كلّ الميادين خارج الميدان الديني الصرف. ولا داعٍ مطلقاً أيضاً إلى مزج القومي والحزبي، واللجوء في سبيل التفاهم القومي إلى فرض آراء حزبية معيّنة غير مشبوقة علمياً عن أصل عناصر الأمة اللبنانية. فأمّتنا — كسواها من الامم — تتكوّن من عناصر إتنية مختلفة، منها الفينيقي والآرامي والإغريقي والروماني والعربي والفرنجي والأرمني، الخ، مجمعهم كلهم وبدون تمييز القومية اللبنانية. ومن الغريب حقاً أن يظهر مثل هذا البسط لآراء سياسية حزبية في كتاب يريده مؤلفاه للدفاع عن «الدين»: فما هي علاقة موضوعه الديني بنظرية سياسية حزبية؟

وخلاصة القول في هذا الكتاب الحسن النيّة إنه بحاجة إلى مراجعة علمية دقيقة ودخول في تمييزات أساسية. وكثيراً ما ينتج سوء التفاهم عن عدم التمييز بين المطلق والنسبي، بين الروحي والزمني، بين القومي والحزبي، وإرادة

البعض فرض نظرياتهم النسبية — والنسبية جداً — وآرائهم الحزبية بصورة مطلقة ، فينفرون الآخرين ، ويسيئون إلى الغاية التي يريدون خدمتها . وبعد الاطلاع على هذا الكتاب ، لا يسعنا إلّا التمنّي أن يطّلع القارئ على كتاب «المسيحية والاسلام» للأب خليل إدّه اليسوعي (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٩) حيث تُدرس ناحية من هذا الموضوع الديني دراسة موضوعية، علمية.

جبرائيل مالك

PIERRE RONDOT — *Les institutions politiques du Liban : Des communautés traditionnelles à l'État moderne.* 148 p. 15×23 cm. Institut d'études de l'Orient contemporain, Paris, 1947.

مؤسّسات لبنان السياسيّة :
من الطوائف التقليديّة إلى الدولة العصريّة

بقلم بيار روندو

هذه اطروحة نالت الملفنة في الحقوق من جامعة باريس. وهي تحاول درس حياة لبنان الاجتماعية والسياسية، وقد تكون من الدراسات العلميّة الدقيقة النادرة في الموضوع . فرأينا ان نقدّمها للقراء بشيء من التفصيل في التحليل وفي التعليق .

ه

في الكتاب مقدّمة وسبعة فصول تليها خاتمة وثلاثة ملاحق .

المقدّمة عن « إطار لبنان ومرافقه » ، هذا البلد الشرقيّ القريب من العالم الغربيّ، جغرافياً وخصوصاً روحياً، «هذا الجبل الذي يقع في البحر» في غرب العالم الشرقيّ: وهذه الميزات أساسية لفهم تاريخه وحالته الاجتماعية ومؤسّساته.

يبحث الفصل الأوّل في التاريخ السياسيّ والدستوريّ للبنان القديم (قبل ١٩١٨) ولبنان الجديد (بعد ١٩١٨) .

وفي لبنان القديم يدرس المؤلف أولاً العهد الاقطاعيّ (١٥١٥—١٨٢١) وكيف تمكّنت فيه سلطة الامراء ، خصوصاً مع فخر الدين الثاني (١٥٨٥— ١٦٣٥) ، وكيف مارس الشعب اللبناني سيادته في مجلس السقانيّة سنة ١٦٩٧ . وفي هذا العهد نرى التنافس لامتلاك البلاد أولاً بين الطوائف اللبنانيّة ، ثم بين الحزبين القيسيّ واليمنيّ، وبعد معركة عين داره (١٧١١) بين الحزبين اليزبكيّ

والجنبلاطي. وتقل أهمية الفئة الجنبلاطية على ايام بشير الثاني (١٧٨٨—١٨٤٠) الذي يعتمد على ابناء الكنيسة الكاثوليكية – وهو منهم – ليكسر شوكة الاقطاعيين ويصبح سيد لبنان المطلق. ومنذ ذلك العهد يلاحظ المراقبون الاجانب الروح التي يتميَّز بها لبنان وشعبه، «روح حرّية»، «روح جمهورية» كما يقول الرحالة الفرنسي ڤولني (Volney) في كتابه عن رحلاته في الشرق (١٧٨٣—١٧٨٥). ومنذ ذلك العهد أيضاً، ولبنان يوطّد علاقاته بالكرسي الرسولي وبأوروبا ومدنيّتها، بل وروما: فيؤمها الكثيرون من أبنائه لتحصيل العلم في معاهدها (لا سيّما معهد روما الكاثوليكي لأبناء الطقس الماروني) ثمّ التعليم فيها أحياناً؛ وإلى أوروبا يلجأ أمير لبنان مستنجداً بأمرائها وبالبابا عينه لأجل بلاده. والكرسي الرسولي بدوره يواصل إرسال بعثات رهبانه إلى لبنان.

في العهد الديبلوماسي (١٨٢١—١٩١٤)، يعرف لبنان الاحتلال المصري (١٨٣١—١٨٤٠) وانهيار السلطة الاميرية، ثم فترة فوضى بين ١٨٤٢ و١٨٦٠ تنتهي بحوادث سنة ١٨٦٠. وقد أضطرت بعدها الدولة العثمانية، تحت ضغط الدول الكبرى، الى الاعتراف رسمياً، وعلى الصعيد الدولي، بواقع وجود استقلال لبنان الداخلي، فكان نظام المتصرفيّة. وفي هذا العهد الديبلوماسي عرف لبنان أوّل مجالسه النيابيّة – وقد تكون اول مجالس نيابيّة في الشرق الأدنى كلّه في العصرين الحديث (١٤٩٢—١٧٨٩) والحالي (١٧٨٩—٠٠٠٠) — وذلك على أيام الأمير بشير الثالث سنة ١٨٤١ (المجلس لدى الامير) ثمّ على أيام المتصرفيّة (مجلس الادارة).

في العهد الاستبدادي (١٩١٤—١٩١٨)، نجد الدولة العثمانيّة تلغي بصورة غير شرعيّة كلّ امتيازات لبنان، فيعرف اللبنانيّون الجوع والمشانق، ولكن الدولة العثمانيّة لا تجرؤ الى تجنيد اللبنانيّين.

اما لبنان الجديد (بعد ١٩١٨)، فيقسم المؤلف تاريخه الى ثلاث مراحل:

في المرحلة الاولى (١٩١٨—١٩٢٦) –الادارية– يحصل لبنان على حدوده الحاليّة (١/٩/١٩٢٠) ثمّ على اعلان دستوره الجمهوري (٢٣/٥/١٩٢٦)؛

وفي المرحلة الثانية (١٩٢٦—١٩٣٦)–الدستوريّة–يتمرّس بالحياة الدستوريّة الجديدة ضمن كيانه الجديد؛

وفي المرحلة الثالثة (١٩٣٦–١٩٤٣)–السياسيّة– يناضل في سبيل استقلاله ويناله في ٢٢/١١/١٩٤٣ .

وبين كل من اللبنانين – القديم والجديد – وبين كل من العهود اتّصال واستمرار اساسها الطوائف التي يتألف منها لبنان ، هذه الطوائف التي تفرض نفسها بحيويّتها وتماسكها واتفاقها بعضها مع بعض في سبيل حريّتها وحريّة هذا الجيل مع ما بينها من فروقات دينيّة او اجتماعيّة ، فهذه لا تقوى على فصل مصير الطائفة عن الاخرى ، رغم بعض الظواهر السطحيّة، وحتى بعض الحوادث المؤسفة : فسواء في عهد الإقطاعيّة او عهد المتصرفيّة او حتى عهد الجمهوريّة ، يدور البحث حول هذه الطائفة او تلك وموقفها من باقي الطوائف او من لبنان . . .

وفي الفصل الثاني يدرس المؤلف الطائفة ويحاول تحديدها ، فيظهر اساسها في وجود جماعة من الاشخاص ، في بلد معيّن ، تجمعهم تقاليد خاصّة بدين او طقس او جنس او لغة ، ويريدون الاحتفاظ بتقاليدهم وتربية اولادهم وفقاً لهذه التقاليد. ويلاحظ أنّ الحكم الاسلاميّ بفصله ، على الصعيد المدنيّ ، بين « الأمة الإسلاميّة » وأهل الذمّة ساعد على إنماء الروح الطائفيّة في الشرق ، حيث اصبحت الطوائف « أمماً » تعيش بجانب « الأمّة ».

وللطائفيّة في لبنان ميزة خاصّة الآن: فلا توجد فيه طائفة تكوّن اكثريّة مطلقة ، رغم وجود اغلبيّة من ابناء الكنيسة الكاثوليكيّة من الطقسين المارونيّ واليونانيّ في بعض المناطق ، لاسيّما الجبليّة ، واغلبيّة من اتباع الشيعيّة في الجنوب ، واغلبيّة من اتباع السنّيّة في بعض مناطق الشمال . . . ومشكلة لبنان مشكلة طوائف عليها ان تعيش مع بعضها ، وليست مشكلة اقليّات بين اكثريّة ، مثل مشاكل بعض البلدان البلقانية او غيرها .

في الفصل الثالث وصف لكلّ طائفة من الطوائف اللبنانيّة مع وجهها الخاص.

ونحن نقدّمها هنا في ترتيب يختلف عن ترتيب المؤلف ، زيادةً في الايضاح :

فأعضاء الكنيسة الكاثوليكيّة ينتمون الى ست طوائف ، اهمها الطائفة الكاثوليكيّة من الطقس المارونيّ ، اهم الطوائف اللبنانيّة إطلاقاً ، عدداً وتاريخاً ، ولبطريركها المركز الاجتماعيّ المعروف في البلاد ، ثم الطائفة الكاثوليكيّة من الطقس اليونانيّ المنتشرة على الاخصّ في الشرق وفي الجنوب وكلّ

من الطائفتين تمتاز بنسبة المتعلمين والادباء. فيما . اما باقي الطوائف الكاثوليكيّة (من الطقوس الارمنيّ ، والسريانيّ ، والكلدانيّ ، واللاتينيّ) فلمّا تلعب دوراً مهماً في تاريخ لبنان .

اما الغير الكاثوليك ، فينقسمون الى عشرة اديان ويؤلفون عشر طوائف :

١ – أتباع الكنيسة اليونانيّة الغير الكاثوليكيّة (الروم الارثوذكس)
٢ – » » الارمنيّة » » (الغريغوريون)
٣ – » » السريانيّة » » (اليعاقبة) ؛
٤ – » » الكلدانيّة » » (النساطرة) ؛
٥ – » شيع بروتستانتيّة مختلفة ؛
٦ – » اليهوديّة ؛
٧ – » العلويّة ؛
٨ – » الدرزيّة ؛
٩ – » الشيعيّة ؛
١٠ – » السنيّة .

بيد ان الطوائف الغير الكاثوليكيّة ذات الاهمية هي :

– طائفة الروم الارثوذكس المنتشرة خصوصاً في قضائي الكورة وعكّار وفي بيروت والجنوب الشرقيّ ؛
– طائفة الارمن الغريغوريّين واكثر أتباعها نزحوا الى لبنان بعد الحرب العالميّة الاولى ؛
– طائفة الدروز ذات التاريخ المجيد ، وهي منتشرة خصوصاً في الجبل ؛
– طائفة الشيعيّين المنتشرة في الجنوب وفي الشرق ؛
– طائفة السنيّين ، الثانية عدداً الآن ، وقد كانت السادسة في لبنان الصغير . وهي منتشرة في المدن الساحليّة (طرابلس ، صيدا ، بيروت) وفي الشمال (عكّار ، الضنيّة) وبعض مناطق اخرى .

يدرس الفصل الرابع التآلف الطائفي في ماضي لبنان وحاضره . وقد كان هذا التآلف تامّاً في الماضي،خصوصاً بين طائفتي الكاثوليك من الطقسين المارونيّ واليونانيّ من جهة وطائفة الدروز من جهة اخرى، ولم تكن حوادث سنة ١٨٦٠

طبيعيَّة مطلقاً . وعلى لبنان الحاليّ خلق تآلف طائفيّ جديد على اساس كلّ الطوائف التي يتألف منها الآن .

في الفصل الخامس يلاحظ المؤلف نزعة تعميم – لا إلغاء – النظام الطائفيّ في لبنان ومساواة كل الطوائف ، مبدئياً وفعلياً ، امام القانون. ولهذه المساواة اهميتها الكبرى : فالشريعة السنيَّة لا تُطبَّق الا على السنيّين، ولا يجوز لشخص جحد الدين الكاثوليكيّ مثلاً ان يستغل جحده هذا في سبيل الحصول على طلاق، اذ يستمرّ قانون طائفته نافذاً عليه . وفي لبنان ، وبفضل هذه المساواة الفعليَّة بين كلّ الطوائف، يتمتَّع الانسان بالحرية الدينيَّة الفعليَّة امام القانون: فيستطيع ترك دين بيئته وطائفته واعتناق دين آخر بكلّ حرّيَّة إذا أملى عليه ذلك ضميره ، بينما نرى في بعض البلدان المجاورة مثل هذا الشيء مستحيلاً قانونياً في حالة ترك الدين الاسلاميّ واعتناق غيره مثلاً، ولكنَّه ممكن في حالة الانضمام الى الدين الاسلاميّ . . .

ويعالج الفصل السادس التمثيل الطائفيّ في كلّ نواحي الحياة اللبنانيَّة : في المجلس النيابيّ (منذ سنة ١٨٤١) ، في السلطة التنفيذيَّة ، وحتى في الوظائف الاداريَّة الكبرى .

ويدرس المؤلف في الفصل السابع مركز رؤساء الطوائف في الحياة العامَّة، لا سيّما مركز البطريرك الكاثوليكيّ من الطقس المارونيّ ، ويلاحظ اهميَّته ، خصوصاً في حالة ضعف السلطة المدنيَّة . فالبطريرك الحويّك مثلا ترأس الوفد اللبنانيّ الى مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩، وذلك بتفويض صريح من مختلف الطوائف اللبنانيَّة ، لمطالبة الحلفاء باعلان استقلال لبنان ضمن حدوده الحاليَّة .

والسيد روندو يرى في خاتمة كتابه أنّ لبنان يحيا بتعاون كلّ عناصره وانسجامها ، وباستغلال كل القوى الحيويَّة فيه في العمل الحكوميّ ، وبارجاع السلطة الى اصحابها الشرعيين . وعلى بلادنا تجنّب خطرين مضادّين : اولهما ان يُصبح « وطناً قومياً مسيحياً » ، وثانيهما أن يُصبح « إقليماً عربياً ». فالعالم اللبناني ، وهو الشاهد لعالمين ونتيجة احتكاكهما وتفاعلهما ، همزة وصل بينهما، وعليه عدم الانغلاق لا على الشرق ولا على الغرب ، وذلك ليقوم بواجبه من الخدمة نحو هذا الشرق عينه الذي ينتمي اليه جغرافياً وتاريخياً .

والآن بعد هذا التحليل الطويل نوعاً ، علينا التعليق على هذه الاطروحة القيّمة .

وإذ نأسف لشيء ، فلاضطرارنا الى لفت النظر الى بعض نقط تفصيلية كنا نتمنّى ألّا يقع فيها خطأ او سوء تعبير :

١) ص ٨ وحتى ١٣٤ : تاريخ معركة عين داره : ١٧١١ (لا سنة ١٧١٣ كما هو وارد في الكتاب).

٢) ص ٥ : أصبح العثمانيون سادة لبنان سنة ١٨٤٢ (لا سنة ١٨٤١) بعد عزل الامير بشير الثالث (١٥/١/١٨٤٢) .

٣) ص ١١ وص ٥٥ : يستعمل المؤلف كلمة indigènes والمعروف أنّ لهذه الكلمة في اللغة الفرنسية الحالية معنًى محقِّرًا وكان الافضل استعمال كلمة autochtones .

٤) ص ٣٤ ... : نرى ترتيبه للطوائف يقبل تحسيناً ، وقد اقترحنا غيره اثناء عرضنا للكتاب .

٥) ص ٣٦ : يقول المؤلف :

La communauté grecque-orthodoxe... a réagi contre la hiérarchie ecclésiastique hellène qui, jusqu'au début du XX^{e} siècle, lui fut imposée du dehors.

والواقع أنّ بطريرك انطاكية للروم الأرثوذكس كان يونانياً بين ١٧٢٤ و ١٨٩٨ (وقد أخذ الفنار هذا التدبير بعد دخول البطريرك طاناس الكنيسة الكاثوليكيّة سنة ١٧٢٤ وظهور الطائفة الكاثوليكيّة من الطقس اليونانيّ ، لخوفه من ميل الرؤساء الغير يونان الى الكرسيّ الرسوليّ) وأصبح شرقيّاً غير يونانيّ من جديد بعد عزل البطريرك سبيريدون اليونانيّ القبرصي في كانون الثاني (يناير) ١٨٩٨ وانتخاب البطريرك ملاتيوس الثاني الدومانيّ (١٨٩٩—١٩٠٦) في أوائل ١٨٩٩ . فيكون ذلك في آخر القرن التاسع عشر ، لا في أوّل القرن العشرين .

٦) ص ٤١ : يقول المؤلف إنّ العلويّين في لبنـان الشماليّ من الجنسيّة السوريّة . والواقع أنّه يوجد أكثر من خمسة آلاف علويّ يقطنون منذ أجيال في قرى من قضاء عكّار ، فهم لبنانيّون .

٧) ص ٥١ و ٨٧ : قد يظن الكاتب – والقارئ – أنّ سلطة رئيس الجمهورية في لبنان رمزية فقط . والواقع أنّ الرئيس عندنا يتمتّع بصلاحيات واسعة ويمارسها بالفعـل ، فيكون هو – لا رئيس مجلس الوزراء كما يقول المؤلف – الرئيس الفعليّ للسلطة التنفيذيّة .

٨) ص ٥٣ : في حديثه عن « الأمانة المزدوجة » عند بعض اللبنانيين (أمانتهم للبنان وأمانتهم لوطن أوسع من حدود لبنان) ، يقول المؤلف إنهم قد يبرّرون موقفهم هذا بموقف الكاثوليك وأمانتهم للكرسيّ الرسوليّ . بيد أنّ المقارنة غير صحيحة –والسيد روندو يلمح الى ذلك– لكون أمانة الكاثوليك على الصعيد الروحيّ المحض . ومثل هذه الأمانة الروحيّة مشتركة عند الـ ٤٥٠ مليوناً من الكاثوليك من مختلف القوميّات في العالم، ولا علاقة لها بأمانة لسلطة زمنيّة مختلفة عن السلطة القوميّة .

٩) ص ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ٨٧ . . . : كثيراً ما يستعمل الكاتب تعبير Chrétiens unis ، والافضل استعمال كلمة Catholiques – فلا فرق بين كلّ ابناء الكنيسة الكاثوليكيّة ، من أيّ طقس كانوا (شرقيّ أم غربيّ) ، وكلمة كاثوليك تشملهم جميعاً وبدون اي تمييز .

١٠) ص ٥٤ : يقول الكاتب rite chiite ، ومثل هذا التعبير غير دقيق : فالشيعيّة ليست مذهباً مثل المذهب الحنفيّ ، ولا طقساً خارجياً مثل الطقس المارونيّ في الكنيسة الكاثوليكيّة ، بل ديناً ، وأتباعه يؤلفون طائفة مستقلّة .

١١) ص ٦٨ : يذكر المؤلف بين الطوائف الطائفة الاسماعيليّة ، وهي غير موجودة في لبنان .

١٢) ص ٤٤ ، ١٠٥ ، ١٣٤ : يقول الكاتب في ص ٤٤ إن الأميرين علي وقاسم شهاب اعتنقا الكثلكة سنة ١٧٥٦ ، ثمّ يذكر في ص ١٠٥ الأمير يوسف شهاب كأحد الإثنين اللذين دخلا الكنيسة الكاثوليكيّة سنة ١٧٥٦ . وفي كلامه هذا تناقض وخطأ . وقد نشر السيدان عيسى اسكندر المعلوف وسليم الدحداح مقالاً في المشرق (تموز ١٩٢٠، ص ٥٤٣–٥٥٢) عن تنصّر الامراء الشهابيين واللمعيين في لبنان يستفاد منه أنّ اول أمير شهابيّ اعتنق الدين الكاثوليكيّ الأمير عليّ شهاب وزوجته (والأمير عليّ إبن الأمير حيدر شهاب الذي حكم لبنان من

١٧٠٧ الى ١٧٣٢)،وذلك سنة ١٧٥٤ ؛ وقد تبعه ثلاثة من أبناء الأمير مُلحم (الذي حكم لبنان من ١٧٣٢ الى ١٧٥٤ ، وتوفي سنة ١٧٦٤) : سيد أحمد وقاسم وحيدر . وفي سنة ١٧٦٤ اعتنق الدين الكاثوليكيّ الأمير قاسم ابن عمّهم عمر ووُلد له الأمير قاسم ، ثم الأمير بشير (بشيرُ الثاني فيما بعد ، وقد وُلد سنة ١٧٦٧) ، فعمدهما في الكنيسة الكاثوليكيّة . أمّا الأمير يوسف شهاب (حاكم لبنان من ١٧٧٠ الى ١٧٧٨) ، فلم يدخل الكنيسة الكاثوليكية، وإنما كان محبًّا لأبنائها .

١٣) ص ١١١ :

le Patriarche maronite réunit à Bkerké, le 29 mai 1945, une conférence groupant les chefs de la plupart des communautés chrétiennes, grecs-orthodoxes et protestants exceptés,...

وكان من الافضل اعطاء بيان ايجابيّ باسماء رؤساء الطوائف الذين اجتمعوا والبطريرك الكاثوليكيّ من الطقس المارونيّ .

١٤) كثيرًا ما يستعمل الكاتب كلمتَي « مسيحيّ » و « مسلم » بصورة غير واضحة الوضوح الكافي. وكنا نتمنّى استعمال التعابير الدقيقة والواضحة دائمًا ، تجنبًا لكلّ عدم تمييز كاف. فيقال مثلًا كاثوليكيّ من الطقس الفلانيّ ، روم ارثوذكس ، ارمنيّ غريغوريّ ، درزيّ ، شيعيّ ، سنّيّ ، الخ.

١٥) وأخيرًا كنا نتمنّى كتابة اسماء الاعلام الشرقيّة بالحروف اللاتينيّة على أساس الاصطلاح العلميّ الدوليّ ، فيُكتب مثلًا اسم شهاب : Šihāb أو Shihāb بالحروف اللاتينيّة .

واذا كنا اسهبنا في هذه الملاحظات السلبيّة عن الكتاب ، فيعود ذلك الى قيمته الايجابيّة الكبيرة حقًّا . فنحن امام دراسة تتميّز بطابعَي العلم الدقيق والصداقة المخلصة . والكتاب نتيجة ابحاث ودراسات عديدة من الصعب حصرها، وهو ايضًا نتيجة اقامة ثماني سنوات في ربوع لبنان اتّصل مؤلفه في خلالها بالكثيرين من شخصيّاته، في الحقلين الروحيّ والزمنيّ، أمثال البطريرك الحويك وقاضي القضاة السنّيّ محمد الكستيّ ، والصحافي جبرائيل خبّاز ، الخ . . .

وفي الكتاب بيانات وجداول يندر الحصول عليها خارجه في نفس الدقة والترتيب :

١ — إحصاء للطوائف في لبنان من ١٨٦١ الى ١٩٤٣ (ص ٢٨—٢٩) ؛

٢ — توزيع الطوائف في لبنان على أساس بيانات مصلحة الاحصاء بتاريخ ١٩٤٣/١٢/٣١ (جدول وخريطة ص ٣٢ و٣٢ مكرّرة) ؛

٣ — جدول بعـدد الأشخاص الذين تركوا دينهم الاصليّ واعتنقوا أو تبعوا ديناً آخر — من ١٩٣٣ الى ١٩٣٨ (ص ٧٢) ؛

٤ — جدول بالتمثيل الطائفيّ في المجالس النيابيّة من ١٨٤١ الى ١٩٤٣ (ص ٨٤) ؛

٥ — جدول بالتوزيع الطائفيّ في السلطة التنفيذيّة (ص ٨٨ مكرّرة) ؛

٦ — جدول بالتوزيع الطائفيّ في الادارة (بتاريخ نيسان ١٩٤٦) :

المديرون العامّون ومديرو الاقسام ،

المحافظون ،

المراكز في القضاء ،

المراكز في الديبلوماسيّة .

(ص ٨٩) .

ويلي الكتاب ثلاثة ملاحق عظيمة الفائدة لدقّتها وشمولها :

١ — الملحق الأوّل خاصّ ببيانات تاريخيّة عن الأحوال الشخصيّة والطوائف في لبنان (من ١٨٣٩ الى ١٩٣٩) ؛

٢ — الملحق الثاني خاصّ بأهم الاحداث في تاريخ لبنان في العصرين الحديث والحالي (من ١٥٨٥ الى ١٩٤٦) ؛

٣ — الملحق الثالث خاصّ بـأهم مراجع الكتاب من كتب ونشرات ومطبوعات رسميّة وصحف ومجلات ووثائق غير منشورة .

أمّا فيما يتعلق بالكتاب عينه، فنخصّ بالذكر الفصول الثاني والثالث والرابع، ففيها دراسات عن فكرة الطائفيّة واصلها وتطبيقها في لبنان، القديم والجديد، ومثل هذه الدراسات الموضوعيّة ، من تاريخيّة وقانونيّة ، نادرة . وقد يكون تحليل الفكرة الطائفيّة في الفصل الثاني (ص ٢٢—٢٣) من أحسن ما نشر

في الموضوع: فيُظهر وجهها الايجابيّ في التمسّك بتقاليد لها قيمتها ، بل حرمتها، والدفاع عنها من كل طغيان خارجيّ . ومثل هذه الروح الطائفيَّة السليمة لا تتّفق وروح الطائفيَّة البغيضة التي ينشرها او يستغلّها بعض المتاجرين «بالطائفيَّة» أو إخوانهم المتاجرون « بإلغاء الطائفية » — ولا فرق يذكر بين الفئتين، فكلّ منهما لا يعرف أو يتجاهل مكانة بعض التقاليد ، فيبالغ البعض فيها وعلى الاخصّ في مركز أبنائها ويجعلهم ينفرون من الخارجين عنها وينفّرونهم منهم ، ويقلّل البعض الآخر من شأنها في سبيل نظريّات نسبية وغير مثبوتة ، واحياناً خاطئة. وعلى أبناء أمّتنا اللبنانيَّة عدم الإصغاء لدعايات كلّ من الفريقين المتاجرَين، وذلك حفظاً لوحدتنا القوميَّة عينها .

وعلينا على ذكر النظام الطائفيّ في لبنان التنويه بحسنته الكبرى. فبفضل الطوائف ومساواتها امام القانون نتمتع في لبنان بحرّية دينية فعليَّة لا مثيل لها في معظم البلدان الاخرى في الشرقين الادنى والاوسط، كما فصّلنا ذلك في تحليلنا الفصل الخامس. وقد لا يفهم البعض هذه الحسنة الكبرى ، وقد يُنكر البعض الآخر عدمَ وجودها في معظم البلدان المجاورة . وهنا علينا ان نذكّرهم بتوقف هذه الدول الرسميّ في منظَّمة الامم المتحدة عند التصويت على البند الخاص بالحرّية الدينيَّة من شرعة حقوق الانسان ، ورفضها إيَّاه .

ولكنّ احترام التقاليد المرونة والنظام الطائفيّ في وضع لبنان الحاليّ الخاص لا يعني انها ذات قيمة مطلقة. وهنا لا بدّ لنا من الإشارة إلى « تحجّر » في العقليّة يظهر أحياناً عند البعض فيعتبرون بعض امتيازات تبرّرها ظروف خاصّة أبديةً لا يجوز مسّها . وقد تتطلّب المصلحة القوميّة عينها احياناً التضحية ببعض امتيازات وحتى ببعض تقاليد ، أصبحت غير ضرورية ، بل ضارّة، رغم وجاهتها او خدمتها للمصلحة العامّة في زمن ومكان آخرين . وما يتمنّاه كلّ مخلص أن تخطو بلادنا خطوات واسعة في سبيل دولة عصريّة ذات سلطة مدنيَّة قويّة وعادلة ، فيَسْهُلَ التمييز بين السلطتين الروحيَّة والزمنيَّة ، وتزول أسباب تدخّل السلطة الروحيَّة في الشؤون المدنيَّة البحتة.

جبرائيل مالك

اللآلئ في حياة المطران عبدالله قرألي (١٦٧٢ ـ ١٧٤٢)

بقلم الخور اسقف بولس قرألي

القسم الثالث : المصاح – قطع متوسط ، ١٩٥٠ ، مطبعة لاباتري بالقاهرة . ٢٥٧ ص .

ما تناول قلم الكاتب (رحمة الله عليه) موضوعاً الّا جعل الحياة تدبّ فيه دبيباً فهو الذي صيّر مستنداته تنطق من الفها الى يائها في مؤلفاته .

ولقد ساعده على الاجادة في موضوعه هذا وجه المطران عبدالله قرألي الذي احبّه حبّاً جمّاً وهو ذلك الاسقف الصادق المخلص والراعي الامين الذي دافع عن مبادئ الكنيسة واستمات في خدمتها وخدمة المؤمنين الذين وكّل اليه امر رعايتهم .

لقدكان المطران عبدالله قرألي منارة في طليعة طائفته المارونية ابان الازمنة العصيبة في القرن الثامن عشر فاوقظ فيها وهي الشديدة الاستمساك بروحة الروح الكاثوليكية وذلك باطاعته التامة لاوامر الكرسي الرسولي فجنّب هذه الطائفة التي اخلص لها الاخلاص كلّه عدوى الدخلاء او الاشرار .

والمطران عبدالله الذي بعثَ في الاذهان فكرة عقد المجمع اللبناني الشهير بترعمه المعارضة التي كانت تنادي بالاصلاح في الشؤون المقدسة في ذلك العهد الذي كانت تسيطر فيه الميال على افكار اعلى سلطة في الطائفة قد بدا لنا خليقاً بن كانوا على شاكلة اثناسيوس وباسيليوس .

وقد شرع الاب باخوس الفغالي منذ العام الماضي ينشر نصوصاً عن المجمع اللبناني في هذه المجلة .

واستطاع المطران المشار اليه رغم ما كان لديه من المشاغل وما كان يقوم في وجهه من المصاعب ان يدير الرهبانية اللبنانية الكبرى وان يجعل روحها الداخلية مزدهرة ويا لها من ادارة حكيمة رشيدة فكان قدوة لغيره من المؤسسين .

ومن جملة ما اهتمّ له المطران عبدالله هو ايجاد تشريع راسخ لطائفته وبعث روح احترام الامور الروحية والالهية فيها فوضع لها تراتيل كنسية وكتب طقسية ظلّت دستور الطائفة المارونية الوحيد وقد زودها ببعض تراجم سريانية

لم يكن الشعب المسيحي يفهمها . فيا له من عمل عظيم في حياة ذلك المجاهد الكبير الذي دافع عن الحقيقة وحقوق من وكلت اليهم رعاية النفوس .

وتصدّى المؤلف الى سرد جميع هـذه الامور بلغة مفعمة اسرًا وقوة على جاري عادته دون ان يقلّـل ذلك شيئاً من قيمتها . اجل لقد كانت عباراته مملوءة قوة لانه تحدّث بما يجيش في صدره من حب لذكرى اسقف كبير يمت اليه بوشائج الدم .

وهذا الكتاب الذي هو دراسة تاريخية لاسرة قرألي قـد انهاه المؤلف بمناقشة مسهبة لِمَنْ حول اصل موارنة حلب الاولين .

ويظهر مما بيّنه المؤلف بصراحة ان موارنة حلب الأوّل قد جاءوا اليها من لبنان الشمالي .

والامر الباعث على الشجى هو ان يطبع مثل هذا الكتاب التاريخي القيّم على ورق رديء او ان لا تتمكّن المطبعة التي تولّت اخراجه ان تقدّر له قيمته التي يستحقها . اجل ان طباعته لينفر النظر منها ولا تحبّب الى القارئ مطالعته . وهذا ما يشجينا . أ. ع. خليفه

مقدمة للرياضيات

تأليف وايت هيد ، ترجمة محيي الدين يوسف

مطبعة الرابطة بنداد، قطع متوسط ، ١٩٥٢، ٢٤٣ ص . — من مطبوعات المجمع العلمي العراقي

هو كتاب علمي تثقيفي لا يحتاج قارئه الى معلومات حسابية عالية بل الى شيء من الانتباه والتفكير . موضوعه المسائل الجوهرية في الرياضيات الوسطى والعليا كالهندسة الاحداثية والاعداد التخيلية والمتسلسلات والحساب التفاضلي . . . مع شرحها بطريقة سهلة ولذة معاً . يخيل للقارئ وهو يطالع هذا الكتاب انه يتنزه في حديقة الايام والعلوم ، فيدخلها في القرن الخامس قبل المسيح وينتهي فيها في القرن الاخير ، وقد تعرف الى جمهرة من العلماء النوابغ وشاهد نشوء القضايا الاساسية في الرياضيات ورأى بعينه وعقله كيف ان الطبيعة او الحياة فرضت على العلماء بعض القضايا دون سواها ؛ وللقارئ في نزهته خير دليل : رياضيّ فكِه ، يتمتّع الحديث كاملُ التثقيف غني بالنظريات الانسانية والفلسفية .

فاذا ما شكرنا للاستاذ محيي الدين يوسف اقدامه على ترجمة هذه المتعة

بكل امانة وتدقيق فانما نقوم بواجب قومي . فأمثال هذه الثمرات تزيد لغتنا غنى وتكسب التفكير العربي طرقاً جديدة وتعمل على بعث نهضتنا العلمية ان شاء الله . جازاه المولى خيرًا .

عادل انبوبا

تبسيط قواعد العربيّة

تأليف الاستاذ انيس فريحة في الجامعة الاميركيّة ببيروت

(٩٢ ص)

اقتراح مبتكر ، فكرة حديثة ، تلفت النظر ، طريقة سهلة يعرضها المؤلف على مدرّسي اللغة العربيّة في لبنان خصوصاً وفي البلاد العربيّة عموماً . وعلى مخالفته كتب الصرف والنحو القديمة في تنظيم القواعد وتنسيق التمارين بدءاً من الضمير فالفعل فالاسم الخ. ، ثم تركيب الجمل دون شائبة نرى ان يُمن في الكتاب اساتذة اللغة ويتخذوه دستوراً لتعليم الفتيان . فهو والحق يقال اضمن ذريعة لالتفاف اللغة واسهل طريقة للالمام بها . انّنا نقدر قدر فكرة الاستاذ فريحة ونتمنى لاقتراحه نجاحاً ولكتابه رواجاً .

اسحق ارملة

Henri de Lubac : *Aspects du Bouddhisme*, vol. I. — Éditions du Seuil, Paris 1951. 199 pp.

لم يستخدم المؤلف في كتيبه منطقاً حاقداً في سبيل الدفاع عن عقائده وانما قد اوصلنا بهذا المنطق الى التأكيد ان البوذية لا تتمّ الّا في المسيحية التي استثمرها في نقط عديدة في تعليمه .

واستطرد المؤلف في فصوله الثلاثة : المحبة البوذية ، شجرتا الخليقة ، ظواهر المسيح وبوذا المختلفة استطرادًا موضوعيًا قائمًا على مصادر الفكرة البوذية نفسها . وما يؤكده هذا التعليم الملحد الذي يصبو بكل ذاته الى اكثر مما هو ذاته .

ويتحلّى هذا الكتاب بخصائص مصنفات المؤلف الاخرى القيّمة جميعها . ولقد كانت الضرورة تقضي بوضع فهرس في نهاية الكتاب على شاكلة معجم صغير لتفسير الكلمات البوذية ومع ذلك فان بعض الهوامش تشتمل على تفسير كلمات لا بأس بها .

ا . ع . خ